السماءُ تُظلم العاصفة قادمة

المُتَوَحِّشُون

FERALS

انقِضَاضُ سَرب الذُّباب

THE SWORM DESCENDS

الجزء الثاني من
ثُلاثيّة «المُتَوحِّشُون»

مكتبة 270

جاكوب غراي

JACOB GREY

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أقرأ أناكمبوه

السماءُ تُظلِم. العاصفة قادِمَة

انقِضَاضُ سَرب الذُّباب

THE SWORM DESCENDS

أقرأناكموه

للمزيد والجديد من الكتب والروايات

تابعوا صفحتنا على فيسبوك

أقرأناكموه

telegram @ktabpdf

السماءُ تُظلِم. العاصفة قادِمَة

انقِضَاضُ سَرَب الذُّباب

THE SWORM DESCENDS

الجزء الثاني من
ثُلاثيَّة «المُتَوَحِّشُون»

جاكوب غراي
JACOB GREY

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

أقرأناكموه

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

The Sworm Descends

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

HarperCollins Publishers

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2014 by Jacob Grey

All rights reserved

Arabic Copyright © 2015 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

2015 م - 1436 هـ

ردمك 978-614-01-1695-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

أقرأناكموه

الفصل 1

ثمة أشباح في هذا المكان؛ قال كاو لنفسه. إنها ربما ليست من النوع الذي يتجول في الغرف الفارغة ويضرب الأبواب بعنف ويعوي، وإنما هي أرواح أكثر حزناً. خيّم الحزن هنا، صامتاً وتائهاً من ذكريات الأحياء.

تحقّق من الساعة التي أعطاه كرامب إياها؛ إنها الثانية من بعد منتصف الليل.

قال غلام: إنها فكرة سيئة. وكان جاثماً على غصن فوقه يبعد عنه مسافة عشر أقدام، فيما أدخل منقاره في ريش صدره السميك. أنا أكبر منك سناً. لماذا لا يصغي المرء أبداً إلى صوت الخبرة؟!

قال كاو: «أنا أصغي. لكنني ببساطة اخترت تجاهلك».

حاول كاو أن يبدو واثقاً من نفسه، لكن فمه كان جافاً حين جلس القرفصاء مرتعداً بين الأجمات. المنزل أمامه مهجور، وجدرانه متقشرة ومغطاة بالكتابة. كانت هناك نافذتان غير مكسورتين، فيما النوافذ الآخر متصدعة أو مكسوة بألواح خشبية. أما الفناء الأمامي للمنزل فكان مليئاً بالأعشاب الطويلة؛ حيث لم يعد هناك ممر يؤدي إلى الباب. إحدى الأشجار التي نمت قرب المنزل وقعت إثر عاصفة، وحطّمت أغصانها جزءاً من السقف، ويبدو أنها تنمو الآن داخل المبنى.

أقرأناكموه

تمتم سكريتش: منزلي الحبيب. فيما قفز بعصبية على كتف كاو. انغرزت مخالب الغراب الصغير في بشرة كاو؛ بالرغم من معطفه الجلدي.

منزل؟! فكر كاو في سره. لا أشعر أنه هكذا؛ على الإطلاق.

فتش في ذكرياته، لكنه لم يستطع إيجاد هذا المكان بينها. كان عمره خمسة أعوام فقط عندما حملته الغربان بعيداً، وما من شيء في المبنى الموجود أمامه مألوف بالنسبة إليه؛ باستثناء مشاعر الخوف التي تسللت من كوابيسه.

قال غلام: كاو، لم يفت الأوان للعودة إلى دار العبادة بعد. كان كرامب يحضر فطائر البطاطا الحلوة، أليس كذلك؟ بالإضافة إلى ذلك، كيف نعرف أن هذا هو المكان الصحيح؟

قال كاو: «أنا أعرف ذلك فقط». وأحسّ بثقة داخلية كبيرة.

سُمع صوت خفقان أجنحة خلف ظهره، وحطّ غراب ثالث على الأرض. كانت أنثى الغراب التي حطت نحيلة وإنما قوية. غرزت منقارها النحيل في التراب، ثم أخرجت دودة لزجة أخذت تتلوّى فيما أرجعت أنثى الغراب رأسها إلى الخلف وابتلعتها.

قال سكريتش فيما نفض صدره: هاي شيمر!

فقالت أنثى الغراب: الطريق خالٍ، فما الذي تنتظرونه؟! وتطاير التراب من منقارها.

قال غلام: أن يعود هذا الشاب إلى رشده؛ حتى يكذب التاريخ.

قالت شيمر: لا تكن شريراً هكذا. وفردت جناحيها اللذين كانا مرقطين بالأزرق والأحمر مثل زيت مسكوب على أسفلت رطب. احتجتُ إلى أربعة أسابيع للعثور على هذا المكان. وإذا لم يشأ كاو الدخول، فسأدخل بنفسي.

قال كاو: «هل يمكنكِ التوقف عن الكلام عني كما لو أنني لست هنا؟». وفجأة، أوقفت الغربان ثرثرتها. وهذا أمر نادر منذ انضمام شيمر إلى المجموعة. الغربان عنيدة، وتحب الجدل، ويحب كل منها أن تكون له الكلمة الأخيرة أكثر فأكثر. الكل باستثناء ميلكي؛ الغراب الأبيض الذي ترعرع كاو معه. فطوال الأعوام التي عاش فيها معه في العش، نطق ميلكي بأقل من عشرين كلمة. وتمنى كاو لو أن الغراب العجوز لا يزال معه.

وقف، ومدد جسده، وألقى نظرة في اتجاه الشارع. كل المباني في هذا القسم من المدينة غير مأهولة؛ فقد غادرت كل العائلات عندما توقفت الأعمال بعد الصيف المشؤوم، أي الحرب السرية التي اندلعت بين الخارقين قبل ثمانية أعوام. ثمة دراجة صغيرة محطمة ومكسوة بالصدأ مرمية في قناة مليئة بالأوراق، وتحت شجرة في حديقة أمامية تدلت أرجوحة ذات حبال منسلّة.

تساءل لفترة وجيزة عن ترعرعه في هذا المكان سابقاً. هل لعب مع أولاد آخرين من تلك المنازل المهجورة؟ يصعب تخيل أصوات الضحك في مكان حزين هكذا ومثقل بالصمت.

بدأ كاو يشق طريقه نحو الممر المؤدي إلى المنزل، فيما خفق قلبه بقوة. كان الباب الأمامي مكسواً بألواح خشبية، لكنه استطاع الدخول بسهولة عبر نافذة.

قال غلام فيما ظل جاثماً على غصنه بعناد: ما زال بإمكانك العودة.

يسهل على غلام قول ذلك. فهذا المنزل لا يعني له شيئاً، لكنه كل شيء بالنسبة إلى كاو. طوال أعوام عدة، كان ماضيه خالياً؛ مثل بحر مفتوح من دون خرائط لإرشاده. لكن هذا المكان معلم أساسي،

أقرأناكموه

ولم يعد بوسعه تجاهله. فمن يعرف ما الذي يمكنه أن يجده في الداخل؟

مدّ يده إلى جيب سترته، وسحب الصورة الفوتوغرافية المجعدة؛ صورة لوالديه ترجع إلى تلك الأيام الجميلة. أعطاه إياها كرامب. لم يشأ خارق الحمام أيضاً أن يأتي كاو إلى هنا الليلة، وقال إن في ذلك «مضيعة للوقت». ترك كاو إبهامه يداعب وجهَي والديه في الصورة. كانا تماماً مثلما رآهما عندما وجدهما في البعد الآخر. لقد نجح فقط في تشارك بعض اللحظات النفيسة معهما، مما جعل قلبه يتوق إلى المزيد. وهل من مكان أفضل من هذا لمعرفة المزيد عنهما؟

إنه يدين لهما بعدم التجاهل.

حين وضع كاو يده على أحد الألواح الخشبية فوق الباب وجده رخواً. أمسك الحافة بإحكام، واقتلع اللوح مع مساميره الصدئة وكل شيء بسهولة. أما الألواح الأخرى فلم تكن أكثر مقاومة، وأفسح الطريق أمامه سريعاً.

أحسّ كاو بالغربان خلفه فاستدار. كانت الغربان الثلاثة جاثمة على الأرض.

قال: «دعيني أدخل وحدي».

أومأت شيمر برأسها، وتراجع سكريتش بضع خطوات إلى الخلف، فيما نظر غلام بعيداً وهو يهزّ رأسه بطريقة دراماتيكية.

ثمة مفتاح للضوء في الداخل، لكن كاو لم يتفاجأ حين لم يحصل أي شيء عندما ضغط عليه. كان الهواء بارداً وعفناً. رأى في العتمة مفروشات مقلوبة، وصوراً معلقة بطريقة غير سوّية على الجدران. ثمة سلالم ضخمة ارتفعت من الردهة وأفضت إلى منبسط، ثم تفرّعت في الطابق الأول في اتجاهين. ظن كاو أنه رأى شيئاً يتحرك

أقرأناكموه

هناك. إنه جرذ أو ربما طائر، لكنه لم يرَ شيئاً عندما نظر مجدداً.

أحسّ كاو بشعور خفيف بالانتماء. ثمة أشياء صغيرة بدت مألوفة؛ كمصباح ضوئي، ومقبض باب، وستارة ممزقة. أو ربما كان عقله يخدعه؛ إذ يريد منه رؤية شيء مهم بين أنقاض حيوات مخذولة.

رأى كاو عبر قنطرة أريكةً قديمةً وأسلاكاً نائتة من مقبس في الجدار. وفيما تقدم إلى الأمام، رأى أمامه مائدة طعام. إلا أن إحساساً بالذعر حوّل قدميه إلى رصاص.

عرف هذه الغرفة من كوابيسه. هنا حصل كل شيء؛ قرب هذه الطاولة تحديداً. هنا قتلت عناكب الرجل الدوام والديه. أصبحت الطاولة مغطاة بالغبار الآن، لكن كاو لم يستطع حمل نفسه على التقدم أكثر.

اتجه بدلاً من ذلك نحو السلالم، فطقطقت تحت قدميه فيما كان يصعد عليها. ومع كل خطوة خطاها شعر بحنين كبير. على منبسط الدرج في الطابق الأول، نقلته قدماه بصورة تلقائية نحو باب عُلِّق عليه ملصق صغير على شكل قطار، وكتبت عليه حروف تعرّف إليها من دروس كرامب. «غرفة جاك».

جاك كارميكايل.

هكذا كان اسمه سابقاً.

أخذ كاو نفساً عميقاً ودفع الباب لفتحه.

على الجدار المقابل، رأت عيناه النافذة، وبدأت ركبتاه ترتجفان. الذكريات الشبيهة بالحلم تحولت إلى إحساس خوف صرف، فأمسك كاو بإطار الباب لتثبيت نفسه.

تذكر الأيدي المحكمة لوالديه فيما جرّاه من سريره، ودفعاه في اتجاه النافذة. كانت أصابعهما مشدودة على جسده كثيراً فآلمته،

أقرأناكموه

وبدت آذانهما صمّاء لصراخه المذعور. فتح والده النافذة، ودفعته أمه إلى الخارج. أغمض كاو عينيه مسترجعاً ما حدث، فشاهد الأرض تدور تحته، وأحسّ بالذعر فيما كان يقع...

أخذ نفساً عميقاً فيما تضاءلت قوة ذكرياته.

طوال أعوام عدة، كانت هذه الذكرى هي الوحيدة لهما المعششة في عقله؛ فقد ظنّ أنهما تخليا عنه من دون شفقة. إلا أنه الآن يعلم أن ما كان يتذكره ليس الرواية الكاملة لما حصل. فتلك الذكرى مجرد سطر في حكاية بدأت قبل قرون عدة؛ حكاية خارقين خاضوا حرباً ضد بعضهم. لم يحاول والداه قتله كما كان يعتقد، بل كانا يحميانه؛ وذلك بإبعاده عن الرجل الدوام قدر الإمكان.

فتح كاو عينيه، ونظر بعيداً عن النافذة. كان يرتجف.

بدت بقية الغرفة فارغة. ثمة رفوف عليها قصاصات ورقية، ورزم من ملابس قديمة تم دفعها في زاوية واحدة. لم يتوقع كاو أن تبقى الغرفة محفوظة مثل متحف، لكنه أحسّ رغم ذلك بنوبة غضب كبيرة؛ إذ ثمة شخص أخذ كل أغراضه.

إلا أن الغضب تبدد بالسرعة التي جاء فيها، وترك وراءه حزناً خفيفاً. لا شك في أنه تمّ نهب المنزل وسلبه. فقد استفاد الكثير من المجرمين الأشرار من الفوضى التي خلّفها الصيف المشؤوم. وأدرك كاو أن منزلاً جميلاً كهذا كانت سرقته أمراً رائعاً.

ترك قدميه تأخذانه فوق السجادة المغطاة بالعفن نحو النافذة. كان الزجاج متصدعاً، فرك البخار المتكثف عليه بطرف كمّ سترته الجلدية. في الخارج، كان الليل ساكناً، وسطعت النجوم في سماء خالية من السحب، فيما توهج القمر بنعومة. تنهد كاو. كان كرامب محقاً. لا جدوى من المجيء إلى هنا؛ فالماضي قد مات.

ثم رأى شيئاً عند الأشجار تحت المنزل. إذ ظهر وجه شاحب من العتمة خلف جذع شجرة.

خفق قلب كاو بقوة. لم يتحرك الوجه إطلاقاً، وإنما حدّق إليه فقط. كان رجلاً عجوزاً، ذا بشرة بيضاء جداً، حيث بدا وكأنه يضع مستحضرات تجميل ويبدو مثل المهرّج. بدت قسماته شاحبة أيضاً؛ فشفتاه من دون لون، وأنفه صغير وأفطس، وعيناه واسعتان مسمّرتان عليه. وكان يعتمر قبعة دائرية.

من هو؟ وماذا يفعل هنا في حديقة كاو؟

أمسك كاو بإطار النافذة، وحاول خلع النافذة لمناداة الرجل، ولكنها لم تتزحزح. حاول مجدداً، فأصدرت النافذة صوت خربشة. كان على وشك فتح فمه عندما سمع كائناً يتنفس خلف ظهره.

قال صوت: «من أنت؟».

استدار كاو في مكانه، فرأى كومة الملابس في الزاوية تتحرك، ورأى فتاة مستلقية هناك، ومغطاة بكيس نوم. كانت نحيلة، وذات شعر داكن ومجعد يؤطّر وجهها المتسخ، وبدت أكبر منه بنحو سنة أو اثنتين. كان يظنّ أنه بمفرده...

تراجع كاو إلى الخلف إلى أن ارتطم بالنافذة. أرادت عضلات ساقيه الهروب، لكن الخوف شلّه. وأخيراً، وجد صوته فقال: «أنا...» ما الذي يفترض به قوله؟! من أين يبدأ؟ ظهر التحدي في عينيها، والخوف أيضاً، فتضاءل خوفه قليلاً. رفع يديه ليظهر لها أنه ليس مصدر خطر، وقال: «هذا منزلي. من أنت؟».

وقفت الفتاة، وأبعدت عنها كيس النوم، ورفعت عصا بايسبول كانت قربها، فبدت براجمها بيضاء فيما كانت تمسك بالعصا.

قالت الفتاة: «هل أنت وحدك؟».

تذكر كاو الرجل في الخارج، فألقى نظرة سريعة إلى الخلف؛ إلا أن الوجه قرب الشجرة كان قد اختفى، ولم تظهر الغربان في أي مكان.

قال: «أوه... نعم».

قالت الفتاة: «حسناً، إذا كان هذا منزلك، فلماذا لا تعيش هنا؟». ووجّهت العصا نحوه، وبدت وكأنها لا تواجه مشكلة في استعمالها.

أبقى كاو على مسافة بينه وبينها وقال: «لم أعش هنا لوقت طويل». وبحث عن تفسير أفضل لكنه لم يعرف ماذا يقول.

حرّكت الفتاة العصا مجدداً، وبدت مستعدة للانقضاض عليه إذا قال الشيء الخطأ.

أضاف: «رماني... والداي خارجاً». إنها الحقيقة نوعاً ما.

ارتاحت الفتاة لدى سماعها ذلك، فأخفضت العصا قليلاً وقالت: «أهلاً بك في النادي».

قال كاو: «أي نادٍ؟».

قطّبت الفتاة حاجبيها وأجابت: «إنه تعبير شائع. وهو يعني أننا في المركب نفسه».

أحس كاو بالارتباك وقال: «هذا منزل وليس مركباً».

لم يعرف لماذا، لكن الفتاة ضحكت وقالت له: «من أي كوكب أنت؟». ثم هزّت رأسها.

أجاب كاو: «من هذا الكوكب». أدرك أنها تسخر منه، ولكن هذا أفضل من أن تضربه بالعصا. سأل: «هل أنت بمفردك؟».

أومأت الفتاة برأسها مجيبة: «أفترض تقنياً أنني هربت. أنا هنا منذ بضعة أسابيع. بالمناسبة، اسمي سيلينا».

قال كاو: «كاو».

أقرأناكموه

«هل هذا اختصار لاسم ما؟».

فأجاب: «ليس تماماً».

قالت سيلينا: «عرفت أنه توجد بعض المنازل الخالية هنا». ولوّحت بالعصا في أرجاء الغرفة وهي تضيف: «بدا هذا الأفضل بين المنازل السيئة».

فقال كاو: «شكراً. كانت هذه غرفة نومي».

ابتسمت الفتاة ابتسامة عريضة وقالت: «إنها جميلة فعلاً. فبراز الجرذان يجعلها مألوفة نوعاً ما».

لم يستطع كاو منع نفسه من الضحك. كان قد احتاج إلى الوقت للتحدث إلى البشر، لكنه اعتاد على ذلك تدريجياً بمساعدة بيب وكرامب. «شخصياً، تعجبني الستائر المتفحمة».

جعلت سيلينا عصا البايسبول تتكئ على الجدار وقالت: «اسمع، يمكنني المغادرة إذا شئت».

صمت كاو، وأحسّ بشيء غريب في قرارة نفسه. لم يسأله أحد يوماً عما يريده، ولذلك لم يعرف بما يجيبها. نظر إلى ملابسها الرثة ووجهها النحيل. إذا طردها خارج المنزل، فإلى أين ستذهب؟ افترض أنه توجد منازل أخرى مهجورة تستطيع العيش فيها. لكنه التقاها للتو، وبدت له جيدة؛ باستثناء عصا البايسبول.

بدأت الفتاة برفع كيس النوم عن الأرض، فقال بسرعة: «لا داعي للمغادرة، فأنا لن أبقى. لقد انتهيت من هنا».

توقفت عمّا كانت تقوم به وقالت: «أوه... أتعيش في مكان آخر الآن؟».

لمح كاو وميض يأس في عينيها، وفكّر في دار العبادة، حيث يعيش مع كرامب وبيب. أبعد عينيه عنها وأجاب: «نوعاً ما».

أقرأناكموه

رسمت سيلينا ابتسامة حزينة على وجهها وقالت: «لا بأس، فهمت. أستطيع الاهتمام بنفسي».

تأمل كاو وجهها، وتساءل عمّا إذا كانت تدعي القوة. إنه يملك فراشاً في دار العبادة، بالإضافة إلى الدفء والطعام. وذاك المكان أفضل بمليون مرة من هنا. هل يستطيع أخذها إلى هناك؟ إذ توجد مساحة كبيرة. ألح عليه قلبه لقول شيء ما، لكن عقله قال العكس. عرف أن كرامب لن يحب عودته إلى دار العبادة برفقة غريبة. وبالإضافة إلى ذلك، كيف يمكنهم إخفاء قواهم الخارقة عنها؟

لا، المسألة محفوفة بالمخاطر.

قال: «ليست المسألة هكذا. إنه ليس مكاني. هذا كل ما في الأمر».

أومأت برأسها وقالت: «لا تقلق».

أحسّ بالسوء. لا بدّ أن الجو بارد جداً هنا في الليل. وكيف تأكل من دون وجود غربان لمساعدتها؟

قال: «اسمعي، تبدين جائعة. أستطيع العودة وإحضار بعض الطعام لك إذا شئت».

تورّدت وجنتا الفتاة خجلاً، لكنها رفعت ذقنها وقالت: «لا أحتاج إلى مساعدتك».

قال كاو: «لا، طبعاً لا. أنا فقط... أعرف أمكنة يمكن الحصول فيها على الطعام، هذا كل ما في الأمر؛ في المدينة».

قالت بنبرة دفاعية: «وأنا أيضاً. لست جائعة، هل فهمت؟».

ساد صمت مزعج في الغرفة. لم يقصد إهانتها.

قالت أخيراً: «هل أخبرك شيئاً؟ ما رأيك لو تشاركنا معلوماتنا؟ أنا أريك إلى أين أذهب، وتستطيع أنت فعل الشيء نفسه. مشردان

أقرأناكموه

يساعدان بعضهما بعضاً».

جفل كاو؛ إذ لم يتوقع منها هذا العرض. «ماذا... معاً؟».

قالت سيلينا: «لمَ لا؟ ماذا عن الغد؟ عند الساعة العاشرة».

وجد كاو نفسه يومئ برأسه من دون التفكير حتى في الأمر.

سمع كاو صوت سكريتش الناعم في الخارج. لا بدّ أنها قلقة عليّ. ولم يشأ أن تدخل الغربان الغرفة وتخيف سيلينا، لذا قال: «عليّ الذهاب».

كانت تراقبه عن كثب وقد رفعت حاجبيها وقالت: «حسناً، إلى اللقاء كاو. أراك غداً. سأحرس ممتلكات والديك حتى ذلك الحين».

قال كاو: «ممتلكات!؟». هل وجدَتْ أي شيء في المنزل؟

ابتسمت مجدداً وقالت: «أنا أمزح».

فقال وقد احمرّ وجهه: «أوه، حسناً. فهمت. إلى اللقاء إذاً».

غادر الغرفة، وكانت بشرته لا تزال محمرة بشدة. لكنه عندما نزل السلالم، أحس بخفة في صدره. فقد مضى وقت طويل على تحدثه إلى شخص عادي. وباستثناء بعض الهفوات، سارت الأمور على ما يرام. تساءل عمّا إذا كان بوسعه إخبار كرامب عن الفتاة؛ فخارق الحمام لا يملك الكثير من الوقت لغير الخارقين.

توقّف في غرفة الجلوس، وخطرت في باله الآن كل أنواع الأسئلة. من أين هربت؟ ولماذا؟ وكم مضى على وجودها هنا؟ وكيف صمدت لغاية الآن؟

هناك الكثير من الوقت لسؤالها عن ذلك لاحقاً.

قالت شيمر فيما قفزت جانباً عندما وصل إلى الباب: هل وجدت شيئاً؟

كذب كاو وقال: «ليس تماماً. هيّا، فلنعد إلى المنزل».

أقرأناكموه

قالت شيمر: لا شيء على الإطلاق؟! فيما أمالت رأسها.

قال كاو: «المكان عبارة عن أنقاض. كان يجدر بي الإصغاء إلى غلام».

قال غلام: قلت لك ذلك.

عرف كاو أنه يجدر به إخبار الغربان عن سيلينا، لكنها ستعارض الأمر؛ تماماً مثلما حصل مع ليديا. بالإضافة إلى ذلك، أخفت الغربان الأسرار عنه طوال حياته، لذا من الرائع إخفاء سر عنها؛ حتى لو كان هذا الأمر بسيطاً.

كان قد وصل إلى نهاية الممر تتبعه الغربان عندما وقف جسم أمامه.

أصيب كاو بذعر شديد فشهق، فيما حلقت الغربان في الهواء مصدرة صيحات عالية. تراجع إلى الخلف، ووقع على ظهره. أرادت كل عضلاته الهروب، لكنه أحسّ أنه عاجز عن التحرك تماماً.

حرّك الرجل رأسه إلى الأمام وقال: «جاك كارميكايل؟». كان صوته ملحاً، مع لثغة خفيفة. لاحظ كاو بنوع من الاشمئزاز أن أسنان الرجل كانت عبارة عن قطع حادة من المينا ناتئة من لثته.

قال سكريتش: هل تعرفه؟

نجح كاو في هزّ رأسه. إنه الشخص نفسه الذي رآه من نافذة غرفة نومه. كان يرتدي معطفاً أسود طويلاً، ووجهه نحيل جداً، مع تجويفين كبيرين تحت وجنتيه. وكانت عيناه مغطاتين بنظارة صغيرة ملونة. بدت بشرته بيضاء تقريباً، فيما الجزء الأعلى من رأسه الذي استطاع كاو رؤيته كان من دون شعر. لا يوجد أيضاً حاجبان فوق عينيه.

قفزت شيمر إلى غصن فوق الرجل وأطلقت صيحة عالية.

أقرأناكموه

فقال الرجل فيما كان يوجّه نظرات سريعة إلى كلا الجانبين: «لا أقصد الأذى؛ إذا كنت جاك كارميكايل خارق الغربان».

قال كاو محاولاً التماسك: «من أنت؟ ولماذا تتجسس عليّ؟».

عندها، مدّ الشخص الشاحب يده إلى معطفه، فانتصب كاو خوفاً، وشاهد غلام يفرد جناحيه مستعداً للانقضاض إلى الأسفل. لكن ما سحبه الرجل لم يكن سلاحاً، بل كان حجراً لمّاعاً، بنصف حجم قبضة كاو تقريباً، ولونه أسود حالك.

قال الغريب: «إنه من إليزابيت، إليزابيت كارميكايل». فيما حمل الحجر أمامه.

أحسّ كاو بالكلمات تطعن قلبه فسأله: «أمي! هل كنت تعرفها؟».

قال الرجل: «ربما، أفترض أنني التقيتها؛ مرة واحدة». ورسم على فمه شكل ابتسامة اختفت بالسرعة التي ظهرت فيها. «لا شك في أنني أصبحت الآن أقرب إليها أكثر من أي وقت مضى».

قال شيمر: أوه... ماذا يفترض بهذا أن يعني ؟!

حدّق كاو إلى الحجر الموجود في يد الرجل. وكلما نظر إليه أكثر، وجد صعوبة أكبر في التركيز على حوافه. لم يكن أسود تماماً، وفي أعماقه، بدا وكأن دوامات ملونة تتحرك بطريقة ضبابية. تراجع كاو إلى الخلف، فلحق به الرجل دافعاً الحجر نحوه.

«إنه لك أيها الشاب. إنه لخارق الغربان. خذه، خذه».

قال سكريتش: قد يكون فخاً.

استطاع كاو الإحساس باليأس في كلمات الشخص الغريب، لكنه أحسّ نوعاً ما بأن ما يقوله هو الحقيقة. الحجر له. عرف ذلك في أعماق نفسه. مدّ يده نحو الرجل، فوضع هذا الأخير الحجر في راحة

أقرأناكموه

يده. كان أخفّ مما توقع كاو، ودافئاً على نحو غريب.

قال كاو: «ما هذا؟».

ولكن، بدلاً من الإجابة، رفع الرجل رأسه وتراجع إلى العتمة. «عليّ الذهاب. لا أريد أية علاقة به يا خارق الغربان. عليك تحمّله وحدك».

استدار كاو فشاهد حمامة تخرج من نافذة في الجهة الخلفية لمنزل والديه. إنها واحدة من طيور كرامب. حلقت بعيداً مثل ظل رمادي.

أطبق قبضة يده حول الحجر. أدرك أن الغربان تصدر ضجيجاً، لكنه كان مركزاً جداً على الإحساس الغريب الذي يشعر به في راحة يده الممسكة بالحجر النابض. هل هذا خفقان قلبه فقط؟

عندما رفع كاو رأسه لينظر إلى الغريب مجدداً كان قد اختفى. حطّ سكريتش على كتفه، ونقر أذنه بمنقاره.

قال كاو: «آخ! لماذا فعلت ذلك؟». ووضع الحجر في جيبه.

قال سكريتش: لأنك لم تكن تسمع. هل أنت بخير؟

أومأ كاو برأسه ببطء وقال: «فلنعد إلى دار العبادة، و... لنبقِ هذا الأمر سراً بيننا. اتفقنا؟».

قهقه سكريتش وقال: ومن سنخبر؟! فالآخرون لا يفهمون لغة الغربان، أليس كذلك؟

قال كاو: «أحسنت».

الفصل 2

استيقظ كاو على ضوء رمادي سابق لبزوغ الفجر تسلل عبر فتحة في العوارض الخشبية لدار العبادة. سمع أزيزاً، وشمّ رائحة أشعرته بإحساس مفاجئ بالجوع الشديد.

نقانق...

استدار في فراشه مبعثراً كومة الكتب المكدسة قربه. فجأة، عادت إليه ذكرى الليل؛ الحجر الغريب.

كان كرامب على مسافة أمتار قليلة منه، متكئاً فوق موقده، ومديراً ظهره لكاو. وكان يقلّب النقانق في مقلاة كبيرة. جلس بيب قربه، تاركاً فأرة صغيرة تركض صعوداً ونزولاً تحت كمه وفوقه. ارتدى سترة عسكرية كبيرة عليه بنحو ثلاثة مقاسات على الأقل، فيما احتاج شعره المبعثر إلى تمشيط جيد. نظر بنهم إلى المقلاة.

قال خارق الفئران: «لا بدّ أنها أصبحت جاهزة الآن».

قال كرامب: «اصبر».

هدلت حمامة تقف على إحدى عوارض السقف.

فقال كرامب: «لقد استيقظ، أليس كذلك؟ أنا متفاجئ بعد كل ذلك التسلل في الليلة الماضية».

أدرك كاو أن كرامب يتحدث عنه فتورّد خجلاً، متذكراً طائر الحمام الذي رآه في الليلة الماضية. ماذا رأى بالضبط؟ جلس على

أقرأناكموه

فراشه، وجاءت إليه غربانه الثلاثة من حيث كانت تقف على قوس النافذة، وحطّت قربه. أحس بالانزعاج من نفسه؛ أولاً لأنه لم يتوخَّ الحذر في التخفي عند تسلله، وثانياً لشعوره بالإحراج. لم يرتكب أي خطأ.

قال: «أردت إلقاء نظرة. ما المشكلة في محاولة معرفة شيء عن ماضيّ؟».

سأله كرامب بعد أن استدار نحوه أخيراً: «وهل وجدت أي شيء؟». كان يعتمر قبعة حمراء مزينة بوجه نمر- القبعة الجالبة للحظ الخاصة بفريق البايسبول في بلاكستون- فيما خرج شعره الطويل من تحتها. أما لحيته وشاربه فقد نمت على وجهه على شكل رقع. تذكر كاو المرة الأولى التي التقيا فيها؛ افترض يومها أن كرامب مجرد مشرد يعيش في شوارع بلاكستون.

قال كاو: «لا». ومدّ يده بصورة تلقائية إلى جيبه حيث يوجد الحجر الأسود، لكنه أخفى تلك الحركة باللعب بالسحاب.

قال كرامب: «أنت تكذب. قال بوبين إنه كان هناك شخص آخر في المنزل».

قال غلام: عمّ يتحدث؟

«قال إنها فتاة. فقد دخل عبر النافذة ليرى ماذا تفعل. أليس هذا صحيحاً بوبين؟».

حرّك طائر الحمام السمين الجاثم على العارضة الخشبية رأسه، فتذكر كاو المخلوق الذي ظن أنه رآه عندما دخل المنزل. لا بد أنه طائر كرامب، كان يراقبه.

قال كاو بعبوس: «كانت مجرد فتاة نائمة هناك. لا داعي لتجسسك عليّ».

أقرأناكموه

قال كرامب: «ولا داعي لكذبك عليّ». فجأة، بدا وجهه أكبر من سنواته العشرين. وضع النقانق التي يتقطر منها الدهن في ثلاثة أرغفة خبز وهو يقول: «يفترض أننا عائلتك كاو».

قالت شيمر: هل ستخبره عن الرجل الغريب الذي التقيته في الخارج؟

هزّ كاو رأسه فيما أعطاه كرامب طبق الطعام. يبدو أن الطائر بوبين لم يرَ الرجل الشاحب، وبالتالي لا داعي لإخبار كرامب. إذ سيفضي ذلك إلى المزيد من الأسئلة عن اللقاءين، وتذكر كاو بوضوح ما قاله ذلك الرجل. الحجر له وحده. وإلى أن يعرف حقيقته، سيبقى الأمر على هذا النحو.

قال بيب فيما كان يتناول طعامه: «حسناً، أية فتاة؟».

قال كاو: «اسمها سيلينا، وهي متشردة».

أومأ كرامب برأسه فيما كان يلتهم الشطيرة الخاصة به، وشرد في تفكيره، ثم قال: «يجدر بك البقاء بعيداً عنها. فما من خير يأتي نتيجة الاختلاط بالبشر».

أحسّ كاو بشيء من العصبية؛ إذ لا يستطيع كرامب أن يخبره بما يجدر به فعله لمجرد أنه أكبر منه ببضعة أعوام. «لكن...»

قال كرامب: «كاو، باتت لديك مسؤوليات الآن بصفتك خارق. لا يمكنك إخبار الناس من تكون؛ إذ لا يمكن الوثوق في البشر».

لم يكن كاو واثقاً ممّا قاله كرامب الذي يظن أن الجميع يسعون إلى إلقاء القبض عليه. وبالإضافة إلى ذلك، إن ليديا- صديقة كاو- فتاة عادية. صحيح أنه لم يرها منذ شهرين تقريباً؛ منذ أن جاء للعيش مع كرامب، لكن ذلك لم يكن نتيجة عدم رغبته في رؤيتها، بل السبب الحقيقي هو علمه بأن أمها لا تريده أن يقترب منها. إذ إن والدها السيد

أقرأناكموه

ستريكهام لا يعرف أي شيء عن الخارقين. فهم يملكون حياتهم الخاصة. حياة عادية.

سأله بيب بتفاؤل: «هل ستأكل هذه؟». فيما أشار إلى شطيرة كاو. كان طبقه قد أصبح فارغاً الآن، فيما تولت بعض الفئران التهام الفتات.

أجاب كاو: «نعم». وشدّ الطبق إلى صدره.

قال كرامب: «هذا أفضل. لدينا تمرين هذا الصباح، أتذكر؟ ومن ثم درس القراءة».

زمجر كاو. صحيح أنه يستمتع بالقراءة، لكن كرامب يصرّ على تدريبه مع حيواناته ثلاث مرات أسبوعياً، ويكون ذلك صعباً جداً.

«هل هذا ضروري؟».

نظر إليه كرامب بانزعاج وقال: «كم مرّة علينا خوض هذا الحديث كاو؟ ربما يكون الرجل الدوام قد اختفى، لكننا لا نعرف عدد أتباعه الذين ما زالوا أحراراً وينتظرون تسديد الضربة».

لمعت صورة في عقل كاو؛ العنكبوت الأبيض الذي رآه يتحرك بسرعة في المدافن بعدما قضى على الرجل الدوام إلى الأبد. لكنه رآه لنصف ثانية فقط، ولا شك في أن عقله المتعب كان يتوهم ذلك. طرد تلك الفكرة من رأسه.

بدأ كاو بالكلام: «من دون زعيم...»

فقاطعه كرامب بصرامة: «سيكون هناك دوماً عدو جديد».

وقبل أن يتمكن كاو من الاعتراض أكثر، مرّت حمامة بسرعة أمامه، وأخذت الشطيرة من طبقه وطارت إلى الأعلى، بعيداً عنه.

قال كاو: «هذا مضحك جداً». فيما قطب حاجبيه. أفلت طائر الحمام الشطيرة، فأمسك بها كاو. «سأتدرب مرتين أكثر يوم غد. ما رأيك في ذلك؟».

أقرأناكموه

وجّه إليه كرامب نظرة قاسية، فلم يستطع كاو إلا النظر بعيداً، وشعر بالإحراج. فبعد كل ما فعله كرامب من أجله، إنه يدين له ربما بشيء أكثر من الاحترام. لكن جزءاً منه بقي عدوانياً. فكرامب ليس والده، أو أخاه الكبير، لكنه يقول له دوماً ما يجدر به فعله. لقد أعطاه كرامب ساعة ليجبره على المجيء إلى مواعيد الوجبات في الوقت المحدد. ولكنه ليس ملزماً بإخباره كل شيء. قال كرامب: «لا أستطيع إجبارك، لكن تذكر أن دفن إميلي هو بعد ظهر اليوم».

قال كاو: «طبعاً». وكان قد التقى خارقة ديدان أم أربعة وأربعين العجوز مرة واحدة فقط. كانت سيدة عجوزاً حزينة، متأثرة بموت أولادها خلال الصيف المشؤوم. سأل بهدوء: «هل صحيح أنها لا تملك وريثاً؟».

أومأ كرامب برأسه إيجاباً وقال: «بعد موتها، ستنتهي سلالة ديدان أم أربعة وأربعين إلى الأبد».

خيّم الصمت على الغرفة. فالقوى الخارقة للخارقين تنتقل من الأهل إلى أولادهم فقط، وما من طريقة أخرى لانتقالها.

قالت شيمر: إن لم نتدرب، فماذا سنفعل؟ لاحظ كاو أنها كانت تنظر إلى شطيرته أيضاً، فأخذ قطعة منها ورماها لها.

وقال: «سوف نخرج».

قال بيب فيما وقف على قدميه: «هل أستطيع الذهاب معك أيضاً؟».

نجح كاو في إخفاء تكشيرته على شكل ابتسامة. من الممتع أحياناً وجود بيب قربه، لكنه في أحيانٍ أخرى يلحق به مثل ظله مما يجعل كاو توّاقاً فعلاً للتواجد بمفرده.

قال كاو: «لماذا لا تبقى هنا وتتدرب مع كرامب؟ سوف تسأم

معي، فالغربان مملة مثلما تعلم».

قال سكريتش: رائع.

بدا بيب خائب الأمل، ولكنه أومأ برأسه.

فتح كاو البطانية الملفوفة التي يستخدمها بمثابة وسادة، وأخرج نصلاً داكناً ونحيلاً؛ إنه منقار الغراب. وضعه داخل القراب الذي صنعه له من الجلد العتيق، وعلّق أربطته فوق كتفيه، فاتسعت عينا كرامب نتيجة الفضول، وسأله: «هل تتوقع مواجهة مشاكل؟».

هزّ كاو رأسه وأجاب: «مثلما قلت، نحن لا نعرف أبداً من ينتظرنا». وتوجّه نحو السلالم، فلحقت به غربانه.

قال غلام: نحن طيور مملة، أليس كذلك!؟

انتظر كاو إلى أن أصبح بعيداً قليلاً، ثم همس: «لا أريد أن تراقبنا أي عيون اليوم؛ ليس حيث أريد الذهاب».

قالت شيمر: أوه... مهمة سرية!

قال كاو: «انتبهي إلى طيور الحمام. سأشرح لكِ الأمر في الطريق».

كانت بلاكستون مدينة تضجّ بالتاريخ. وقد تولى كرامب مهمة إخبار كاو عنها على مدى ليال عدة؛ كيف بدأت قبل مئات الأعوام على شكل مستعمرة قرب ضفتي نهر، وكيف نمت عندما تمّ وضع سدّ في النهر وتحويل مياهه لريّ محاصيل الحقول، وكيف أصبحت مركزاً مهماً عند تقاطع طريقين مهمين للتجارة. وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر، تم استبدال المباني الخشبية بأخرى قرميدية. وازدهرت المدينة بفضل الثورة الصناعية التي شهدتها البلاد. وتم توسيع مجرى النهر وتحويل مساره مجدداً، فيما شُيّدت جسور فوقه.

أقرأناكموه

ومع كل جيل، جاءت موجات جديدة من الأشخاص واستقرت في المدينة، فأحضرت معها ثقافتها وأفكارها. وتم استبدال الأعمال الفولاذية والمصانع بعالم المال والتكنولوجيا، فساد الازدهار وانتشر السكان. بدت بلاكستون في مسار تطور لا يتوقف.

إلى أن جاء الصيف المشؤوم؛ عندما مزقت حرب الخارقين المدينة إرباً.

مرّت ثمانية أعوام على ذلك، لكن بلاكستون لم تستعد عافيتها بعد. إنها مثل حيوان مجروح عاجز عن الوقوف على قوائمه، وإنما متشبث بالحياة.

رأى كاو المدينة بطريقة مختلفة عن رؤية الأشخاص العاديين لها؛ أولئك الذين يمشون على الأرض، ويتحركون اعتماداً على أسماء الشوارع والمعالم الرئيسة في المدينة. عرف الأقسام الهادئة، وتلك المزدحمة على الدوام؛ أماكن الأمان والخطر. كما عرف المساحات التي يستطيع إيجاد الطعام فيها، وتلك التي يكون فيها الفتات ضئيلاً. وعرف أين يمكنه التحرك من دون أن يراه أحد في العتمة، وأين تستطيع أضواء السلامة كشفه. إنه لا يقيس المسافة بالأميال، وإنما بالوقت. عشر دقائق للعبور من محطة القطار المهجورة، عبر الطرقات غير المستعملة، إلى الكاتدرائية. أما إذا سلك الطريق فوق سطوح مصنع المطاط القديم فسيستغرق الوصول اثنتي عشرة دقيقة.

وأينما ذهب، كانت بعض طبقات الماضي تكشف عن نفسها. لا شك في أنه لم يبق الكثير من المرحلة السابقة للقرن السابع عشر؛ دار عبادة هنا وأخرى هناك، أو أعمدة قديمة ناتئة من النهر- حيث كان سدّ الماء سابقاً- مثل أرومات متعفنة. في الإجمال، قضى القرن العشرون على كل ما كان موجوداً سابقاً.

إلا أن مجاري الصرف الصحي القديمة بقيت، وشقت طريقها في أنفاق مقوسة في كل أرجاء المدينة تقريباً، لتفرغ محتواها في محطات ضخ ومصانع تكرير، وتصل في النهاية إلى الأطراف البعيدة لنهر بلاكواتر.

في أيام استكشافه الأولى، لم يذهب كاو إلى هناك مطلقاً. ولكن، مع مرور الوقت، وازدياد ثقته في نفسه، بدأ يغامر تحت الأرض. خلال النهار، حين لا تكون أسطح المنازل آمنة بسبب عمال البناء، أو مروحيات الشرطة، تبدو الأنفاق تحت الأرض بمثابة سبيل آخر للتجول في المدينة.

لكن الغربان لم تتحمس يوماً لذلك.

قال غلام فيما نزل كاو سلماً يؤدي إلى نفق قرب دار العبادة: الطيور لا تحب السقوف.

وقالت شيمر: السماء تعني الأمان.

قال سكريتش: لا تقلقا، سأهتم بكما. لكن صوته ارتجف قليلاً.

أصدر غلام قهقهة عالية وقال: رجاء، فليعطني أحد ما كيساً لأتقيأ.

قال كاو: «علينا التأكد من عدم لحاق أي كان بنا. إنه الطريق الوحيد».

وقفز عن أسفل السلم الفولاذي وهبط في النفق. كان النفق جافاً لحسن الحظ، لكن الهواء فاسد وكريه الرائحة.

فيما بدأ كاو يمشي في النفق، أخرج مصباحاً يدوياً من جيبه وأناره. تبادلت الطيور موقع الصدارة. لم يلتق أي شيء هنا في الأسفل باستثناء الجرذ الغريب، لكن المكان لا يزال يشعره بالخوف. لم يشأ النزول إلى هنا بمفرده.

أقرأناكموه

شعر بالتحسس في ظهره، فسوّى حمالتي الكتفين المربوطتين تحت ملابسه للتأكد من أن منقار الغراب في وضعية مريحة. لا شيء مثير في السلاح القديم عند النظر إليه. فنصله ضيق ثنائي الوجه، وطوله قدمان تقريباً، وهو غير حاد كثيراً، لكنه قد يخيف أي معتدٍ لوقت كافٍ يتيح لكاو الفرار. بالإضافة إلى ذلك، إنه سيف سلالة الغربان، وفيه القوة لفتح البوابة المؤدية إلى البعد الآخر. لذا، يتوجب على كاو حمله.

تحسس كاو الحجر في جيبه بيده الطليقة. هل له علاقة أيضاً بسلالة الغربان؟ لا يبدو له مميزاً اليوم، أو حتى سحرياً، لكن لا بد من وجود ميزة خاصة فيه، وإلا فلماذا أرادت أمه أن يحتفظ به؟ لقد كانت خارقة الغربان قبله.

هل كان الشخص الغريب الأصلع الذي التقاه في الليلة الماضية يقول الحقيقة بشأن معرفته والدته؟ اعتقد كاو أنه خارق أيضاً، رغم أنه لم يرَ أي حيوانات برفقته.

هناك العديد من الأسئلة، وعرف كاو مكاناً واحداً فقط يستطيع فيه إيجاد الأجوبة.

قال سكريتش: مرحبًا؟ الأرض تنادي كاو...

قال كاو: «أوه... ماذا؟».

قال سكريتش: إنك تتصرف بطريقة غريبة فعلاً. غلام يتحدث إليك.

قال كاو: «عذراً، كنت أفكر. ماذا كنت تقول غلام؟».

قال غلام: قلت إننا نتجه نحو الغرب، أليس كذلك؟ ولمعت عينا الغراب باللون الفضي تحت ضوء المصباح. هل سنعود لرؤية تلك الفتاة؟

أقرأناكموه

قال كاو وقد خفف سرعته: «لا. سنذهب إلى غورت هاوس».

قال غلام: منزل كوايكر! لماذا تريد التعاطي مع ذلك العجوز الجبان؟

قال كاو: «إنه يعرف شيئاً ربما بشأن الحجر الأسود».

فهو لا يستطيع حمله معه من دون أن يعرف أبداً سبب تميزه. وكان واثقاً تماماً من أن أمه لا تريد ذلك. فقد كانت ستخبره بنفسها عن أهميته لو استطاعت. إنه واثق من ذلك.

بدت الأنفاق وكأنها مشيّدة من قبل رجل مجنون. ففيها أعمدة، وهي عريضة وضيقة، ومتشابكة في مستويات مختلفة ضمن متاهة معقدة. مشى كاو لمدة عشرين دقيقة، معتمداً على ذاكرته، قبل أن يتسلق عدة سلالم. طقطقت قدماه على السلالم، وتردد صدى خطواته في الأنفاق فيما وصل إلى أعلى مستوى.

قالت شيمر فيما جثمت على أنبوب ناتئ: هل أنت واثق من أنك تعرف إلى أين نذهب؟ فأنا لا أريد أن أضيع هنا.

فأجاب سكريتش فيما اقترب منها: نحن نعرف هذه الأنفاق مثل أجسامنا. أشعر بالبرد، وأنت؟

ابتعدت شمير عنه قائلة: أنا بخير. شكراً.

بدأ النفق يرتفع قليلاً. أحصى كاو الأعمدة العمودية التي مرّ أمامها، إلى أن أصبح واثقاً من أنه وصل إلى العمود الصحيح.

قال: «هذه محطتنا».

مشى في المقدمة، ورفع غطاء فتحة الصرف الصحي من الأسفل ونظر إلى الأعلى. تماماً مثلما توقع، وجد نفسه في طريق مقفر مرصوف بالأشجار ومتجه صعوداً. أصبحوا على حافة الطريق في أسفل هضبة هيريك هيل، وهي منطقة كثيرة الأشجار في ضواحي بلاكستون.

قالت شيمر: الحمد لله على الهواء المنعش! وحلقت إلى أغصان شجرة، فلحق بها الغرابان الآخران. تسلّق كاو بجهد، وأغلق الغطاء خلفه. بات غورت هاوس على مسافة قصيرة في أعلى الهضبة، لكنه انطلق راكضاً على جانب الطريق. المكان هادئ، ومن المستبعد أن يصادفوا أحداً. رغم ذلك، كان مستعداً للاختباء بين الأجمات عند الحاجة.

مكتبة الرمحي أحمد

حتى لو كان كوايكر جباناً، فإن كاو يثق فيه. ففي النهاية، إنه خارق الهررة الذي كان أول من أخبره عن منقار الغراب، ووالديه، والعديد من الأمور الأخرى. كان أكاديمياً من الطراز الأول، ومتخصصاً في تاريخ سلالات الخارقين وثقافتهم. وفي الواقع، إن غورت هاوس مليء بالكنوز والتذكارات والكتب. إنه متحف بالنسبة إلى الخارقين.

لكن، عندما اقترب من المنزل برفقة غربانه تسارع خفقان قلبه.

ثمة خطب ما.

فالبوابات مفتوحة، وهناك سيارة شرطة في الممر الدائري أمام المنزل، فيما صفاراتها تدور بصمت. رفع كاو يده لإيقاف الغربان، لكنها لم تحتج إلى التعليمات؛ فقد توقفت على السور.

سأل سكريتش: ماذا يجري؟

ازداد انزعاج كاو مع مرور كل ثانية. هل حصل شيء ما لكوايكر؟ ماذا لو دخل سارق ما منزله؟ أو شخص أسوأ من السارق تسلل عبر البوابة، بمحاذاة الشجيرات المنحوتة المؤطرة للفناء الأمامي.

سمع صراخ أحدهم وهو يقول: «أبعد يديك عني». تلاه مواء هررة.

أقرأناكموه

اختبأ كاو على الفور، لكنه رأى كوايكر وهو يخرج عبر الباب الأمامي لمنزله، وذراعاه مكبّلتان وراء ظهره، يدفعه شرطيان إلى الأمام. كان يرتدي بذلة تويد بنية ومعطفاً أحمر، وينتعل حذاء موكاسين خردلي اللون. تحركت بعض القطة المخططة بالأسود حول ساقيه، فيما دفعه رجلا شرطة نحو سيارتهما. وقعت نظارته على الأرض، فسحقها أحد الشرطيين بجزمته.

قال كوايكر: «لم أرتكب أي خطأ! قولا لي على الأقل ما الذي تريدانه».

قفزت قطة رمادية على غطاء محرك السيارة، فيما انتصب شعرها في ظهرها المقوس.

فقال كوايكر: «لا فريدي!».

فكّ أحد رجلَي الشرطة عصاه من غمدها، ووجّهها نحو القطة بطريقة وحشية، فجعلها تقفز على الأرض، ثم اختفت في الحديقة.

تمتم كاو: «ليس هذا عادلاً». فيما بدأ يخرج من مخبئه.

عندها، قال غلام: لا. فتردد كاو.

قال كوايكر: «أريد أن أعرف ما يجري». فيما خرج شرطي ثالث من المنزل.

«هل وجدت أي شيء؟». قال الشرطي الذي حاول ضرب القطة.

فأجاب الشرطي الثالث: «المكان مليء بالكتب القديمة والتحف العتيقة. نحتاج إلى المزيد من الرجال إذا أردنا إجراء بحث شامل».

قال كوايكر: «لن تفعلوا ذلك من دون إذن!».

بوم!

ضرب الشرطي كوايكر على فكه بمتن يده قائلاً: «أغلق فمك!».

جفل كاو. إنه لا يعرف الكثير عن رجال الشرطة، لكنه يعرف أنه لا يجدر بهم التصرف هكذا.

تقدم كوايكر مع رجال الشرطة بصعوبة، فيما تم دفعه نحو السيارة.

قال كاو: «لا يمكنني السماح لهم بأخذه». لكن قدميه رفضتا التحرك.

قال سكريتش: ماذا ستفعل؟ إنهم ثلاثة. ولا يمكنك أن تظهر لهم أنك خارق. أتذكر؟

صعد رجال الشرطة الثلاثة إلى السيارة بعد كوايكر، ثم هدر المحرك، وابتعدت السيارة عن المنزل. خبأ كاو نفسه بين سياج الشجيرات، وراقبهم وهم يبتعدون، فيما خفق قلبه بقوة. عندها، خرجت عدة قططة من المنزل، وبكت حزناً. اجتمعت القططة عند البوابة فيما نزلت السيارة الهضبة.

قال غلام: إنهم من الشرطة كاو. لا يريدك كرامب أن تتورط، وأنا أوافقه الرأي مجدداً... هاي!

بدأ كاو ينزل الهضبة راكضاً، ومتشبثاً بالحجر في جيبه خوفاً من وقوعه. عرف ما يجدر به فعله؛ فإذا تحول إلى غراب، فبإمكانه اللحاق بهم من الهواء. استجمع كل قوته، وقفز عن الأرض، آمراً التحول بالحدوث، وسامحاً للغراب الداخلي فيه بأن يسيطر عليه...

ولكنه وقع على الأرض بقوة، منقطع الأنفاس.

قال سكريتش: حسناً، كان هذا محرجاً. وحطّ قربه.

قال غلام: يجدر بك التدرب مع كرامب ربما.

جلس كاو وفرك ظهره. لماذا لم ينجح الأمر؟! فقد فعل ذلك سابقاً.

قال لغربانه: «احمليني وراء سيارة الشرطة!».

أغمض عينيه، وأطبق يديه، وأحسّ بالقوة تتراكم داخله. إنه لا يستطيع ربما التحول إلى غراب، ولكنه يستطيع فعل شيء جيد آخر.

وعندما فتح عينيه مجدداً، رآها آتية نحوه. بقع سوداء أتت من كل حدب ونحو. غربان بلاكستون أطاعت سيدها.

هبطت الغربان، الواحد تلو الآخر، في دوّامة داكنة، والتفت حول ملابسه. وفيما ثبّت كل غراب نفسه بملابسه، أحسّ كاو أن جسمه أصبح أخف وزناً إلى أن ارتفعت قدماه عن الأرض تماماً.

قال: «الحقي بهم».

تحركت ساقا كاو فيما حملته الغربان عالياً في الهواء، ملتزمة بمسار الطريق تحتها. تحوّل الذعر إلى فرح كبير فيما استسلم كاو لقوة أجنحتها وانكمشت الأرض بعيداً عنه. استطاع رؤية المدينة من بعيد. عليه إيقاف السيارة قبل أن تصل إلى المدينة المزدحمة إذا أراد تفادي افتضاح أمره أمام غير الخارقين. حرّك الغربان بعقله. هناك! كانت السيارة أمامه، تتحرك ببطء على الطريق الملتوي. أسرعت الغربان في تحليقها، وبات كاو على مسافة عشر أقدام فقط فوق السيارة. هل يمكنه فعل ذلك؟ عليه توقيت المسألة بشكل مثالي.

قال: «أنزليني!».

صرخ سكريتش: ماذا؟

صرخ كاو: «الآن!».

أفلتته المخالب دفعة واحدة، فسقط كاو، وارتطمت قدماه بغطاء محرك السيارة، ففقد توازنه وارتطم بزجاجها الأمامي. سُمع صوت المكابح، وانحرفت السيارة، فقفز على سقفها. فقدَ العالم توازنه، فيما ثبّت كاو نفسه بوضع ذراعيه فوق رأسه، إلى أن ارتطم بشيء قاس

جداً، من الجهة الجانبية أولاً.

تدحرج كاو، ووجد نفسه في منتصف الطريق، غير أنه نهض في الوقت المناسب ليرى سيارة الشرطة وهي تصعد على الرصيف وترتطم بشجرة مصدرة صوتاً قوياً.

شعر كاو بالكثير من الألم في كاحله عندما وقف، لكنه ظن أنه مجرد التواء. وبعد نسيانه هذا الألم، برزت دزينة من الإصابات الأخرى. وكانت سترته ممزقة أيضاً. اصطفت الغربان على الأشجار في جانبي الطريق، أما كاو فكشّر وتوجّه نحو سيارة الشرطة، وهو يشعر بخوف شديد. ماذا فعلت؟! كان الدخان يتصاعد من محرك السيارة، فيما فُتِح الباب الخلفي.

تحرّك الشرطيان بصعوبة على المقعدين الأماميين. الحمد لله أنهما على قيد الحياة، وإنما في حال خطرة. انحنى كاو فوق جسم كوايكر وفكّ حزام الأمان عنه.

قال كوايكر: «كاو!». وكان يطرف عينيه بسرعة؛ كما لو أنه في حالة صدمة.

فقال كاو: «تعال معي!».

«كيف؟».

أمسك كاو بذراع كوايكر وأخرجه من السيارة بسرعة قائلاً: «من هنا!». وأرشده إلى طريق عشبي. لكن كل خطوة خطاها بعثت سيلاً من الألم في ساقه. «ابتعد عن الطريق».

تدحرج كوايكر على جانبه في الغابة. لم يعرف كاو إلى أين يذهب، إلا أنه أراد أن يبتعد قدر الإمكان عن الشرطة. انزلقا على منحدر مكسو بالأعشاب، وارتطما بالجذور والجذوع إلى أن وصلا إلى جدول صغير. صعدا بسرعة من الجهة الأخرى للجدول، ووصلا

أقرأناكموه

إلى وادٍ صغير. وقع كوايكر أرضاً لاهثاً، فيما كان كاحل كاو يحترق ألماً، أما الغربان فحطّت حولهما.

فقال لها كاو: «انتبهي جيداً».

قال كوايكر: «أوه كاو، ماذا فعلت؟».

قالت شيمر: من الجميل قول شكراً!

سأل كاو خارق القطة: «ماذا تقصد؟! لقد أنقذتك».

أدار كوايكر رأسه إلى اليمين واليسار كما لو أنه سمع صوتاً، وامتلأت عيناه ذعراً وقال: «لا، لم تفعل. إنها تراقبنا... حتى الآن».

قطّب كاو جبينه وسأل: «من يراقبنا؟ لا يوجد أحد هنا!».

هزّ كوايكر رأسه متنفساً بصعوبة. «أنت لا تفهم كاو».

من بعيد، سمع كاو صراخاً. الشرطة، لن يمرّ وقت طويل قبل أن يصلوا.

قال كاو: «اسمع، أحتاج إلى مساعدتك، فثمة شيء أريد أن أريك إياه».

وأخرج الحجر من جيبه.

عندها، تجمّد كوايكر في مكانه وقد تسمّرت عيناه على الشيء الموجود في راحة يد كاو، وقال وهو يهزّ رأسه بسرعة: «لا. أوه، لا لا لا».

تراجع كوايكر إلى الخلف كما لو أنه خاف أن يؤذيه الحجر.

فقال كاو: «عد إلى هنا. ما المشكلة؟».

تمتم كوايكر من دون أن يبعد عينيه عن الحجر: «هذا ما تريده. الآن فهمت. كيف حصلت عليه؟».

قال كاو: «أعطاني إياه أحدهم. قال إنه من أمي».

وصل كاو إلى طرف الوادي وقال: «ربما، لكنه ليس آمناً كاو.

أقرأناكموه

لست في أمان. رجاء، ضعه بعيداً».

أعاد كاو الحجر إلى جيبه وسأل: «لماذا؟ ما الأمر؟».

تحركت حنجرة كوايكر صعوداً ونزولاً وهو يقول: «تخلّص منه. لا تخبر أحداً أنك تملكه؛ لا كرامب، ولا ليديا، ولا فيلما... لا أحد! كانت أمك ستطلب منك الشيء نفسه. إنه عبء على خارق الغربان. خذه إلى مكان بعيد حيث لا يستطيع أحد العثور عليه مجدداً، وأرجوك... أتوسل إليك... أبقه بعيداً عني».

ثم استدار واختفى بعيداً بين الأشجار.

قال كاو: «انتظر، أحتاج إلى مساعدتك!».

لكن كوايكر لم يستدر، بل كان يركض في أعماق الغابة.

قالت شيمر: لا يمكن إرضاء بعض الأشخاص. وبدا صوتها بعيداً ومكتوماً. هزّ كاو رأسه. يبدو أنه وقع على الطريق بقوة أكبر مما اعتقد.

صرخ أحد رجال الشرطة: «عثرت على آثار أقدام!».

أطلق طائر صيحة من بعيد، ولاحظ كاو أنه غلام الذي كان جاثماً على غصن على مسافة عشرين قدماً. فسأله كاو: «ماذا قلت؟».

أجاب غلام: من هنا! سنخرج من هنا.

ركض كاو خلفه وهو يشعر بألم كبير في كاحله، وأحس بالحجارة ترتطم بجانبه. حتى تلك اللحظة، لم يعرف ما الذي يجدر به فعله.

الآن، أصبح خائفاً فعلاً.

أقرأناكموه

الفصل 3

أسرع كاو نحو المدافن، ولحقت به غربانه، فرأى كرامب وبيب ينتظرانه عند البوابة. قد يظن أي شخص غريب أنهما أخوان لا يشبهان بعضهما؛ الأول طوله أكثر من ست أقدام، والثاني لا يتجاوز طوله أربع أقدام ونصف القدم.

قال غلام: بذلا جهداً كبيراً، أليس كذلك؟

لاحظ كاو ذلك أيضاً. فقد مشّط كرامب شعره، وحلق ذقنه، وكان ينتعل أفضل حذاء عنده؛ أو ربما وضع شريطاً لاصقاً جديداً حول الحذاء القديم. أما بيب فارتدى بذلة سوداء مجعدة، وبدت السترة فضفاضة على كتفيه، كما نجح في العثور على ربطة عنق من مكان ما. فجأة، انتبه كاو إلى معطفه الممزق وحذائه البالي.

زمجر خارق الحمام: «ها قد ظهرت أخيراً. أين كنت طوال النهار؟».

قال كاو: «عذراً، لم أنتبه إلى مرور الوقت».

قال كرامب: «هممم. هيّا، سيبدأ حفل التأبين بعد قليل».

لحق كاو بكامب وبيب، فيما طارت غربانه وحطت فوق باب دار العبادة. كان كاحله لا يزال يؤلمه قليلاً، ولكنه بالكاد يعرج الآن.

تماماً مثل دار العبادة المدمرة التي يقيمون فيها، كان هذا المكان مهجوراً منذ زمن بعيد، والمدافن غير مرتبة. أحس كاو بالغرابة

أقرأناكموه

لتواجده هنا؛ في المكان الذي دفن فيه والداه. أخذهما كرامب إلى الجهة الأخرى من دار العبادة، حيث رأى كاو مجموعة صغيرة من الناس مجتمعة حول قبر حديث. ثمة كومة من التراب قرب المدفن، في انتظار أن يتم رميها في الحفرة في الأرض.

حضر الدفن قرابة اثني عشر شخصاً، بالإضافة إليه وكرامب وبيب. تعرف كاو إلى عدد من الخارقين الآخرين. هناك آلي الذي ارتدى بذلة سوداء ضيقة، وبقي ممسكاً بحقيبته التي أصدت صوت طنين ناعماً. وعرف كاو أنه توجد مجموعة من النحل داخلها. ووقف راكلن، خارق الذئاب الضخم، بجانبه. خاب أمل كاو لعدم رؤيته مادلين، الفتاة ذات الشعر الأسود التي تجلس على الكرسي المتحرك، لكنه رأى اثنين من سناجبها على الأغصان عند طرف المدافن.

حاول التعرف إلى الوجوه الأخرى من دون التحديق إليها. كانوا من جميع الأعمار. فثمة فتاة في الرابعة أو الخامسة من العمر مع كلب دوبرمان ضخم جالس بصبر قربها. وهناك رجل عجوز متكئ على عصا، لكنه غير مصحوب على ما يبدو بأي نوع من الكائنات. وثمة صبيان متشابهان في الشكل وقفا على جانبي أرنب بري كبير ارتعش أنفه. وفي الخلف، وقف ثنائي شاب قرب طفل يجلس في عربة. وكان ثمة صقر جاثم على حافة العربة، وقربه راكون. هل كلا الوالدين خارقان؟

أمام القبر وقف شخص يعرفه كاو جيداً. كانت السيدة ستريكهام ترتدي معطفاً أسود طويلاً ذا أزرار لامعة. بدت أكثر رزانة مما يذكرها قبل شهرين، وبدت قسمات وجهها مشدودة. ألقت التحية على كاو بإيماءة رأس خفيفة وابتسامة جعلت قسماتها أكثر نعومة. كانت تحمل وردة بيضاء، وقالت: «تجمعوا هنا من فضلكم».

انضم كاو إلى المجموعة التي شكلت حلقة حول القبر الفارغ.

لم يتحدث أحد لثوانٍ معدودة. لم يكن كاو قد حضر أية جنازة من قبل، ولا جنازة خارق طبعاً. ولم يكن يعرف ما يفترض أن يحصل. ثم لاحظ أن أفراد المجموعة استداروا الواحد تلو الآخر نحو دار العبادة، فنظر إلى حيث ينظرون. في أعلى الطريق، رأت عيناه الشيء الأكثر غرابة.

ليس التابوت بحد ذاته؛ إذ كان صندوقاً بسيطاً مصنوعاً من خيزران محبوك بإحكام. لكن اللافت أنه تحرك، بل انزلق فوق الأرض غير المستوية كما لو أنه على وسادة هوائية. فجأة، أدرك كاو ما تراه عيناه. ثمة ديدان أم أربعة وأربعين تحت التابوت، المئات منها، وتتحرك أرجلها الصغيرة بسرعة.

تمتم: «إنها تحملها».

قال كرامب: «هذه مهمتها الأخيرة».

عندما وصلت ديدان أم أربعة وأربعين إلى القبر، نزلت المنحدر المؤدي إلى قعر الحفرة، وأنزلت التابوت معها. وعندما وصل التابوت إلى القعر، تنحنحت السيدة ستريكهام، وقالت من فوق القبر: «شكراً لكم جميعاً على مجيئكم. كانت إميلي ستفرح كثيراً برؤيتكم هنا».

تحركت عدة رؤوس دليلاً على الموافقة. أحس كاو- ليس للمرة الأولى- أنه غريب وسط الخارقين، وغريب على التاريخ الذي يتشاركونه.

تابعت فيلما ستريكهام القول: «التقيت إميلي للمرة الأولى قبل خمسة عشر عاماً. كان بعضكم في سن صغيرة جداً ليذكر المرحلة السابقة للصيف المشؤوم؛ حين كان العديدون منا يعرفون بعضهم بعضاً». وارتسمت ابتسامة على وجه السيدة ستريكهام حين قالت

ذلك. «أدارت إميلي مجموعة للخارقين تحت غطاء مجموعة لحياكة الصوف، واستفاد العديد من المشاركين من لطافتها ونصائحها. كما كانت أيضاً أماً حنوناً لثلاث فتيات. أقول هذا من تجربة شخصية، لكن من الصعب دوماً أن يخبر الأهل الخارقون أولادهم بذلك». صمتت قليلاً قبل أن تتابع: «أن يحمّلوهم قدرهم».

أحس كاو بالغصة، فيما طعن الألم قلبه. فقد أُخِذت أمه بعيداً عنه قبل أن تتاح لها فرصة التحدث إليه.

لامست يده الحجر في جيبه مجدداً، وأحسّ بالفراغ فجأة. هناك الكثير من الأمور التي لم تخبره بها أمه. نظر إلى الوجوه المجتمعة وهو يفكر؛ لا شك في أن أحداً منهم يعرف شيئاً بشأن الحجر؟ لكن، هل يمكنه فعلاً الوثوق فيهم؟ لمعت كلمات كوايكر في رأسه.

لا تخبر أحداً أنك تملكه؛ لا كرامب، ولا ليديا، ولا فيلما... لا أحد.

وضع كرامب ذراعه حول كتف كاو كما لو أنه أحس بانزعاجه، وسمح كاو لأصابعه بإفلات الحجر.

قالت السيدة ستريكهام: «كانت إميلي تستعد لإخبار بناتها عن قواها الخارقة عندما حلّ الصيف المشؤوم. عانيتم جميعاً خلال تلك الأشهر، وخسرنا العديد من الأشخاص الأعزاء، لكن القليلين فقط عانوا مثلما عانت إميلي».

بدا وكأن الهواء قد أصبح أكثر برودة، فيما هبّت رياح خفيفة وداعبت أغصان الأشجار، وبعثرت الأوراق المتناثرة في المدفن. لاحظ كاو المزيد من الطيور المحتشدة على الأشجار؛ طيور السمّنة، وطيور نقار الخشب، والبوم. بدت جميعها تراقب عن كثب. انزاح قليلاً الرجل العجوز المتكئ على العصا، فأخرج ابن مقرض رأسه من

أسفل ساق سرواله.

قالت السيدة ستريكهام بصوت أقرب إلى الاختناق: «كانت أفاعي مامبا تحاول العثور على إميلي نفسها، لكنها وجدت بناتها عوضاً عنها. توفين بسرعة، ويمكن اعتبار ذلك رحمة صغيرة. بعد ذلك، كافحت إميلي نوعاً ما. ولولاها لما استطعنا أبداً التغلب على أعدائنا خلال ذلك الصيف المشؤوم. لكنها استنفدت كل قواها، ولم تعد قط مثلما كانت سابقاً.

«لن أقول إن أعوامها كانت سعيدة؛ لأنه لا داعي أبداً لأن نجعل المظهر الخارجي لوجودنا جميلاً، ولم تكن إميلي لتقبل بمثل هذه الكذبة. لكنني لا أظن أيضاً أنها ماتت تعيسة. وبالفعل، لقد أخبرتني قبل أسبوع واحد من وفاتها أنها تنوي تنظيم مجموعة الحياكة مجدداً. ويعني ذلك أنها وجدت نوعاً من السلام».

توقفت السيدة ستريكهام عن الكلام، ونظرت إلى وجوه العديد من الحاضرين، ولاحظت أن العديد منهم كانوا يبكون.

قالت السيدة ستريكهام: «بوفاة إميلي تنتهي سلالة ديدان أم أربعة وأربعين. وهذا موت مضاعف؛ لأن عالمنا أصبح أضعف بعد موتها، فلترقد بسلام».

تمتمت المجموعة، وكاو معها: «فلترقد بسلام».

رمت السيدة ستريكهام الوردة فوق التابوت. وتقدم راكلن إلى الأمام، وبدأ يرمي التراب فوق القبر. لاحظ كاو أن ديدان أم أربعة وأربعين بقيت على الأرض مع سيدتها.

«ذهبت لرؤية كوايكر، أليس كذلك؟».

ذهل كاو لدى سماعه السؤال، وأدار رأسه لرؤية بيب، ثم استدار مجدداً لإبقاء عينيه على السيدة ستريكهام.

أقرأناكموه

وهمس: «لقد لحقت بي!».

قال بيب: «يمكنك التملص من الحمام ربما، لكن الفئران تستطيع الزحف في المجارير. إلا أننا فقدنا أثرك عندما صعدت السلم».

أصدر كاو تنهيدة ارتياح، فآخر ما يحتاج إليه هو أن يكتشف كرامب أمر الحادث الذي حصل مع سيارة الشرطة. لا شك في أنه لن يوافق أبداً على تصرفه.

بدأ المعزّون يبتعدون، وذهب كرامب للتكلم مع خارق ابن مقرض، وعانقه أثناء إلقائه التحية عليه. كانت فئران بيب تلعب مع الراكون، وتتسلق على فروه، فيما حاول عبثاً نفضها بعيداً عنه. أما نحلات آلي فحلقت حول أزهار المرج المحيطة بالمدافن، فيما تحدث سيدها إلى الفتاة صاحبة كلب الدوبرمان.

سأل بيب: «إذاً، ماذا فعلت مع كوايكر؟ لا تقلق. لم أخبر كرامب».

قال كاو: «افعل ما تشاء. أردت فقط سؤاله المزيد عن والدَيّ».

قطّب بيب جبينه. لكن قبل أن يتمكن خارق الفئران من طرح المزيد من الأسئلة، جاء كرامب نحوهما. «أنتما الاثنان، تعاليا وألقيا التحية على السيد دادل».

فعل بيب مثلما طلب منه من دون طرح أي سؤال، لكن كاو تردد. لماذا يريد كرامب التسلط عليه طوال الوقت؟ ادعى أنه لم يسمع، وعوضاً عن ذلك توجّه نحو خارق الذئاب الذي كان لا يزال يرمي التراب فوق القبر، وقد تلألأ العرق على جبينه.

توقف الرجل العملاق عن عمله فيما اقترب كاو منه، وغرز المعول في الأرض قائلاً: «خارق الغربان».

أقرأناكموه

لم يعرف كاو بماذا يجيب. إذ بدا وكأن خارق الذئاب لا يشاء متابعة طمر القبر، لكنه لم يتفوه بأي شيء آخر. وتمنّى كاو لو أنه ذهب برفقة بيب.

قال كاو ببطء: «أردت فقط أن أسألك عن الفتاة التي تتحدث إلى السناجب. هل هي بخير؟». تذكّر كاو أن راكلن كان يدفع مادلين في كرسيها المتحرك حين التقيا أول مرة.

تمتم خارق الذئاب: «ولمَ تسألني؟».

تراجع كاو إلى الخلف قليلاً وقال: «ظننتُ... ظننتُ أنكما صديقان».

إلا أن شيئاً ما لامس ساق كاو، وعندما نظر إلى الأسفل، رأى أنه ثعلب. كانت فيلما ستريكهام واقفة على مسافة بضع خطوات منه، وتحدق إليه بغضب.

سألته: «هل يمكنك المجيء معي للحظة من فضلك. يريد أحدهم إلقاء التحية عليك». ومن دون أن تنتظر، استدارت وتوجهت نحو الممشى في المدافن.

تمتم كاو لراكلن: «عذراً».

تضاءلت حدة الغضب في عينَي خارق الذئاب، وهزّ رأسه وقال بهدوء: «لا يا خارق الغربان، أنا آسف. كانت إميلي صديقتي، وكان اليوم صعباً. مادلين لديها موعد اليوم في المستشفى، لكنها بخير».

أومأ كاو برأسه.

قال راكلن: «وبالمناسبة، يدين لك كل الخارقين بكلمة شكراً. فما فعلته في البعد الآخر... تصرف شجاع جداً».

أعطاه مخلباً كبيراً ملطخاً بالتراب، فأخذه كاو متورداً بخجل، ثم نزل الهضبة بسرعة خلف السيدة ستريكهام. كانت قد وصلت إلى

أقرأناكموه

سيارتها وفتحت الباب.

خرجت ليديا من السيارة. كان شعرها الأحمر طليقاً فوق كتفيها، ووصلت غرّتها إلى حافة عينيها؛ مما جعل وجهها الدقيق يبدو أصغر من المعتاد. كانت ترتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً بكمّين طويلين كتبت عليه عبارة فوق صورة جبل جليدي. تأمّل الكلمات هنيهة، وكانت تقول «استمتع فقط». نظر إلى الأعلى، ورأى صديقته تبتسم له.

أسرع كاو نحوها مبتسماً ابتسامة عريضة، وبعد ذلك لم يعرف ما يجدر به فعله. في تلك اللحظة، فتحت ليديا ذراعيها، فأدرك كاو أنها تريد معانقته. عندها، انحنى إلى الأمام، وسمح لها بفعل ذلك، وطوّقها بذراعيه بطريقة غريبة، فشدّت عليه بقوة.

فالت ليديا: «لم أرك منذ زمن بعيد».

نظر كاو بسرعة إلى السيدة ستريكهام. كان انتباهها مركزاً على فناء دار العبادة، لكنه أحسّ بأنها تصغي إلى كل ما يُقال.

أجاب كاو: «لا... كنت... مشغولاً».

«هل ما زلت تعيش في دار العبادة؟».

أومأ كاو برأسه. «ماذا حصل معك؟».

نفخت ليديا وجنتيها وأجابت: «الكثير مثلما أعتقد». ثم نظرت بعيداً، وانتظرت حتى صعدت أمها إلى السيارة وأغلقت الباب. عندها، أخفضت صوتها وهي تتابع: «كاو، الأمر مريع. بالكاد تسمح لي أمي بالخروج من المنزل. أعتقد أنها قلقة من تورطي في مشاكل. ولقد خسر والدي وظيفته».

سأل كاو: «أوه، لا. لماذا!؟».

هزّت ليديا كتفها ثم قالت: «يفترض أن السبب هو المحكومين

أقرأناكموه

الذين فروا من السجن. لكن بابا يقول إن الأمر سياسي. للأمر علاقة برئيس الشرطة الجديد الذي يريد استبدال آمر السجن. والآن، علينا الانتقال من المنزل. لكن هاي...» وضربته على ذراعه. «هل كنت مشغولاً جداً لدرجة أنك لم تتمكن من المجيء لرؤيتي؟!».

أدرك كاو أنها منزعجة. وقالت والدة ليديا بتململ، وقد وضعت يدها على سقف السيارة: «علينا الذهاب».

قال كاو: «يدرّبني كرامب بقساوة كبيرة». وأدرك بسرعة كم بدا ضعيفاً. رفع كمه إلى الأعلى، وأراها الرضوض الناجمة عن دفع حمامات كرامب له على مقعد في الحديقة العامة قبل يومين. وكانت هناك العديد من الرضوض الأخرى الناجمة عن سقوطه على سيارة الشرطة؛ كشوط وكدمة أرجوانية عميقة على معصمه.

قالت: «أووووه! هل فعلت شيئاً أزعجه؟».

قال كاو بنبرة مذنبة: «الأمر أسوأ مما يبدو. وهو يعلّمني القراءة أيضاً. هناك الكثير من الكلمات التي ما زلت لا أعرفها، لكنني أتحسن».

قالت ليديا: «هذا رائع!». رغم سيطرة الحزن على وجهها فيما تحدثت. «وكيف حال سكريتش وغلام؟».

أجاب كاو: «على حالهما. حسناً، ليس تماماً. لديّ أنثى غراب جديدة اسمها شيمر. إنها ظريفة، ويحبها سكريتش كثيراً».

قهقهت ليديا: «أتعني أنه مغرم بها؟».

صرخ صوت من الأعلى: لا! ورأى كاو سكريتش جاثماً على غصن شجرة دردار. أنا فقط معجب بقدرتها على الطيران.

هدر محرك السيارة، وصعدت السيدة ستريكهام إلى السيارة مجدداً وأغلقت الباب.

أقرأناكموه

قال كاو: «ذهبنا إلى منزلي القديم البارحة. واحزري ماذا حصل! لقد وجدنا فتاة تعيش هناك!».

قالت ليديا مع تكشيرة صغيرة: «أوه! أتعني أنها احتلّته؟».

قال كاو: «أظن ذلك. اسمها سيلينا. إنها مشـرّدة، مثلما كنت أنا. سأعلمها كيف تعثر على الطعام».

قالت ليديا: «هذا... هذا رائع. هل أستطيع المجيء أنا أيضاً؟».

لـم يكـن كاو يتوقع ذلـك. «لمـاذا تريديـن البحث عـن الطعام؟ لديك طعام جيد مثلما تعلمين... على طبق».

قالت ليديا: «لأن الأمر ممتع. متى ستذهبان؟».

قال كاو: «أوه... لا أعرف. اسـمعي ليديا، مـن الأفضل ربما ألا تأتي. فقد لا يكون الأمر آمناً».

قطبت جبينها وقالت: «أستطيع الاهتمام بنفسي».

فقال كاو: «آخر مرة غامرت فيها معي، كدت أتسبب بقتلك».

بدا وزن الحجـر ثقيلاً في جيبـه. ربما تكون مخاطـر الماضي قد اختفت، لكن ثمة مخاطر جديدة تنتظـره، وهو واثق من ذلك. وقبل أن يعرف حقيقة الحجر، وسـبب خوف كوايكر منه، لن يستطيع المجازفة بمرافقة ليديا مجدداً.

فُتِحـت نافـذة السـيارة، وظهـر وجـه السـيدة سـتريكهام. «علينا الذهـاب الآن ليديـا. سـيبدأ والدك بالشـك إذا اسـتمررنا في التسـوق لوقت أطول».

قال كاو: «أنا آسف. لا أريد أن أورّطك في مشاكل».

قالت أمها: «تعالي حبيبتي».

عضّت ليديا شفتها السفلية وقالت: «كاو، ظننتُ أننا صديقان».

جفـل بسـبب نبرتهـا القاسـية المفاجئة. لا شـك في أنهما عاشـا

الكثير من التجارب معاً، لكنه لم يمتلك دوماً أي أصدقاء؛ باستثناء الغربان. قال: «نعم... هذا صحيح».

استدارت بعيداً وفتحت باب السيارة، وصعدت إلى داخلها. وفيما كانت تثبت حزام الأمان، هزّت رأسها بحزن وسألته: «إذاً، لماذا لا تتصرف هكذا؟».

أغلق باب السيارة بقوة قبل أن تتاح لكاو فرصة الإجابة، وانطلقت السيارة بسرعة، فيما بقي واقفاً بمفرده عند حافة المدافن.

الفصل 4

فرح كاو لأنه طلب من غربانه الانتظار في آخر الشارع؛ لأن سيلينا كانت واقفة خارج المنزل في تلك الليلة حين وصل. فآخر ما يريده هو إخافتها بحديثه إلى الغربان.

بدت الليلة أطول ممّا بدت عليه سابقاً، وربما أطول منه، لكنه أدرك أنها تنتعل جزمة ذات كعب مدبب، مصنوعة من الجلد، ومربوطة حول كاحليها. وكانت بقية ملابسها سوداء اللون؛ إذ ارتدت تنورة تصل إلى ركبتيها فوق جوربين أسودين سميكين وسترة سوداء ضيقة مقفلة بسحاب يصل إلى ذقنها. تساءل عما كانت ليديا ستقوله عنها. كانت تضع سماعتين في أذنيها، لكنها أخرجتهما حين اقترب منها.

قالت: «تأخرت».

أخرج كاو ساعته وتحقق منها، وكانت تشير إلى العاشرة وعشر دقائق. قال: «عفواً، ولكن كان هناك الكثير من سيارات الشرطة الليلة، وتوجّب عليّ سلوك الطريق الطويل».

قالت فيما أشارت إلى الساعة: «يفترض بك أن تضعها حول معصمك. على أية حال، ما مشكلتك مع الشرطة؟ هل أنت في ورطة أو ما شابه؟».

تورّد كاو خجلاً وأجاب: «ليس هذا... أنا فقط...» ولم يعرف

أقرأناكموه

كيف ينهي جملته.

فقالت بسرعة: «لا بأس. في الواقع، لم أكن واثقة من أنك ستأتي أصلاً». رفعت يديها في الهواء، وكانت ترتدي قفازين من دون أصابع.

لم يفهم كاو ما قصدته بقولها، وقال: «قلت إنني سآتي. هل أنت مستعدة للانطلاق؟».

أجابت: «طبعاً. إلى أين تصطحب فتاة إلى العشاء هنا؟».

حاول كاو عدم التورد أكثر، لكنه عرف أنه أخفق تماماً في ذلك نتيجة الحرارة الشديدة التي شعر بها تحت وجنتيه. لا شك في أنها لا تتوقع أن يقصدا مطعماً. فقال: «سنبحث عن فتات الطعام فقط».

قالت: «وأنا كنت أمازحك فقط. هل أقول لك أمراً؟ أرني فقط أين أستطيع العثور على وجبة جيدة، وسأعلمك حسّ الدعابة أكثر».

ابتسم كاو ابتسامة عريضة. عرف أنها تسخر منه، لكنه لا يبالي. «هل أنت جائعة؟».

أجابت سيلينا: «دوماً».

قال كاو: «أعرف مطعماً صينياً جيداً. وهم يضعون مائدة مليئة بالأطعمة الشهية جداً في الخلف قرب سلال النفايات».

قطّبت سيلينا جبينها، فقال كاو: «كانت هذه مزحة أيضاً».

عندها، صفّقت سيلينا بيديها: «أوه، جيد. أنت تتعلم، يبدو هذا رائعاً».

انطلقا إلى الشارع. وبدافع العادة، التزم كاو بالأماكن المظللة حيثما استطاع، لكن سيلينا لم تكن قلقة على ما يبدو. فقد تحركت بحيوية كبيرة، وشردت أحياناً وسط الطرقات المهجورة، أو ركلت العلب الفارغة في الشارع. وفيما تحرك رأس كاو مع كل صوت أصدرته المدينة- مثل نباح كلب بعيد، أو هدير محرك دراجة نارية-

أقرأناكموه

بدا أن سيلينا لم تلاحظ تلك الأصوات.

وصلا سريعاً إلى منطقة مليئة بمعدات البناء والرافعات. إنه موقع بناء مهجور منذ زمن طويل حسبما يذكر كاو، وتم هجره ربما بعد الصيف المشؤوم. خلع كاو سترته ووضعها على الأسلاك الشائكة فوق أعلى سور.

قال: «هذه أسرع طريقة للدخول إلى وسط المدينة». فيما رفع نفسه إلى الأعلى، ثم مدّ يده إلى سيلينا في الأسفل.

لكن لم يكن هناك داعٍ لكي يزعج نفسه، فقد قالت: «أنا بخير، شكراً». وتجاهلت يده الممدودة نحوها، وتسلقت بسرعة. جعلت جسمها في الأعلى، ثم هبطت في الجهة الأخرى من السور بهدوء مقرفصة، وسألته: «أين قلت إنك تعيش؟».

نزل كاو إلى الأسفل أيضاً وقال: «أوه... لا... أنا أتنقل».

لم يرغب كاو في إخفاء أسرار عنها، لكنه لا يزال غير مستعد لإخبارها عن دار العبادة. وشعر بالامتنان لأن سيلينا لم تلحّ عليه. وتذكّر لقاءه ليديا للمرة الأولى، وكيف أمطرته بسيل من الأسئلة.

قال: «كنت أعيش في منزل على شجرة».

أجابت: «حقاً! أين؟».

قال كاو: «في الحديقة العامة القديمة، إلى الجهة الشمالية من هنا».

فقالت سيلينا: «ذلك المكان مخيف!».

«أحببته نوعاً ما». وتذكّر كاو المكان بحنين كبير الآن، لكن الجو كان بارداً جداً أحياناً في الشتاء، حيث كان يجد الجليد على بطانيته في الصباح. سألها: «كيف حالك مع المرتفعات؟ فالطريق الأكثر أماناً يقضي بالتنقل على السطوح من هنا».

أقرأناكموه

أبعدت سيلينا حشرة عن كتفها، ونظرت إلى المباني أمامها وقالت: «سأجرّب».

انطلق كاو أولاً، واضعاً قدميه ويديه في الملاط المتصدع، وتسلق للوصول إلى نافذة مكسورة في الطابق الأول. كان هذا المكان ثكنة عسكرية مثلما أخبره كرامب. لحقت به سيلينا بسهولة، وفرح كاو لأن ليديا لم تأتِ إذ كانت ستبطئ وتيرتهما. اجتازا غرفة طويلة مليئة بالأوراق القديمة، ثم تسلقا مجموعتين من السلالم للوصول إلى سقف منفذ الحريق. وعندما وصلا إلى فوق، انبسطت المدينة أمامهما.

قالت سيلينا: «واو!».

رأى كاو أمارات التعجب على وجهها، وأحسّ بشيء من الكبرياء. إنه أحد المشاهد المفضلة لديه أيضاً. انطلق بسرعة نوعاً ما، ولحقت به سيلينا.

قال: «علينا أن نقفز في الأمام. ليست قفزة كبيرة، وإنما افعلي مثلي».

وصل إلى حافة المبنى، ورمى بنفسه من فوق الفجوة البالغ عرضها مترين، ثم استدار للنظر إلى سيلينا، لكنها كانت قد قفزت وأصبحت قربه.

قال: «أنت تملكين موهبة القفز».

فأجابت: «أتعلّم، أو بالأحرى تعلّمت الرياضة البدنية في المدرسة؛ قبل أن أهرب. المكان رائع هنا! وكأن المرء طائر ينظر إلى الأسفل، إلى كل شيء».

تحقق كاو من السماء بطريقة فطرية، وتفاجأ لأنه لم يفكر في غربانه مطلقاً لغاية الآن. رأى شيمر وسكريتش يحلّقان على مسافة

أقرأناكموه

عشرين ياردة إلى يساره، ولا شك في أن غلام قريب منه أيضاً. لكن الغربان أبقت على مسافة تفصلها عنه.

استمرا في التنقل فوق الأسطح، ولم تخطئ سيلينا مطلقاً في أية خطوة. اقتربا تدريجياً من قلب المدينة.

سألها كاو: «إذاً، أتشتاقين إلى المدرسة؟».

أجابت سيلينا: «أوه... طبعاً. حسناً، أشتاق إلى رفاقي».

«كم مضى من وقت على غيابك عن المنزل؟».

تحقّق من تعابير وجهها للتأكد من أنه ليس متطفلاً جداً، لكنها بدت راضية.

قالت: «مضى شهران. في الواقع، لم أعتقد أنني سأتغيب عن المنزل كل هذه الفترة. ففي البداية، أردت أن أكون وحدي، ومن ثم... حسناً، وجدت أنني أحب الوضع هكذا».

توقف كاو عند حافة مبنى، ونظر إلى الطريق تحته. جاء من هذا الطريق لأن معظم المتاجر مكسوة بألواح خشبية، فيما أنوار الشوارع غير مضاءة أبداً، لكن هناك بعض السيارات، وبعض الأشخاص.

قال: «وكيف تدبرت أمورك؟ أقصد الطعام وما شابه؟».

أجابت: «مرّت أوقات صعبة أحياناً. وقد تسوّلت قليلاً في المدينة، وفعلت أشياء لا يجدر بي فعلها».

سأل كاو بعصبية: «ماذا تقصدين؟».

أجابت: «أوه، لا شيء سيئ جداً. تعلمت الصمود؛ هذا كل ما في الأمر».

أراد كاو تغيير الموضوع فقال: «علينا النزول من هنا. ثمة شبكة من الممرات تفضي إلى النهر حيث يوجد المطعم». وأشار إلى أنبوب تصريف وتابع: «هل لديك مشكلة في ذلك؟».

أقرأناكموه

أومأت سيلينا برأسها، ولمست ذراعه قائلة: «انتظر كاو، أريد أن أطرح عليك سؤالاً».

«ماذا؟».

صمتت قليلاً ثم قالت: «أخبرني إن لم يجدر بي معرفة ما سأسألك عنه. لكن... قلت لي إن ذلك المنزل كان لك، فأين والداك؟».

أجاب كاو: «ماتا، منذ زمن بعيد».

قالت سيلينا: «أوه، أنا آسفة». ولم تتطرق إلى الموضوع أكثر من ذلك.

أجاب كاو وهو يهزّ كتفه: «لا بأس. ماذا عن والديك؟ لماذا هربت؟».

لوت سيلينا شفتيها قليلاً ثم قالت: «ترك أبي المنزل قبل ولادتي، ولم أتفق يوماً مع أمي. إنها تملك وظيفة مهمة جداً، وتعمل لساعات طويلة. وهي ربما لم تلاحظ أنني تركت المنزل». وابتسمت، ففكر كاو في سره أن هذا الجواب غير مقنع.

سألها: «هل تظنين أنك ستعودين يوماً؟».

أمالت سيلينا جسدها فوق حافة المبنى، وأمسكت بأنبوب التصريف بكلتا يديها وأجابت: «لا أعرف».

انزلقت إلى الأسفل بسرعة، ولحق بها كاو.

قالت شيمر فيما حطّت على حاجز سقف المبنى: هل تواجه صعوبة في اللحاق بها؟

فتمتم كاو فيما هبط قرب سيلينا: «قليلاً».

سألته: «هل تتحدث دوماً مع نفسك؟».

ابتسم كاو ابتسامة عريضة وأجاب: «أحياناً. عذراً».

أقرأناكموه

وصلا إلى النهر بسرعة، حيث بدت الأرصفة العملاقة مثل أشكال ضخمة. لم يحب كاو يوماً بلاكواتر، ويعزى السبب ربما إلى عدم قدرته على السباحة، لكنْ ثمة شيء ما أيضاً في السواد الحالك للماء، إذ يبدو مخيفاً. أخبره كرامب أن ماء النهر وسخ جداً؛ لدرجة أنه إذا شرب جرعة واحدة منه فقط فسيموت خلال يوم. وقال إن هناك روايات في جريدة بلاكستون هيرالد عن أشخاص نزلوا إلى النهر ولم يرهم أحد مجدداً. ولا يشك كاو في ذلك.

تذكر أن السيدة والاس أعطته كتاباً ذات مرة عن كائن له جسم امرأة وذيل سمكة ويعيش في النهر. إلا أن الماء بدا في الصورة أزرق، وليس أسود ومليئاً بالأوساخ. وفيما مشيا في الطريق المقفر الممتد قرب النهر، تساءل عمّا إذا كان هناك خارقون قادرون على التكلم مع الأسماك.

سألته سيلينا: «هل أنت بخير؟».

أومأ كاو برأسه إيجاباً. كانت تسير إلى جانبه، وتنظر إليه بفضول.

ثمة مراكب بعدة أحجام، وبدا معظمها مهجوراً تماماً، وكأنها جثث طافية مصطفة قرب الرصيف. امتلكت بعض المراكب أسماء غريبة مثل العزباء الجميلة أو الوردة الطافية؛ مما بدا متناقضاً تماماً مع الطلاء المتقشر، أو الطحالب التي نمت على مدى أعوام عدة على هياكلها.

ثمة مركب في حال أفضل من المراكب الأخرى، ولكنه كان من دون اسم. كشف عن حجرة صغيرة في وسطه، وعبر النافذة الزجاجية، رأى كاو حجرة مليئة بالصناديق والأقفاص.

قالت سيلينا: «قد نجد شيئاً ما هناك».

نظر كاو إلى طرفَي الرصيف بتوتر فلم ير أحداً؛ لاسيما وأن

أقربَ جسر موجودٌ على مسافة بعيدة، حيث السيارات تتدفق مثل أشعة الضوء.

قال: «لا أعرف. أليست هذه سرقة؟».

هزّت سيلينا كتفها مجيبة: «بلى، مثلما أعتقد. لكن، ألم تسرق أي شيء من قبل؟».

تورّد كاو خجلاً وقال: «بلى». فحين كان أصغر سناً وأكثر تعاسة، سرق الملابس عن مناشر الغسيل، والخبز من شاحنة مفتوحة. لكن الوضع الآن مختلف، فلديه طرائق أخرى للصمود.

مدّت سيلينا يدها إلى جيبها وأخرجت شيئاً لماعاً مربوطاً بسوار جلدي، فاتسعت عينا كاو، وتحسس فجأة الجهة الداخلية لمعطفه. «ساعتي! كيف...»

ابتسمت سيلينا ابتسامة خبيثة وأجابت: «فوق على السطح. عندما لمست ذراعك».

تأثر كاو، وإنما انزعج قليلاً أيضاً وقال: «لم أشعر بذلك مطلقاً».

قالت: «حسناً، هذا ما كنت أقصده عندما قلت إنني تعلمت كيفية البقاء على قيد الحياة. لم آخذ يوماً أي شيء من أشخاص يعانون فعلاً». وأعادت الساعة إلى كاو، فوضعها داخل جيب معطفه.

قالت سيلينا بإلحاح: «تعال، لن يرانا أحد، ولن نأخذ الكثير. بالإضافة إلى ذلك، بهذه الطريقة لن نضطر إلى دخول المدينة».

فكّر كاو في سره في أنها محقة نوعاً ما. لكن هذا التصرف غير جيد. نظر حوله مجدداً، ورأى الغربان الثلاثة جاثمة على سقف مركب آخر. عرف كاو أن غربانه ستوافق سيلينا الرأي؛ فالغربان لا تملك الكثير من الوقت لتحديد الأفضل في الأخلاق الإنسانية. إلا أنه تساءل عما كانت ليديا ستقوله.

أقرأناكموه

قالت سيلينا: «لا يوجد أحد، المكان آمن». وبدا جلياً أنها أخطأت في فهم نظرة الخوف التي بدت على وجهه.

قفزت إلى المركب، فلحق بها كاو. تمايل المركب قليلاً بفعل وزنه. ذهبت سيلينا إلى الحجرة المقفلة، وأخرجت شيئاً من جيبها، ثم مدّت لسانها بين أسنانها فيما كانت تفتح القفل.

قال: «ما هذا؟».

أجابت سيلينا: «إنها سكين سويسرية. وأنا لا أغادر المنزل أبداً من دونها». بنقرة واحدة، فتح الباب. ابتسمت ابتسامة عريضة، وبدأت تفك سلسلة ملتفة حول مقبض الباب. بدا الصوت مدوياً مقارنة مع صمت النهر. «برأيك، كيف دخلت عبر الباب الخلفي لمنزلك؟».

قال كاو: «لا يجدر بنا ربما...»

فقاطعته سيلينا قائلة فيما كانت تتوجه إلى الأسفل: «استرخِ». ألقى كاو نظرة سريعة حوله، ثم لحق بها. كانت جالسة القرفصاء قرب أحد الصناديق، وتستخدم أداة أخرى من الأدوات الموجودة في السكين لفتح الأغطية. حاولت مجدداً، ثم فتح الغطاء، فرأى كاو كومات من العلب الحديدية في الداخل.

قالت سيلينا: «أووه! حساء فطر». ثم انتقلت إلى الصندوق التالي، وقالت: «هذا أفضل! بسكويت!». وقفت ورمت علبتين إلى كاو، فأمسك بهما باستغراب، ووضعهما في جيبه الداخلي. هذا سيجعل الغربان سعيدة على الأقل.

قالت سيلينا: «هاي، انظر ماذا وجدت!». وكانت راكعة فوق قفص فيه نوع من الفاكهة الدائرية. رمت واحدة إلى كاو، فأمسك بها، وغرز أسنانه في اللب، فتدفقت العصارة في فمه.

قال: «واو! ما هذا؟».

أقرأناكموه

مسحت سيلينا أنفها وأجابته: «ألم تأكل دراقاً من قبل قطّ؟».

هزّ كاو رأسه، فيما قضم من الدراقة مجدداً. «هذا أفضل شيء...»

إلا أن نعيب غراب شق صمت الهواء فوقهما، فقفزت سيلينا في مكانها، وسمع كاو شيمر تصرخ في الخارج: خطر!

رمى كاو بقايا الدراقة، وأمسك بيد سيلينا، وهمس لها: «أحدهم قادم».

همست سيلينا: «كيف عرفت ذلك؟».

كان على وشك الزحف نحو باب الحجرة عندما أحسّ بالمركب يتمايل مجدداً تحت قدميه. ثمة شخص آخر صعد إلى متن المركب. أشار كاو إلى الجهة الخلفية للحجرة وقال: «اختبئي!». بدت سيلينا مذعورة، لكنها فعلت مثلما طلب منها، واختبأت وراء كومة من الأقفاص.

رأى كاو أن ثمة باباً أصغر حجماً في الجهة الخلفية للحجرة، فأشار بإصبعه إليه، وأومأت سيلينا برأسها. وحين نظر كاو عبر الشق في الباب الرئيس، رأى شخصين واقفين في مقدمة المركب.

ليسا من الشرطة، لاحظ ذلك على الفور. أحدهما امرأة- تصعب معرفة عمرها- ترتدي ملابس مرقعة من أقمشة وألوان مختلفة. تطاير شعرها في أشكال غريبة، وبرزت أسنانها الأمامية من بين شفتيها. أما الشخص الواقف قربها فلم يكن مختلفاً عنها كثيراً، وكان يرتدي بذلة بيضاء ناصعة جداً لدرجة اللمعان. لا بد أن عمره قرابة الخمسين عاماً، وبدا وجهه محدد الفكين ودوداً؛ باستثناء عينيه الزرقاوين الصغيرتين. وكان يعتمر قبعة بيضاء من طراز قبعات رعاة البقر.

أقرأناكموه

انتفضت المرأة وقالت بصوت عالي النبرة: «نعرف... نعرف أنك هنا! اخرج أيها الولد الصغير».

كانت أنفاس كاو تتراكم في رئتيه، فحاول الزفير ببطء. عرف أنه يستطيع الهروب ربما بمساعدة الغربان، لكن ماذا عن سيلينا؟ المرأة قالت فقط «الولد الصغير»، ممّا يعني أنهما لا يعرفان ربما أن سيلينا في الداخل. عليه تشتيت انتباههما كي تتمكن من الهروب.

دفع الباب المفتوح ببطء وخرج، ثم قال: «من أنتما؟». محاولاً أن يبدو غير خائف.

فقال الرجل الذي يرتدي البذلة البيضاء: «اسمح لنا بالتعريف عن نفسينا». ونزع قبعته، فبدا شعره أبيض أيضاً، وممشطاً بطريقة مرتبة.

«اسمي السيد سيلك، وتحمل هذه السيدة اسم بينكرتون».

قال كاو: «ماذا تريدان؟». ونظر حوله بحثاً عن غربانه لإعطائها الأوامر.

فقال الرجل: «لن تفيدك بضعة طيور الآن».

جفل كاو. إذا عرفا أنه خارق الغربان، فهذا يعني شيئاً واحداً فقط.

لذا قال: «أنتما خارقان».

بدأت المرأة ذات الشعر المتطاير بالضحك عالياً، وتدفقت الحياة فجأة على متن المركب، ولمعت مئات العيون أمام كاو فيما تدفقت مجموعة من الجرذان نحوه.

الفصل 5

تراجع كاو إلى الخلف فيما تقدمت الجرذان نحوه. ركل أحد الأقفاص، فانزلق وقطع الطريق أمام الجرذان. إلا أنها تسلقت القفص من دون أن تتباطأ، واندفعت بأجسامها المكسوة بالفرو نحوه.

تمدّد كاو وأمسك بعصا خشبية في طرفها صنارة معدنية. مرر العصا فوق سطح القارب، وأبعد عنه أكبر عدد ممكن من الجرذان، إلا أنها عادت إلى العصا مجدداً، ومشت عليها بسرعة. عندها، رمى كاو العصا بعيداً، وقفز على برميل، ومنه إلى سقف الحجرة. لاحظ أن عينَي المرأة برمتا إلى الخلف في رأسها، وكشفتا عن بياض خافق مرقط بالدم فيما كانت تتحكم بالجرذان. هاجمت الجرذان أطراف الحجرة على دفعات، وتراكمت فوق بعضها، لكنها وقعت عاجزة عن التسلق باستعمال مخالبها.

قال الرجل ذو البذلة البيضاء: «هل لديك أية فكرة عن السرعة التي يمكن أن تلتهمك فيها هذه الكائنات؟ فالجرذ يستمر في الأكل إلى أن يصبح عاجزاً عن الحركة. كما أنها ليست صعبة الإرضاء؛ عضلات، عظام، غضروف... كلها جيدة بالنسبة إليها».

نظر كاو حوله بحثاً عن طريق للهروب، لكن الجرذان كانت في كل مكان. هناك الماء فقط، وهو لا يجيد السباحة. وماذا عن سيلينا؟ هل نجحت في الهروب بعيداً عبر الباب الآخر؟ قال: «أخبرني فقط

أقرأناكموه

بما تريده».

مدّ السيد سيلك ذراعيه، فلاحظ كاو أن ثمة شيئاً غريباً في قماش بذلته، لكنه لم يعرف ما هو.

قال الرجل ذو البذلة: «لا تلعب معي أيها الصبي. نريد الحجر».

ابتلع كاو لعابه بصعوبة وقال: «لا أعرف ماذا تقصد».

ابتسم السيد سيلك وقال: «هيّا، هيّا. لا تراوغ. بينكرتون؟».

حرّكت المرأة يدها، فهجمت الجرذان فوق بعضها بعضاً حيث شكّلت منحدراً على جانب الحجرة. ونجح أحد الجرذان في التسلق فوق قدم كاو؛ إلا أنه ركله بعيداً. استدعى غربانه بقوة الأفكار، فاجتمعت أشكالها السوداء في وعيه، وأرسلها للانقضاض على بينكرتون.

انطلق سكريتش وغلام وشيمر في الهواء. وفي اللحظة نفسها، بدا وكأن سترة السيد سيلك تنفجر إلى الخارج، وانطلقت مئات الكائنات المرتعشة من قماش سترته، وحلقت نحو الأعلى لاعتراض طريق الغربان. إنها حشرات عثّ!

سمع كاو غلام يصرخ: لا أستطيع أن أرى! فيما طوقته الكائنات الصغيرة ذات الأجنحة. وخفق سكريتش وشيمر بأجنحتهما بقوة لأنهما كانا مكسوّين بالحشرات أيضاً.

قال السيد سيلك: «فلنحاول مجدداً، أليس كذلك؟ أعطني حجر منتصف الليل».

صرخت بينكرتون: «هيّا... الآن! إنها تريده. إنها تريده».

فكر كاو في سرّه: هي!؟ من هي ؟!

أحسّ بألم كبير في كاحله فصرخ بصوت عالٍ. ثمة جرذ غرز أسنانه في قدمه، وجرذ آخر تسلق قدمه وصعد إلى سرواله مصدراً

أقرأناكموه

صوتاً مريعاً. لحقت به بقية الجرذان، وصعدت فوق ساقيه. أحس كاو أنها تغرز أسنانها في لحمه دفعة واحدة، فصرخ بصوت عالٍ. تسلق المزيد من الجرذان على ظهره. نجح فقط في الوقوف، فيما التصقت الجرذان به. ثمة طريقة واحدة للهروب الآن، وهي القفز من فوق حافة القارب في الهواء. صدر صوت مدوٍّ حين وقع في الماء.

ابتلعته المياه شديدة البرودة. ولهنيهة، لم يستطع أن يرى إلا الفقاقيع وسط السواد. التصقت ملابسه بأطرافه، ثم أخرج رأسه فوق سطح الماء واستنشق الهواء.

ملأ الذعر قلبه حين نزل رأسه تحت الماء، وأحس بأنه يختنقه. صعد كاو إلى السطح مجدداً، وراح يسعل. ثمة جرذان في النهر أيضاً، وتمايلت أجسامها في كل مكان. كانت الضفة على مسافة أقدام قليلة فقط، لكنه لا يستطيع الوصول إليها. وغرق مجدداً.

هذه المرة، لامست قدماه قعر نهر بلاكواتر، فدفع نفسه إلى الأعلى بأصابع قدميه، ونجح في الإمساك بحبل يربط المركب بالضفة. استنشق الهواء مرات عدة بسرعة، وأخرج جسمه من الماء.

كان السيد سيلك واقفاً على جانب النهر، وحشرات العث تتطاير حوله، ثم استقرت عليه دفعة واحدة، وشكّلت طبقة مموهة فوق سترته. نظر كاو إلى المركب بسرعة، ولاحظ أن الباب الخلفي للحجرة كان مفتوحاً. على الأقل، نجحت سيلينا في الهروب.

قال السيد سيلك بهدوء: «لا يمكنك الهروب منا. فهي تريد الحجر وسوف تحصل عليه».

تردد كاو. إنه لا يعرف أصلاً ما هو هذا الحجر، ولكنْ تم إعطاؤه إياه تنفيذاً لرغبة أمه. وهو الشيء الوحيد الذي تركته له، لذا لن يسلّمه أبداً من دون معركة.

قال: «لا أعرف ما تتحدث عنه». لم يـرَ غربانه في أي مكان. نظر حوله بحثاً عن سيلينا، لكنه لم يرها في أي مكان. ثم أحسّ بشيء يغرز في ظهره. طبعاً! إنه يملك سلاحاً آخر.

خلع كاو سترته المبللة، وسحب منقار الغراب من غمده.

نظر السيد سيلك إلى السيف بهدوء، فيما بسـط ذراعه لمساعدة بينكرتون على الخروج من المركب، ولحقت بها موجة الجرذان.

قال: «أرجوك، لا داعي للأذى».

فقال صوت آخر: «ابتعد عنه».

اسـتدار كاو، فرأى شـكلاً صغيراً آتياً نحوه. خفق قلبه فرحاً حين أدرك أنه بيب مع عدد كبير من الفئران.

قـال كاو: «اهرب!». لكـنّ بيب هزّ رأسـه، وحرّك ذراعه مرسـلاً فئرانه نحو الخارقيْن الجديديْن.

التقت الجرذان مع الفئران في معركة طاحنة، وارتطمت أجسامها ببعضهـا، وصدرت أصـوات مريعـة وصيحـات فيما كانـت القوارض تقضم بعضها بعضاً. اسـتدار كاو إلى الخلف فلاحظ أن السـيد سيلك قد اختفى. إلا أنه لم يكن يملك الوقـت للتفكير في ذلك، بل قفز فوق مجموعـات الفئران والجـرذان، وهجم علـى بينكرتون التـي تراجعت إلى الخلـف محرّكة ذراعيهـا؛ إلى أن تعثـرت ووقعت أرضـاً. عندها، وضع كاو طرف منقار الغراب على عنقها، فقالـت: «أ... أ... أرجوك، لا تقتلني!».

قال لها: «أبعدي جرذانك».

فجـأة، توقفت أصـوات الأسـنان المطقطقـة والصخـب العالي، وساد الصمت. نظر كاو إلى الخلف. «بيب؟».

كان السيد سيلك قد أمسك بالصبي من الخلف، رافعاً قدميه عن

أقرأناكموه

الأرض، وواضعاً نصلاً فضياً رفيعاً على حنجرته. كيف وصل خارق العث إلى هناك، ومرّ أمام كاو؟! فالمسار ضيق...

اختفت الجرذان في الظلال، واجتمعت الفئران حول بيب، وإنما بقيت على مسافة منه.

قال كاو: «أفلته».

ابتسم السيد سيلك ابتسامة عريضة وقال: «وإلّا؟ هل ستقتلها؟ أظن أنك تهتم لأمر هذا الصبي أكثر مما أهتم لأمر المسكينة بينكرتون. اقتلها، لا يهمني ذلك».

قالت بينكرتون: «ماذا؟ لكن...» فيما رقصت عيناها بجنون.

فقال السيد سيلك: «إذاً، أعطِني الحجر قبل أن ينزف».

قال بيب: «لا تعطِه أي شيء!».

فقال السيد سيلك: «ليس الصبر من فضائلي». وضغط بالنصل على حنجرة بيب البيضاء.

استدعى كاو غربانه بعقله، وطلبها بأسرع ما يمكن، وأحسّ بها تستجيب له. لكن شيمر ظهرت أولاً، وغرزت مخالبها في يد السيد سيلك الذي صرخ متألماً وأفلت السكين، ثم انقضّ غلام على كتفه. تدفقت سحابة من حشرات العث فيما وقع الخارق أرضاً.

لم يبدد كاو وقته، بل أمسك ببيب، وهربا معاً في الممر، ثم انعطفا حول زاوية، ودخلا ممشى فاصلاً بين مبنيين شاهقين. لن تتمكن الغربان من إلهاء السيد سيلك لوقت طويل.

ركضا إلى أن أصبح كاو عاجزاً عن التنفس، وحاولا وضع أكبر مسافة ممكنة بينهما وبين النهر. شعر كاو بألم كبير في ساقيه. وعندما وصلا إلى جسر، سَمع صوت سيلينا من الأعلى.

«من هنا!».

أقرأناكموه

كانت تنظر إلى الأسفل عبر مجموعة درجات ضيقة مؤدية إلى الجهة الجانبية للجسر. اندفع كاو وبيب نحوها، وتسلقا معاً للوصول إلى طريق مهجور. هبطت الغربان بسلام على حافة الجسر، فيما خفقت بأجنحتها السوداء بصوت عالٍ.

قال كاو: «شكراً لك».

نظرت إليه سيلينا بطريقة متشككة وقالت: «لم أفعل أي شيء».

قال سكريتش: هل رأيت شيمر؟ نقرته مباشرة بين عينيه!

ركضت بعض الفئران على جانب الطريق، مما جعل سيلينا تحدق إليها بتعجب.

قال بيب: «نجحنا!».

استدار كاو نحوه، وأمسك بكتفيه وقال له بنبرة قاسية: «كنت غبياً! كدت تقتل نفسك!».

بدأت شفة بيب السفلية بالارتعاش وهو يقول: «أردت فقط مساعدتك».

قال كاو: «لا أحتاج إلى مساعدتك. أريدك أن تتوقف عن اللحاق بي». ونظر حوله متوقعاً رؤية طيور الحمام في مكان مجاور. «هل جواسيس كرامب هنا أيضاً؟».

سألت سيلينا: «عمّ تتحدث؟». وكانت تهزّ رأسها بارتباك. «من كان ذانك الشخصان؟ ولماذا هاجمتك الجرذان وحشرات العث؟ هذا غير منطقي».

قال كاو: «يصعب شرح الأمر».

قالت سيلينا: «يجدر بك المحاولة ربما؛ فقد كدنا نقتل. هل تعرف ذينك الشخصين؟ ماذا أرادا؟».

حصلت الأمور بسرعة كبيرة، حيث عجز كاو عن الاستيعاب.

أقرأناكموه

لكن كلمات فيليكس كوايكر بقيت عالقة في رأسه. لم يسمع بيب أو سيلينا ما قاله السيد سيلك عن الحجر. إذاً، السرّ بأمان. قال: «لا أعرف. اسمعي، عليك العودة إلى منزلي».

قطّبت سيلينا جبينها قائلة: «انتظر. ماذا تقصد؟ ماذا يجري؟».

قال غلام: علينا العودة إلى دار العبادة. يكفي هذا الكمّ من المغامرات في أمسية واحدة.

صرخت سيلينا: «وما قصة الغربان؟ أقسم إنها تتعقبنا منذ أن غادرنا منزلك».

قال بيب: «يجدر بك إخبارها ربما». وكما لو أنها شعرت بما قد يحصل، أسرعت الفئران إلى جانبَي سرواله، واختبأت في ملابسه.

حدّق إليه كاو بغضب.

وقالت سيلينا: «تخبرني بماذا؟ هل أنتما من فرقة سيرك مثلاً؟».

قال: «لا شيء. أرجوك، ستكونين بأمان أكثر إذا ابتعدت عنا. هذا كل شيء».

ومشى بعيداً عنها؛ إذ كان بحاجة إلى الوقت للتفكير.

قالت فيما كانت تلحق به: «أبداً. لا يمكنك الهروب. أخبرني، ماذا يجري؟».

قال سكريتش فيما حلّق بالقرب من رأس سلينا لدرجة أنها اضطرت إلى الانحناء: هل تريدنا أن ننقضّ عليها؟ فنظرت إلى الأعلى بغضب، وإنما استمرت في اللحاق بكاو، ثم توقفت ونظرت إلى بيب بغضب وقالت: «إذاً، أخبرني أنت يا صبي الفئران».

أخذ كاو نفساً عميقاً واستدار نحوها قائلاً: «حسناً، سأشرح لك. ولكن ليس هنا». إذا كان هناك خارقون أعداء يطاردونه، فليس هناك سوى شخص واحد قد يستطيع المساعدة. لذا، انطلق كاو شمالاً بعيداً

عن النهر؛ لقد حان الوقت لزيارة الخارق الأقوى في بلاكستون.

قال بيب: «ماذا يجري؟». فيما ركض للحاق به.

قال كاو: «علينا التحدث إلى فيلما ستريكهام».

في الطريق، بدأ كاو يشرح لسيلينا كل شيء عن العالم السري للخارقين، وقاطعه بيب مراراً. في البداية، كافحت بصعوبة لاستيعاب الأمر، لكن سكريتش وشيمر بدوا فرحين في إثبات أنه يستطيع فعلاً التواصل معهما؛ إذ هبطا على كتفيه وفقاً لأوامره. أما غلام فرفض فعل ذلك وتمتم: لست سعداناً بهلوانياً.

كما استمتع بيب بإظهار قدراته أيضاً؛ إذ شكّل سلسلة من الفئران على ذراعيه، ثم جعلها تجلس على الأرض على شكل دائرة مثالية.

قالت سيلينا: «لا يمكن تصديق ذلك!».

كان كاو قد ذهب إلى الحديقة العامة مرة واحدة فقط خلال الشهرين الماضيين، وذلك لإحضار أغراضه القليلة من منزله القديم. وفيما كانوا يقتربون، وجد كاو نفسه يفكر في كيفية تغيّر حياته كثيراً خلال وقت قصير جداً. فعندما عاش في العشّ على الشجرة، كان عالم الخارقين غامضاً بالنسبة إليه؛ تماماً كما هو الآن بالنسبة إلى سيلينا. وبالكاد تحدث إلى إنسان آخر يومها.

إلا أن ليديا ستريكهام وأمّها بدّلتا كل ذلك.

قالت سيلينا: «لا أذكر الصيف المشؤوم. عشنا قرب الشاطئ حينها، وكان عمري ست سنوات أو سبع على أية حال».

ثمة أنوار مضاءة في منزل ستريكهام. وتذكّر كاو ما قالته ليديا عن طرد والدها من العمل وضرورة مغادرتهم المنزل. لا يبدو هذا عادلاً.

أقرأناكموه

أحسّ كاو بشيء من الخوف فيما اقتربوا من الباب الأمامي. أول مرة جاء فيها إلى هنا لتناول العشاء كان شبه مخدّر. تخبّط عقله حول ما إذا كان يجدر به إخبار السيدة ستريكهام بشأن الحجر أم لا؛ حجر منتصف الليل. طلب منه كوايكر عدم فعل ذلك. كانت أمك ستطلب منك الشيء نفسه؛ هذا ما قاله له.

رفع كاو يده للطرق على الباب، حين طارت شيمر إلى أعلى المنزل.

ليست وحدها. الرجل معها.

توقف كاو. «السيد ستريكهام».

قال بيب: «لِمَ لا نذهب إلى كرامب عوضاً عن ذلك؟ إنه يعرف ما...»

قال كاو: «لا». وتخيّل وجه خارق الحمام إذا اكتشف ما حصل للتو مع سيلينا وكاو. كما أنه واثق من رؤيته حمامتين لحقتا بهم من مسافة ميل تقريباً. يستطيع كرامب الانتظار.

ضرب بيب قدميه بالأرض متجهماً.

سألت سيلينا: «ما المشكلة مع السيد ستريكهام؟».

قال كاو: «إنه لا يعرف أن زوجته خارقة». ثم فكّر هنيهة وقال: «علينا الانتظار».

فقالت سيلينا: «الجو بارد جداً».

لا يستطيع كاو معارضة ذلك؛ إذ لا تزال ملابسه مبللة نتيجة سقوطه في النهر.

قال: «فلنذهب إلى الجهة الخلفية».

تسلقوا السور في الجهة الخلفية للمنزل وهبطوا في الحديقة. عرف كاو أن غرفة ليديا في الطابق الثاني. كانت ستائرها مغلقة، لكن

أقرأناكموه

المصابيح مضاءة.

«سكريتش، هل يمكنك الطرق على النافذة نيابة عنا؟».

بعد قليل، بعدما نقر الغراب بمنقاره على النافذة، فُتِحت ستائر ليديا. وعندما رأت كاو وأصدقاءه في الحديقة بدت مصدومة، ومن ثم غاضبة، وأسدلت الستائر مجدداً.

قالت سيلينا: «إذاً، إنها صديقتك، أليس كذلك؟».

قال كاو: «أتمنى ذلك». بدا له وكأن ليديا لا تزال غاضبة من حديثهما السابق.

قال بيب: «علينا الآن العودة إلى دار العبادة».

كان كاو على وشك الموافقة على مضض حين فتح الباب الخلفي قليلاً، وظهر رأس ليديا وقالت: «من الأفضل أن تدخلوا بهدوء».

دخل كاو والآخران بهدوء، ثم صعدوا السلالم، ووصلوا إلى غرفة نوم ليديا. كانت الجدران مغطاة بملصقات لصور حيوانات. أغلقت الباب خلفهم، ونظرت إلى ملابسهم المبللة، وقالت بفظاظة: «يبدو أنكم كنتم تسبحون. هل هذه هي الفتاة التي أخبرتني عنها؟».

«اسمي سيلينا». ومدّت يدها. «بالمناسبة، أحب غرفة نومك. إنها... ظريفة».

«ليديا». قالت ليديا من دون أن تصافحها. «إذاً، أعتقد أن رحلة البحث عن الطعام لم تنته وفق الخطة المعدّة لها».

فتح كاو سترته، وأخرج علبة مبللة من البسكويت المسحوق.

برمت ليديا عينيها وقالت: «أتمنى أنها تستحق العناء».

سُمع صوت طرق على النافذة، ورأى كاو غربانه الثلاثة تنتظر

أقرأناكموه

هناك فقال: «تريد الغربان الدخول».

فتحت ليديا النافذة، ودخلت الغربان الغرفة.

قال سكريتش فيما تأمل الزخارف على الجدران: ورق جدران غريب. لماذا لا توجد غربان؟

قالت ليديا: «ماذا يقول؟».

أجاب كاو: «إنه يحب الملصقات على جدرانك».

شرح لها ما حصل عند النهر من دون أن يذكر أبداً مسألة الحجر، فأصبحت تعابيرها أكثر ليونة بقليل.

قالت: «كان يجدر بك السماح لي بالذهاب معك».

وأومأت برأسها نحو سيلينا وسألتها: «هل أنت خارقة أيضاً؟».

فقال كاو: «لا. ليديا، علينا التحدث إلى أمك».

انتقلت عينا ليديا إلى قدميه، وجفلت. «كاو، أنت تنزف على سجادتي».

نظر كاو إلى الأسفل أيضاً، ورأى سيلاً من الدم يتقطر من كاحله. «أوه! عفواً».

أعطته ليديا منديلاً ورقياً من العلبة الموضوعة على المنضدة قرب سريرها، فرفع كاو سرواله إلى الأعلى عند ساقه. كانت ربلة ساقه وكاحله مليئين بالجروح.

قال صوت: «تبدو مؤلمة». فقفزوا جميعاً.

كانت السيدة ستريكهام تقف عند الباب مرتدياً قميص نوم.

قالت ليديا: «ماما! كان يجدر بك الطرق على الباب».

أجابت السيدة ستريكهام: «أستطيع قول الشيء نفسه عن ضيوفك. من هي هذه الشابة الصغيرة؟». كانت نبرتها غير موافقة.

«اسمي سيلينا». أجابت سيلينا وهي تبدو خائفة قليلاً.

أقرأناكموه

حاول كاو استعادة رباطة جأشه وقال: «أنا آسف لأنني أحضرتها إلى هنا. لم نعرف إلى أين نذهب، وتوجّب عليَّ- علينا- إخبارها عن الخارقين».

حدّقت إليه السيدة ستريكهام بغضب وقالت: «هل أخبرتها عن الخارقين؟».

فتح كاو فمه، ثم أغلقه مجدداً. وكانت وجنتاه تحترقان.

قالت السيدة ستريكهام: «ممم». ثم وجّهت نظرة متشككة إلى سيلينا، وأمالت رأسها نحو ساق كاو وقالت: «إنها عضات جرذان، هل يعني ذلك أنك التقيت الرائعة الآنسة بينكرتون؟».

أومأ كاو برأسه وأجاب: «أجل، على الرصيف. تعرضنا لهجوم من خارق عثّ أيضاً».

قالت السيدة ستريكهام: «السيد سيلك؟ لم نكن واثقين من وجوده هنا. ماذا أرادا؟».

تردد كاو فيما خطرت كلمات كوايكر في رأسه. فقد قال إن الحجر من أعباء خارق الغربان.

فجأة، حسم كاو أمره. لا يستطيع إخبار السيدة ستريكهام عنه الآن. ليس أمام ليديا وبيب، وليس أمام سيلينا. حاول عدم النظر إليها وهو يكذب قائلاً: «لا أعرف».

فقال بيب: «بلى تعرف. أليس هذا بدهياً؟».

أحسّ كاو بالدم يختفي من وجهه. هل عرف بيب بطريقة ما أنه يضع الحجر في جيبه؟

قال بيب: «منقار الغراب! طلب منك خارق العث تسليمه إياه، أليس كذلك؟».

قال كاو: «أوه، نعم».

أقرأناكموه

قالت ليديا: «لكن الرجل الدوام رحل، أليس كذلك؟ وحتى لو استطاعا العبور إلى البعد الآخر فلن يتمكنا من إعادته. إذاً، ما أهمية منقار الغراب بالنسبة إليهما؟».

قالت أمها: «سؤال جيد. لكن، أياً كانت خططهما، لا يمكن السماح لهما بالحصول عليه».

بدأ كاو القول: «يجدر بنا ربما الذهاب...»، لكن السيدة ستريكهام قاطعته برفع إصبعها.

«أبداً. إذا كان بينكرتون وسيلك موجودين هنا، فأنا لا أملك خياراً سوى الإصرار على بقائكم هنا. أنتما والفتاة». وألقت نظرة باردة أخرى نحو سيلينا وقالت: «تأكدوا فقط من عدم إصدار أي ضجيج. فأنا أفضّل ألا أشرح لوالد ليديا سبب استقبالنا زواراً غرباء. وفي الصباح، سنحدد ما يجب فعله حيال كل ذلك».

قال بيب: «يمكننا استدعاء مجلس الخارقين».

استدارت السيدة ستريكهام نحوه بغضب كبير وقالت: «سأبلغك حين أحتاج إلى نصيحتك. والآن، ناموا قليلاً».

بعدما أغلقت السيدة ستريكهام الباب خلفها، تنهدت سيلينا قائلة: «ظننت أن أمي فقط صارمة».

فقال كاو: «إنها قلقة».

صرخت ليديا: «هلّا تتوقفان عن الحديث عن أمي». وأشارت إلى أريكة في الجهة الأخرى من الغرفة وتابعت: «يستطيع أحدكم النوم هناك. أما الاثنان الآخران فعليهما النوم على الأرض. ثمة بطانيات في الخزانة».

قال شيمر: ماذا عنا؟

استدارت ليديا عند سماعها صوت الغراب وقالت: «إذا قال هذا

أقرأناكموه

الغراب للتو ما أظن أنه قاله، فإن هناك الكثير من الأغصان الجيدة في الخارج».

قال غلام: هذه وحشية حيوانية.

إلا أن كاو توجّه نحو النافذة وفتحها قائلاً: «هيّا أيتها الغربان الثلاثة، راقبيني جيداً».

حلقت الغربان في الليل. وفيما أغلق كاو النافذة مجدداً، لمح ظل ثعلب في الحديقة في الأسفل.

فكّر في سرّه: كان يجدر بي أن أعرف عدم جدوى التسلل إلى منزل فيلما ستريكهام. وابتسم لنفسه. قد تكون صارمة، ولكنها أفضل حليفة بالنسبة إليهم.

استلقت سيلينا على الأريكة، فيما استلقى كاو قرب بيب على السجادة. لا شك في أن كرامب يتساءل عما يجري، لكنه على الأقل عرف أنهما في أمان.

لم يمضِ وقت طويل قبل أن يسمع كاو التنفس البطيء لخارق الفئران، وتنفس ليديا أيضاً. لم يكن واثقاً من أن سيلينا نائمة أم لا. وفيما التفت للنظر إليها، أحسّ بالحجر ينغرز في جانبه.

إنه يستطيع ربما التسلل خارج الغرفة الآن والعثور على السيدة ستريكهام. يستطيع الوثوق فيها، أليس كذلك؟ اتكأ على مرفقيه مستعداً للوقوف، لكن شيئاً ما أوقفه.

مهما كان الحجر، ومهما كانت قدرته، فإنه خطير. كان كاو واثقاً من ذلك. لقد تحدث خارق العث عن امرأة، أليس كذلك؟ قال إنها تريده. وليست صدفة أن كوايكر تحدّث عن امرأة أيضاً.

إنها تراقبنا، حتى الآن. من هي تلك العدوة المجهولة؟ لا شك في أنها خارقة أخرى.

أقرأناكموه

حجر منتصف الليل، مثلما أسماه السيد سيلك. أهو مجرد اسم، أم في ذلك تلميح إلى قواه؟

ارتعد كاو. لطالما كان الليل صديقه، لكن شيئاً ما أنبأه أنه يجدر به الخوف من هذا الحجر. لكنْ في هذه الحالة، لماذا امتلكته أمه، وما الذي يمكن أن يعنيه بالنسبة إليه؟

أحسّ كاو بيده تطوّق الحجر البارد، وأصبحت أفكاره مظلمة ومرتبكة. أحسّ بغصّة كبيرة، وازدادت صعوبة تنفسه. ثمة خطب ما، فهو يرتاح عادة لوجود الغربان حتى لو لم تتكلم؛ إذ يستطيع الإحساس بها في أطراف وعيه. لكن عقله فتش عنها الآن ولم يجد إلا الفراغ. وقع أسير الخوف بأنها تخلت عنه.

فجأة، عادت إليه ذكرى. كان عمره أربعة أعوام فقط لا أكثر، بعد فترة وجيزة من اهتمام الغربان به. في تلك الفترة، لم يكن بوسعه فعل الكثير بمفرده، واعتمد كلياً على الطيور لتحضر له الديدان واليرقانات وأي شيء آخر. كانت ليلة شتوية عاصفة، ولم تعد الغربان من رحلة البحث عن الطعام. كان جائعاً ووحيداً وبارداً، فأحس بذعر لم يشعر به سابقاً. تذكّر بوضوح العش المليء بقيئه، ودموع اليأس الساخنة المتدفقة من عينيه من دون أية سيطرة...

بالكاد استطاع كاو التنفس، فنهض ومشى إلى النافذة باضطراب وأبعد الستائر، وهو واثق من أن الغربان ليست هنا.

لكنها كانت في الخارج. جثمت الطيور الثلاثة جنباً إلى جنب على سور الحديقة. فتح كاو النافذة قليلاً، وأخذ نفساً عميقاً من الهواء البارد، فأمال غلام رأسه أمام كاو بطريقة استفسارية، وقال بصوت خافت: هل كل شيء على ما يرام؟

أقرأناكموه

سـمح كاو لنفسـه ببضع ثـوانٍ للتعافي، ثـم رفع إبهامـه للغراب. اختفى ذلك الشعور الغريب، وعاد قلبه إلى إيقاعه الطبيعي.

بعد إعادة السـتائر إلى مكانها، زحف إلى فراشـه واستلقى عليه. وفيما سوّى ملابسه، أحسّ بالحجر مجدداً، لكنه وجد نفسه هذه المرة غير راغب في لمسه.

يملك هذا الحجر نوعاً من القدرة الشريرة، شيئاً لم يستطع فهمه. لكنْ، ثمة أمر أكيد؛ إلى أن يعرف الحقيقة، سيواجه هذا الشرّ وحده.

الفصل 6

الصوت الوحيد الصادر كان الحفيف الناعم للأغصان فيما تمايل العش قليلاً. في السماء فوقه، بدا الثلج مثل رماد يغطي الأشجار. لكن، حين هبطت ندف الثلج داخل العش، ذابت في اللاوجود. لم يشعر كاو بالبرد. نظر إلى الطاولة أمامه، واستراح الحجر وسط راحة يده، فيما بدا سواده مشعاً نوعاً ما، وملأ العش بالضوء والدفء.

قال صوت لطيف: «مرحباً جاك».

نظر كاو إلى الأعلى وخفق قلبه بقوة؛ إذ كانت أمه تجلس قبالته مبتسمة. كانت بشرتها شاحبة، وشعرها أيضاً؛ أبيض تقريباً. حتى أهدابها بدت مغطاة بندف الثلج.

قال: «أنت هنا! ولكن كيف!؟».

أجابت: «تصبح العديد من الأمور ممكنة في البعد الآخر».

نظر كاو إلى الحجر مجدداً.

فقالت أمه: «عليك أن تبقيه سراً». ومدّت يدها البيضاء الرقيقة وطوّقت أصابعه فوق الحجر. «عليك أنت وحدك حمله يا بنيّ».

أحسّ كاو بدفء الحجر يتغلغل في عروقه، وسألها: «ما هذا؟».

جفلت أمه، وأبعدت يدها مجدداً، واتسعت عيناها.

قالت: «اذهب!». فيما وقفت وقلبت الكرسي الذي كانت تجلس عليه.

أقرأناكموه

بدأ كاو يشعر بالذعر، وقال: «لكنني أريد البقاء معك».

قالت: «إنه آتٍ جاك. اذهب الآن».

أسرع كاو إلى الباب الأرضي في أسفل العش وفتحه. وفي أسفل الشجرة، كانت ثمة طبقة داكنة تطوّق الجذع، مما جعل الثلج يصبح أسود اللون.

عناكب، الملايين منها.

قالت أمه: «لا تسمح له بالحصول عليه جاك». كانت تضغط بجسمها على حافة العش مرتعدة. «يجب ألا يحصل عليه».

جلس كاو القرفصاء عاجزاً عن الحركة، فيما تجمّعت العناكب حول قاعدة الجذع، وتراكمت فوق بعضها بعضاً بسرعة هائلة. بدأت تتسلق الجذع، وترتفع من دون توقف على شكل موجة سوداء.

أغلق كاو الباب الأرضي، وسحب القضيب الحديدي لتثبيته بإحكام، وقال: «أخبريني، ما هذا؟ لماذا يريده؟».

لكنه عندما نظر إلى الأعلى مجدداً، كانت أمه قد اختفت. وكان وحده، والعش فارغ، والثلج بدأ بالتراكم.

سمع دويّاً هائلاً.

اهتزّ الباب الأرضي واهتزّ العشّ.

دويّ. دويّ. دويّ.

ثمة شيء ما يطرق بقوة على الجهة الأخرى. إنه يعرف ما هو، بل يعرف من هو.

الرجل الدوام.

أصبح تنفسه سريعاً، وتسلق إلى حافة العش. ما زال بوسعه الهروب، فهو يستطيع الطيران. إنه خارق الغربان، والسماء صديقته. كل ما عليه فعله هو أن يتغير.

أقرأناكموه

دويّ. دويّ. دويّ.

حطام.

تصدع الباب الأرضي، وخرجت منه يد نحيلة، وتحركت أصابعها مثل أرجل العنكبوت. دفع كاو نفسه إلى حافة العش، ومدد ذراعيه وأمرهما بأن تصبحا جناحين.

لكنهما لم تتحولا. مكتبة الرمحي أحمد

ملأ الخوف قلبه فيما وقع، ومزقت الأغصان بشرته.

فجأة، أصبح كل شيء ساكناً.

استلقى على ظهره فوق الثلج. ما من ألم، لكنه لم يستطع الإحساس بجسمه مطلقاً. انجرف عقله مطلقاً العنان لأفكاره، فيما تأملت عيناه مشهد السماء الشتوية فوقه.

ثم سمع صوت الخطوات، صوت انسحاق ناعماً، وبدا كل صوت أعلى ممّا سبقه.

الرجل الدوام آتٍ.

أغمض كاو عينيه كي لا يرى مصدر ذعره.

توقفت الخطوات، وهمس صوت ناعم: «افتحهما». صوت مليء بالوحشية.

حاول كاو أن يستدير بعيداً، لكن يداً أمسكت بذقنه وثبتته.

قال الصوت: «انظر إليّ».

أطاعت عينا كاو، رغم أنه أمرهما بعدم فعل ذلك.

وقف الرجل الدوام فوقه، ووجهه مليء بالندوب تحت الخصل المنسدلة من شعره الأسود. أمر كاو جسمه بالتّحرّك متوسلاً، ولكنه لم يطعه.

قال عدوه: «أريده». كانت عينا الرجل الدوام عينَي عنكبوت،

أقرأناكموه

بأوجه متعددة. كل قسم فيهما عكس وجه كاو المذعور.

هزّ كاو رأسه بقدر ما استطاع تحت تأثير القبضة المحكمة. لا يمكنه التخلي عن الحجر الذي أعطته إياه أمه.

ركع الرجل الدوام فوقه، حيث بات وجهه على مسافة قدم واحدة من وجه كاو. كانت بشرته ناعمة ولامعة. قال كاو لنفسه إنها ناعمة جداً. بالأصابع الطويلة ليده الطليقة، تمدد الرجل الدوام وضغط بأطراف أصابعه على وجهه، فانغرزت أظفاره السوداء في لحمه الشاحب.

خفق قلب كاو بقوة نتيجة الذعر الذي يشعر به، فيما بدأ خارق العناكب يمزق وجهه، وينزع الجلد عن جمجمته. عندها، أدرك كاو أنه قناع. هذا الكائن ليس الرجل الدوام على الإطلاق، وإنما هو شخص آخر.

أغمض كاو عينيه مذعوراً مما رآه تحت القناع...

بدأ ضوء خفيف يتسلل عبر الستائر. في البداية، شعر كاو بالارتباك، وتساءل عن سبب عدم نظره إلى العوارض الخشبية في سقف دار العبادة. لكن، فيما تبدد الكابوس، عادت أحداث الليلة الماضية إلى عقله. نظر إلى جانبه ورأى أن الآخرين ما زالوا يغمضون عيونهم. كانت سيلينا عابسة قليلاً في نومها، أما بيب فكان متقوقعاً على شكل كرة.

أحسّ كاو بشيء من الذنب. حتى لو رأتهم حمامات كرامب المتجسسة آتين إلى منزل فيلما، فلا بد أنه يشعر بالقلق؛ خصوصاً على خارق الفئران.

هدر صوت محرك سيارة في الخارج. فتح كاو باب غرفة النوم،

أقرأناكموه

فوجد السيدة ستريكهام واقفة هناك مرتدية معطفاً داكناً.

«صباح الخير لكم جميعاً. حان وقت الرحيل».

سأل كاو فيما جلس: «إلى أين؟».

فأجابت والدة ليديا وهي تستدير: «زوجي لديه اجتماع طوال فترة الصباح، لذا دعوت إلى اجتماع سيبدأ خلال ساعة».

قال بيب فيما نفخ صدره بفخر: « إذاً، عملتِ بنصيحتي».

رسمت شفتا السيدة ستريكهام شبه ابتسامة فيما غادرت الغرفة.

وقف كاو على قدميه ولحق بها، وقال مخفِضاً صوته: «انتظري، ماذا عن سيلينا؟».

رفعت السيدة ستريكهام حاجبها قائلة: «عليها أن تأتي معنا. فبعد أن أصبحت الآن تعرف بشأن الخارقين، باتت مسؤولة أيضاً. ولا يمكننا إبعادها عن نظرنا».

أحسّ كاو بنوع من الاتهام في نبرة صوتها، فتورّد وجهه خجلاً. قال: «أنا آسف».

أصبح وجه السيدة ستريكهام أكثر لطفاً، ولمست ذراعه قائلة: «لا تقلق. يمكننا مواجهة مشكلة سيلينا لاحقاً. والآن، لم تتح لنا فرصة التكلم جيداً خلال دفن إميلي. كيف يعاملك كرامب؟ سمعت أن تدريبك يتم بشكل جيد».

تردد كاو هنيهة، فقد افترض أنه لا يوجد أي تواصل بين السيدة ستريكهام وكرامب، لكنها بدت الآن على علم بكل ما يجري في دار العبادة، لذا قال: «إنه صعب. لكنني أتحسن يوماً بعد يوم».

قالت: «جيد. وهل نجحت في التحوّل إلى غراب مجدداً؟».

هزّ كاو رأسه نافياً وهو يتذكر محاولته الفاشلة قبل يومين؛ خارج منزل كوايكر.

أقرأناكموه

أومأت السيدة ستريكهام برأسها وقالت: «كنت محظوظاً لأنك نجحت في فعل ذلك ولو لمرة واحدة، فأنا أحاول التحول إلى ثعلب منذ أعوام». وشدّت على ذراعه بقوة وتابعت: «تملك موهبة كاو. استمر في المحاولة».

امتلأ قلب كاو بالفخر هنيهة فيما نزلت السلالم، لكنه حين استدار للعودة إلى غرفة النوم، تذكر الشيء الآخر الذي قالته.

ما الذي قصدته بالضبط بقولها «مواجهة مشكلة سيلينا»؟

قادتهم السيدة ستريكهام إلى باب سيارة أجرة كبيرة يقودها رجل آسيوي شاب ذو ثقوب في شفته وهالتين داكنتين حول عينيه. كان كاو واثقاً من أنه لم يره من قبل قطّ. وبالنظر إلى العبوس البادي على وجه ليديا، يبدو أنها لم تره هي أيضاً من قبل. لمح غربانه جاثمة على حائط الحديقة المقابلة.

قالت السيدة ستريكهام عبر النافذة: «إلى حديقة الحيوانات».

أحكم السائق قبضة يديه على المقود.

فقالت السيدة ستريكهام: «أرجوك، أعرف أن الأمر سيكون صعباً».

أومأ السائق برأسه وقال: «إذا توجّب علينا فعل ذلك سيدة س».

حين صعد بيب إلى المقعد الخلفي في السيارة، لاحظ كاو أن خارق الفئران وجّه ابتسامة صغيرة جداً للسائق. إنهما يعرفان بعضهما. هل هو خارق أيضاً؟ تحقّقت سيلينا من الطريق بلمحة سريعة، ثم صعدت إلى السيارة أيضاً. جلست السيدة ستريكهام على المقعد الأمامي قرب السائق، فيما أومأ كاو إلى الغربان قائلاً لها: «اتبعينا».

قال سكريتش: إلى أين سنذهب؟

أقرأناكموه

تمتم غلام: افعل فقط ما يطلبه منك.

لاحظ كاو أن ليديا لم تصعد بعد إلى السيارة، فحشر نفسه قرب سيلينا، ثم صعدت ليديا. بوجود أربعة أشخاص على المقعد الخلفي، بالكاد استطاعوا إغلاق الباب.

انطلقت سيارة الأجرة وأسرعت نحو المدينة.

قال بيب: «كيف حصل أنني لم أسمع سابقاً بالسيد سيلك أو السيدة بينكرتون؟ لم يذكرهما كرامب من قبل قطّ».

جلس كاو في وضعية منتصبة وقد اقشعرّ بدنه. أياً يكن السائق، فلا شك في أنه واحد منهم، وإلا لما ذكر بيب مسألة الخارقين.

قالت السيدة ستريكهام: «لم يتواجدا هنا خلال الصيف المشؤوم. كانا دوماً قريبين من... حسناً، هذا غير مهم. لقد عادا الآن».

أحس كاو بغصّة في صوتها، ففكّر في سرّه: إنها تخفي شيئاً ما.

سأل: «قريبان ممن؟».

لم تجب السيدة ستريكهام لبضع ثوانٍ، لكن كاو لمح انعكاس صورتها على صفحة المرآة الجانبية للسيارة. وكانت قد وضعت أصابعها على جانب وجهها، وظهر نوع من العبوس على جبينها فيما حدّقت بعيداً.

قالت بهدوء: «أم الذبابات».

تحرّك سائق السيارة على مقعده بانزعاج.

لا يعني الاسم أي شيء بالنسبة إلى كاو، لكنْ ثمة شيء في طريقة كلام السيدة ستريكهام وتعبيرها المنزعج جعل كاو يشعر بالخوف الحقيقي. انحنت سيلينا إلى الأمام للإصغاء.

قال بيب: «ها! خارقة الذباب! هذا مستحيل! إنها أسطورة. يقول

كرامب إن أحداً لم يرها قطّ».

هي.

فكّر كاو مجدداً في كلمات بينكرتون- إنها تريده- وأحسّ بجسمه يرتعش.

قالت السيدة ستريكهام: «يحق لكرامب الاحتفاظ بآرائه».

سأل كاو: «إذاً، ألم تحارب خلال الصيف المشؤوم؟».

تنهّدت السيدة ستريكهام وقالت: «إنها قصة طويلة. يستطيع فيليكس كوايكر ربما إخبارك التفاصيل. لكنْ لأجيال عدة، تمّت معاملة خارقي الذباب بازدراء. أعتقد أن المسألة بدأت بنوع من الارتياب؛ بسبب طبيعة الذباب. فالذباب يأكل ما هو متعفن ويقتات من جثث الموتى. لكنْ حتى في أيام والدي، لم يختلط أحد مع سلالة خارقي الذباب».

قال السائق: «سمعت أنهم انتقلوا من بلاكستون قبل أن أولد».

نظر كاو حوله بحثاً عن أي دليل يشير إلى الكائنات التابعة لهذا الرجل، لكن ما من شيء جلي في سيارة الأجرة.

قالت ليديا بتململ: «هل أم الذبابات حقيقية أم لا؟».

أجابت أمها: «لا أعرف. لم أرها بنفسي، لكن يقال إن خارقي الذباب هم دوماً من النساء. وفي حال عدم تواجد وريثة أنثى، تنتقل الموهبة إلى جيل آخر. لم يكن هناك خارق ذباب ذكر قطّ».

«كانت أمي تخبرنا قصصاً عن خارقي الذباب لتخيفنا وتجعلنا نحسن التصرف. كانت تقول لنا إنها تستطيع التسلل إلى أية غرفة طالما أن هناك فتحة كافية لمرور ذبابة واحدة. لذا، كنا نعمد أنا وأختي إلى سدّ فتحة القفل في باب غرفة نومنا ليلاً كي لا تأتي أم الذبابات إلينا».

أقرأناكموه

بقي كاو صامتاً، وأحسّ بانزعاج كبير يسيطر عليه. كان كوايكر خائفاً من امرأة أيضاً. إنها تراقبنا، حتى الآن...

قالت السيدة ستريكهام: «هل من أخبار جديدة عن أختك، تشين؟». أحسّ كاو أنها فرحت بتغيير الموضوع.

هزّ الرجل رأسه وقال: «لا شيء».

سألت سيلينا: «ألن يكون هناك أشخاص في حديقة الحيوانات؟».

فأجابت السيدة ستريكهام: «لا. فقد أغلقت الحديقة أبوابها في الأسبوع الماضي، وتم شحن كل الحيوانات الباقية إلى مدن أخرى».

قالت ليديا: «أوه، لن تتاح لي الآن مطلقاً فرصة الذهاب!».

قالت سيلينا: «لم تكن الحديقة رائعة جداً على أية حال. إنها للأطفال الصغار».

أحسّ كاو أن ليديا تصلّبت، وقالت من دون أن تنظر حتى إلى سيلينا: «وكم عمرك أنت على أية حال؟».

أجابت سيلينا: «خمسة عشر عاماً. ماذا عنك؟».

لم تجب ليديا.

بدأ المطر يهطل. سلك تشين عدداً من الطرقات الفرعية الضيقة لتفادي زحمة السير الخانقة، ووصل إلى المدخل الخلفي لحديقة حيوانات بلاكستون. كانت ثمة لافتات معلقة تقول إنه تم شراء الأرض من قبل «شركة فوتورا للتطوير»، وكانت غربان كاو جاثمة على إحدى تلك اللافتات.

خرجت والدة ليديا من السيارة حاملة مظلة، وفتحت البوابة قليلاً وأشارت إليهم للدخول. جاء تشين أيضاً، بعد أن ركن سيارته، وقد وضع قلنسوة فوق رأسه.

أقرأناكموه

قالت السيدة ستريكهام: «هذا المكان مميز بالنسبة إلى الخارقين. فخلال الصيف المشؤوم، كنا نستخدمه بمثابة قاعدة ليلية أحياناً، إلى أن اكتشف الرجل الدوام الأمر ونصب لنا فخاً. مات العديد من الخارقين الطيبين؛ والد مادلين خارق السناجب، وسيلفيا خارقة الدببة.

قال تشين بهدوء: «ووالدي أيضاً».

إذاً، لهذا السبب لم يشأ المجيء.

أرشدتهم السيدة ستريكهام إلى ممر مسقوف قرب حوض سباحة فارغ، إلى جانبه صور باهتة لحيوانات بطريق تلتقط السمك. عندما دخلوا، لاحظ كاو تسلل ثعلبين بهدوء خلفهم، كما لو أنه تمّ استدعاؤهما.

لاحظ كاو أن سيلينا كانت هادئة وشاحبة. لا بدّ أن كل هذا غريب بالنسبة إليها. كانت ملابسها مبللة بالمطر.

توقفت السيدة ستريكهام أمام باب كتب عليه: «للمسؤولين عن حديقة الحيوانات فقط»، ودفعت الباب لفتحه، وأرشدتهم إلى غرفة فارغة، ومن ثم أدخلتهم عبر باب مزدوج. وجدوا أنفسهم قرب بركة مليئة بمياه الأمطار المغطاة بالأوساخ ومحاطة بصخور ضخمة زائفة. فاحت رائحة السمك الفاسد في الهواء، فأدرك كاو أنهم موجودون داخل حظيرة البطاريق.

كان كرامب في الانتظار، مختبئاً تحت ظلّة مع العديد من الأشخاص الآخرين؛ خارقين رآهم كاو أثناء الدفن، بالإضافة إلى بعض الوجوه الجديدة. لا شك في أن العدد الإجمالي تجاوز الدزينتين. أحسّ كاو بشيء من الحماسة؛ فهو لم يرَ من قبل هذا العدد الكبير من الخارقين. لكنه عندما تأمل الوجوه، اختفت حماسته

أقرأناكموه

بسرعة. هل هؤلاء هم جميعاً؟! إنهم لا يشكلون أبداً الجيش الذي تخيله خلال الصيف المشؤوم. حلقت الطيور في الأعلى، واستقرت على حافة حوض السباحة، لكن كانت هناك أيضاً أنواع عدة من الكلاب من سلالات مختلفة. وثمة عظاءة ذات حراشف تسللت على الأرض، وحرّكت لسانها الأسود. وهناك رجلان- في العقد السادس من العمر- تعانقا بحرارة. وعند أقدامهما، اقترب أرنب من سلحفاة اختبأت داخل قوقعتها.

أسرع كرامب إلى الأمام وعانق بيب، ونظر بغضب إلى كاو من فوق رأس الصبي، وقال له:

«لا أستطيع منعك من التسلل، لكن يجدر بك إبقاء بيب بمنأى عن ذلك».

أبعد بيب نفسه عنه وقال: «لا تلم كاو، أنا لحقت به».

كان كرامب على وشك قول شيء آخر عندما سأل راكلن: «لمَ هذا الاجتماع؟».

فقالت امرأة ثمة عظاءة جاثمة على كتفها: «نعم، ما القصة؟ مجيئنا إلى هنا خطر جداً، فهو يلفت الانتباه».

تمتم عدد آخر من الخارقين بعبارات التذمر، لكن السيدة ستريكهام رفعت يديها فصمت الجميع. لاحظ كاو هبوط شكلين أسودَي اللون من الأعلى. فتح تشين سترته فدخلا إليها، وجثما رأساً على عقب. وطواطان! ابتسم تشين ابتسامة عريضة وأغلق سترته مجدداً.

قالت السيدة ستريكهام: «عاد أعداؤنا للظهور مجدداً. في الليلة الماضية، اعتدى خارق العث وخارقة الجرذان على صديقنا كاو».

ركزت كل العيون عليه، في انتظار سماع المزيد.

أقرأناكموه

تنحنح كاو، وأحسّ بالحرارة في وجنتيه فيما حدق إليه الجميع. لا شك في أن العديد من هؤلاء الأشخاص قد حاربوا مع والديه خلال الصيف المشؤوم. وثمة أشخاص آخرون فقدوا أهلهم خلال ذلك النزاع. أحسّ أن الحجر في جيبه ثقيل أكثر من أي وقت مضى.

عليك تحمله وحدك...

قال كرامب: «كاو، أخبرنا فقط بما حصل».

ففعل، لكنه أخفض عينيه إلى الأسفل فيما تكلم. أخبرهم كيف كان يبحث عن الطعام مع صديقته، وعن المركب، ومن ثم الهجوم. وأخبرهم عن الجرذان وحشرات العث.

لكنه لم يخبرهم عن الحجر.

فكّر في سرّه أنه لا يكذب، وإنما ينتقي فقط ما يريد مشاركتهم إياه. وعندما أنهى روايته، تجرأ على النظر إلى الأعلى. رغم إحساسه بأن الكثيرين منهم صدقوه، إلا أن الحيرة بقيت في عيون العديد من الخارقين.

أضاف: «أعتقد أنني كنت سأقتل لولا بيب وفئرانه؛ فقد أنقذت حياتي».

بدا ذلك كفيلاً بإبعاد أي شك، وتحوّل انتباه الجميع إلى بيب الذي وقف متورداً قرب كرامب.

قال خارق الفئران بجرأة: «نظن أنهما أرادا منقار الغراب! علينا أن نعرف خطتهما للتصدي لها».

أومأ عدد من الخارقين برؤوسهم، أو تمتموا لأنفسهم، لكن الجواب لم يكن واضحاً.

وجّه راكلن إصبعه نحو سيلينا وقال: «أفترض أنها الصديقة التي تحدثت عنها. أنا لا أثق في البشر».

أقرأناكموه

انتصبت سيلينا وقالت: «اسمي سيلينا، ولا أعرف إذا كنت أثق في الأشخاص الذين يتحدثون إلى الحيوانات!».

لقيت كلماتها العديد من صيحات الغضب، لكن سيلينا وقفت متحدية إلى أن سكتت تلك الصيحات.

بدت علامات الارتباك على وجه تشين. «هذا غير منطقي. لماذا الآن!؟ لماذا بينكرتون والسيد سيلك؟ لا بد أنهما يلحقان بالغراب...» ثم صمت وأدار رأسه وقال: «انتظروا. أسمع شيئاً ما».

حلّق سكريتش والغربان بالإضافة إلى عدة طيور أخرى عالياً.

وفي اللحظة التالية، سمع كاو صوت مكابح وأبواب تغلق بقوة.

الشرطة! صرخ غلام من فوق. وصاحت طيور أخرى أيضاً، فنظر الخارقون إلى بعضهم بعضاً بهلع. كيف عثرت عليهم الشرطة؟!

علت صيحات وأصوات خطوات في كل مكان، ثم وقع شيء ما على سطح حظيرة البطاريق وانزلق بسرعة فوق الحجارة القرميدية مصدراً دخاناً، ولحق به شيء آخر.

قالت السيدة ستريكهام: «قنابل دخانية! اهربوا جميعاً!».

إلا أن قدمَي كاو لم تتزحزحا. إلى أين يفترض به أن يهرب؟!

«قفوا في أماكنكم!».

«لا تتحركوا!».

جاءت الأصوات من المساحات المظللة المحيطة بالمكان. وعبر الدخان المتصاعد، شاهد كاو العديد من رجال الشرطة الذين يرتدون ملابس مكافحة الشغب، ويحملون أسلحة.

أمسك كراب بكاو بإحدى يديه، وسحب بيب باليد الأخرى وتراجع إلى الخلف نحو الأبواب التي دخلوا منها.

صرخ كاو: «انتظر، سيلينا!».

telegram @ktabpdf
أقرأناكموه

لكن كرامب لم يفلته. سمع كاو صراخ العديد من الحيوانات، وصيحات الطيور المحلقة إلى الأعلى عبر الدخان. قفز اثنان من ثعالب فيلما نحو حدود الحظيرة، وكشّرا عن أنيابهما. صرخ أحد رجال الشرطة: «هاي!». وسُمِع فجأة صوت إطلاق نار، وصرخ أحدهم: «أوقفوا إطلاق النار، استرخوا!». لكن بدا هذا القول متأخراً جداً وسط الذعر السائد. سمع كاو المزيد من الطلقات النارية، وشاهد الحيوانات- الطيور والقوارض والثدييات الصغيرة- وهي تقع فوق رجال الشرطة، فيما تناثرت الرصاصات في كل مكان؛ مرتطمة بالقرميد ومحلقة فوق رؤوسهم. كان سكريتش يحلق في منتصف الهواء عندما التف جسمه بعنف وهبط بسرعة إلى الأسفل.

صرخ كاو: «لا!». لكن كرامب دفعه عبر الأبواب. لاحظ كاو أن السيدة ستريكهام قد سبقتهم، وليديا خلفها. أين سيلينا؟ ركضوا في الرواق واتجهوا نحو المخرج. وفي الطرف البعيد، نجح كاو أخيراً في الإفلات من قبضة كرامب، وقال: «لا يمكننا ترك الآخرين».

اعترضت السيدة ستريكهام طريقه قائلة: «ألا ترى؟ إنه فخ! لا بد أنهم عرفوا أننا خططنا للقاء هنا. الحق بي الآن وإلا فسنموت جميعاً».

قال بيب: «كاو محق». وهزّ كتفه حيث بات كرامب ممسكاً فقط بسترته. ركض خارق الفئران مجدداً نحو أرض المعركة، متجاهلاً صيحات كرامب المذعورة. حاول كرامب وكاو اللحاق به، لكن ثعالب عدة اعترضت طريقهما.

قالت السيدة ستريكهام بصرامة: «قلت لك سابقاً، سوف تأتي معنا».

صرخ كرامب قائلاً لبيب: «عد إلى هنا». لكن خارق الفئران كان قد اختفى. فكر كاو في القفز فوق الثعالب، لكنها اعترضت طريقه

بإحكام. أمسكت ليديا بذراع كاو برفق وقالت: «تعال». فيما تحوّل أزيز الرصاص إلى نغمات متنافرة.

نجحت الثعالب في إجبار كاو وكرامب على الابتعاد عن المكان أكثر. استدار كاو مذهولاً، ومشى خلف ليديا. حدث كل شيء بسرعة. هل نجحت سيلينا في الهروب؟

صرخ صوت امرأة: «أوقفوا إطلاق النار! أوقفوا إطلاق النار! طوّقوهم!».

مع انتهاء إطلاق النار، بدا كرامب تائهاً، وتحرّك مع كاو وفق أوامر السيدة ستريكهام، وبمرافقة الثعالب. قادتهم فيلما إلى مجموعة سلالم مؤدية إلى مقهى مهجور مليء بالطاولات المكسوة بالغبار وقوائم الطعام الممزقة. وكانت ثمة جهة مكسوة بالزجاج ومطلة على حظيرة البطاريق.

تقدّم كاو إلى الأمام لرؤية ما يحصل. بدأ الدخان يختفي، لكن المشهد كان مريعاً. فقد اجتمع الخارقون كلهم في دائرة، وهم يسعلون ويمسكون بإحكام بأيدي بعضهم بعضاً. كان العديدون منهم يبكون، وثمة امرأة حضَنها راكلن، فيما تقطر الدم من ذراعها. رأى كاو أحد الرجال المتقدمين في العمر يمسك بابن مقرض ميت ويضمه إلى صدره، فيما امتلأت يداه بالدم. انتشرت بعض الحيوانات الميتة على الأرض، بما فيها بعض الطيور. بحث كاو عن سكريتش لكنه لم يلمحه في أي مكان.

كان الخارقون محاطين برجال شرطة مسلحين ومقنّعين. وانتشر المزيد من رجال الشرطة على الشرفة في الأعلى. فيما تحركت بينهم امرأة قصيرة ترتدي بذلة سوداء ضيقة وقميصاً أبيض، ونعلا حذائها يطقطقان على الأرض. بدت هادئة ومتزنة، وشعرها مربوط إلى

أقرأناكموه

الخلف من دون أن تتطاير منه أيه شعرة، وكانت تضع أحمر شفاه قرمزياً، وطلاء أظفار متناسقاً معه.

قالت: «اعتقلوهم جميعاً».

قالت السيدة ستريكهام: «إنها سينتيا دافنبورت؛ مسؤولة الشرطة الجديدة في بلاكستون».

قالت ليديا: «أهي تلك التي صرفت أبي من الخدمة؟».

تقدم رجال الشرطة إلى الأمام بحذر، لكنّ أياً من الخارقين لم يحاول المقاومة، ولم يستدع حيواناته.

تمتم كرامب: «صغيري... لا أستطيع السماح لهم بأخذه».

قالت سينتيا دافنبورت للرجل الواقف قربها: «هذه العصابة طليقة منذ أعوام. إنهم مسؤولون عن نصف الجرائم في بلاكستون». وأشارت إلى رجال الشرطة في الأسفل قائلة: «لا، هذه ليست معهم، فهي التي أرشدتنا إليهم!».

فتح كاو عينيه بصعوبة فيما خرجت سيلينا من بين الخارقين وتوجّهت إلى أطراف المكان، ووقفت قرب الشرطية. بدت غير واثقة من نفسها، لا بل حتى خائفة. ابتلع كاو لعابه بصعوبة. ما الذي يراه؟

قالت المرأة: «مرحباً حبيبتي». محاولة وضع ذراعها حول سيلينا.

كاد كاو يختنق.

قالت ليديا: «إنها تعرفها!».

قالت سيلينا وهي تحاول الإفلات منها: «قلت إنك لن تؤذيهم».

فأجابتها سينتيا دافنبورت: «لا أريد إيذاء أحد. لكن الوضع أصبح تحت السيطرة الآن، وستتم معالجة المصابين بالطريقة المناسبة».

أقرأناكموه

أصبح وجه السيدة ستريكهام مشدوهاً، وظهرت عليه أمارات الذهول والغضب. سيلينا خائنة! لا يستطيع كاو تصديق ذلك.

قالت الشرطية دافنبورت، فيما نظرت بعيداً عن سيلينا: «علينا العثور على زعيم الفتنة أيضاً. إنه في الثالثة عشرة من العمر، وذو شعر أسود، ويرتدي ملابس سوداء».

تساءل كاو عمن تتحدث. لكن لسبب ما، كان الآخرون ينظرون إليه. لحظة، إنهم لا يظنون أنه...

«اسمه جاك كارميكايل، لكنه معروف باسم كاو».

تجمّد كاو في مكانه، وخفق قلبه بقوة داخل قفصه الصدري. هذا غير منطقي. زعيم أية فتنة؟ لا بد أن هناك خطأ ما.

قالت سيلينا: «ماما، لا أظن أن هذا عادل». إنها ابنة الشرطية، قال كاو لنفسه. «ليس...»

قاطعتها أمها: «خذوها إلى مكان آمن».

بقي كاو جامداً في مكانه، فيما استدارت سيلينا ومشت بعيداً حين اقتربت منها شرطية أخرى. راقبهما وهما تسرعان نحو لافتة تشير إلى المخرج، ثم اختفتا.

قالت السيدة ستريكهام: «علينا أن نخرج من هنا». فيما بدأ رجال الشرطة ينتشرون في الأسفل.

قال كرامب: «ماذا عن الآخرين؟». تراجع كاو إلى الخلف، فارتطم بكرسي.

كان صوت الكشط على الأرض خفيفاً جداً. لكن في اللحظة نفسها، تحرّكت عينا سينتيا دافنبورت إلى الأعلى نحو مخبئهم، وأشارت بإصبعها إلى النافذة قائلة: «هناك!».

بدأ اثنان من رجال الشرطة المسلحين بالتوجه نحو المقهى، أما

الآخرون فأبعدوا أسلحتهم.

صرخ أحدهم: «اخرجوا وارفعوا أيديكم».

ابتعد كاو عن النافذة، ونظر إلى ليديا وكرامب الجالسين القرفصاء قربه، فيما هزّت السيدة ستريكهام رأسها بحزن.

صرخ صوت رجل: «حطّموا الزجاج».

دوّى صوت الرصاص، وتحطمت النافذة إلى آلاف الشظايا التي تناثرت فوقهم.

«هيّا، هيّا، هيّا». سمع كاو أصوات الأحذية على السلالم المؤدية إلى المقهى.

وصرخت السيدة ستريكهام: «احموا أنفسكم».

لكن كاو لم يصغِ، فقد عرف تماماً ما يجدر به فعله. رفع يده، وأحسّ بالقوة تتراكم داخله، وفيما وصل رجال الشرطة المسلحون إلى سلالم المقهى، هبطت كتلة سوداء من السماء المفتوحة فوق حظيرة البطاريق. هبطت الغربان على رجال الشرطة وكأنها سحابة كبيرة، وأوقعتهم أرضاً. تخبّط الرجال بجنون تحت الأجنحة الخافقة والمخالب المستدقة.

قالت ليديا: «لا بدّ من وجود مخرج في الجهة الخلفية».

قفزوا جميعاً باتجاه المنضدة الطويلة في المقهى، ومن ثم إلى المطبخ في الجهة الأخرى. لا شك في أن مخرج الحريق يفضي إلى مجموعة أخرى من السلالم التي تقود إلى مرأب السيارات الخاص بحديقة الحيوانات. مشت السيدة ستريكهام في الأمام مع ليديا، ولاحظ كاو أن كرامب لم يلحق بهم. عاد راكضاً إلى المقهى، فرأى كرامب يقف قرب النافذة المكسورة ويحرّك يديه بطريقة تعرّف إليها كاو بفضل تدريبه. إنه يأمر طيور الحمام. أزّت الرصاصات في

أقرأناكموه

المقهى، وحطمت الزجاج والأكواب على الرفوف. تقدم كاو إلى الأمام في وضعية القرفصاء وأمسك بحزام كرامب.

قال: «هيّا! لا يوجد وقت!».

لكن كرامب قاوم، وتراجع بكل وزنه. «لا أستطيع تركه». وأطبق قبضتَي يديه، ثم مدّ يديه إلى الأمام.

تجرأ كاو على النظر من فوق النافذة المكسورة، وشاهد عدة حمامات تحاول رفع بيب من ساحة العراك، لكن رجال الشرطة كانوا يثبتونه أرضاً. قال كاو: «هذا غير مجدٍ. سوف نستعيده لاحقاً، أعدك!».

قال كرامب: «لا». لكنه سمح لكاو بجرّه بعيداً.

في الخارج، كانت فيلما وليديا تنتظران قرب سيارة تشين. جلست السيدة ستريكهام على المقعد الأمامي وأنزلت الغطاء الواقي من الشمس، فوقعت مجموعة من المفاتيح في حضنها. قالت: «اصعدوا».

جثم غلام وشيمر على غطاء المحرك.

سأل غلام: هل سكريتش معك؟ فقدنا أثره.

لم يعرف كاو ماذا يجدر به أن يقول. فهو لا يستطيع إخبارهما الآن، لذا قال: «تابعا المراقبة».

صعدوا جميعاً إلى السيارة وأغلقوا الأبواب. وعلى صوت هدير المحرك وأزيز المطاط، غادروا حديقة الحيوانات، فيما بقي بيب هناك.

أقرأناكموه

الفصل 7

انهمرت الدموع بغزارة على وجنتَي كرامب، واهتزّت كتفاه.

قال: «لقد تركته».

لم يسبق لكاو أن رأى خارق الحمام محطماً هكذا من قبل. لذا، وضع ذراعه فوق كتفَي كرامب العريضتين وقال: «لو تم أسرك أيضاً، لما أتيحت له فرصة إنقاذك». فيما انزلقت السيارة عند منعطف.

صرخ كرامب: «كان يجب أن أكون أنا مكانه». وأبعد ذراع كاو عنه بغضب.

خارج النافذة، كان الغرابان يفعلان ما طلبه منهما كاو، ويراقبان من الهواء. قادت السيدة ستريكهام السيارة بسرعة متكئة إلى الأمام، ومطوّقة عجلة القيادة بكلتا يديها، وتحققت من المرايا كل بضع ثوان. سلكت طريقاً بعيداً عن النهر. وبين الحين والآخر، سمعوا صفارات الإنذار، لكنها لم تكن قريبة منهم.

أحس كاو بالخزي. إنها غلطته؛ فقد خدعته سيلينا تماماً. حاول تذكر لقاءاتهما السابقة بحثاً عن أية تلميحات. إلا أن غثيانه تضاعف. وجودها في منزل والديه، وأسئلتها عن مكان عيشه الآن... كانت تعمل لصالح أمها طوال الوقت، كأنها جاسوسة شرطة.

لماذا لم يستوعب الأمر سابقاً؟ كيف سمح لنفسه بالانجراف؟ عرف بالضبط كيف حصل ذلك. كان مشغولاً جداً بالتفكير في الحجر

أقرأناكموه

والتساؤل عن معناه، وأحسّ بأنه غبي جداً.

كانت المدينة خارج نوافذ السيارة تعيش وتيرتها كالمعتاد؛ أناس يرتدون بذلات رسمية متوجهون إلى أعمالهم، أو يحملون أكواب القهوة في الشوارع. إلا أن هذه المشاهد الطبيعية جعلت كاو يشعر أنه يعيش في كابوس. ركنت السيدة ستريكهام السيارة قرب دار العبادة، وخرجوا جميعاً. جثم غلام وشيمر قربهما.

قال شيمر: لم يلحق بنا أحد.

أجاب كاو بعدم مبالاة: «شكراً».

بدت عينا غلام فارغتين. فبالرغم من شجارهما الدائم، عرف كاو أن غلام يحب سكريتش مثل ابنه.

أحس كاو بوخز في عنقه، فنظر إلى الأعلى، ورأى الجميع يحدقون إليه. كرامب المتكئ إلى الأمام والواضع يديه على سقف السيارة حدّق إليه بغضب، فيما حدّقت إليه السيدة ستريكهام من فوق رأس ليديا أثناء معانقتها إياها.

قال كاو: «أنا آسف». ثم تمنى لو أنه لم يلفظ تلك العبارة. فقد أحسّ بثقل الكلمتين وهما تخرجان من شفتيه، وبدا اعتذاره غير ملائم البتة.

ضرب كرامب بيده على السيارة قائلاً: «أخبرتك كاو. أخبرتك. لا تثق في البشر، فهم لا يشبهوننا».

قالت ليديا فيما كانت تبتعد عن أمها: «هاي، لم يكن يعرف ذلك! اتفقنا؟».

تحسّنت معنويات كاو قليلاً لدى سماعه صديقته تدعمه، لكنه عرف أن كرامب محق.

قال كرامب فيما استدار نحوها: «هذا هو المقصود! لهذا السبب

أقرأناكموه

نبقى بمفردنا؛ لأنه من الأفضل التحلي بالسرية والأمان».

قالت السيدة ستريكهام: «اهدأوا». وبدت كما لو أنها استعادت بعضاً من رباطة جأشها، وتابعت: «لقد احتجزت الشرطة أصدقاءنا، لكنْ ما التهمة التي يمكن توجيهها ضدهم؟ لن يظهر أي منهم قواه الخارقة الآن. لذا، لم نخسر كل شيء. لِمَ لا ندخل؟». لاحظ كاو وجود العديد من الثعالب المجتمعة عند الباب.

قالت ليديا فيما دخلوا دار العبادة: «لا تلم نفسك. لم تكن غبياً، فقد خدعتنا سيلينا جميعاً».

أحس كاو بالخدر وقال: «لست مضطرة إلى قول ذلك».

فقالت ليديا: «لو كان بوسعي الإمساك بها...»

قالت السيدة ستريكهام: «حسناً، لا يمكننا».

أسرع كرامب نحو السلالم.

قالت السيدة ستريكهام: «إلى أين تذهب؟ علينا التوصل إلى...»

قال كرامب: «أحتاج إلى دقيقة بمفردي. اتركوني وحدي».

هزّت السيدة ستريكهام رأسها بإحباط.

قالت ليديا: «لا أفهم. لماذا تريد اعتقال كاو؟ إنه ليس مجرماً».

قالت والدة ليديا: «يشكك الناس دوماً في ما لا يستطيعون فهمه. للأمر علاقة ربما بمعركتنا ضد أتباع الرجل الدوام، أي مامبا وروتش. فقد تم توقيف كاو معهما في مصنع الخياطة مثلما تذكرين. وكان سيتم اقتياده إلى السجن لو لم يهرب من الشرطة».

هزّ كاو رأسه محتاراً. هل يمكن أن يكون ذلك هو السبب الحقيقي للمجزرة التي حصلت في حديقة الحيوانات!؟

جعله ذلك يشعر بسوء أكبر. تلك المرة، نجح في الهروب من أغلال الشرطة بمساعدة بيب، لكن بيب وقع الآن في ورطة بسببه.

أقرأناكموه

قال شيمر: ماذا عن سكريتش؟ إنه مصاب ربما. سيتركونه هناك على الأرجح. أليس كذلك؟

عادت إلى كاو ذكرى ارتطام غرابه بالأرض وكأنها ضربة مباشرة إلى أحشائه فيما لحق بالآخرين إلى الجزء الرئيس من دار العبادة. كان سكريتش الأكثر شجاعة، والغراب الأكثر تهوراً الذي عرفه في حياته. كاد يموت مرات عدة، ولكنه لم يخف من الخطر مرة واحدة.

قال غلام: لا يمكننا التخلي عنه. دعني أعود لألقي نظرة.

قالت شيمر: وأنا أيضاً.

قال كاو: «هذا خطير جداً».

قالت شيمر: لا نطلب منك أن تأتي معنا. يمكننا فعل ذلك بمفردنا.

قال كاو: «لم أقصد ذلك. أحتاج إليكما هنا. إذا حصل أي شيء لكما أيضاً...»

قال غلام: أريد أن أعرف إذا كان...

ورأى كاو انعكاس صورته في المحجر الأسود لعين غلام. بدا شاحباً ومنهكاً.

لكن، خطرت له فكرة، فاستدار نحو السيدة ستريكهام التي كانت تضع يدها على رأس ثعلب وقال لها: «أحتاج إلى مساعدتك».

قالت: «بماذا؟».

تابع كاو: «قلت إنه يمكنك الدخول إلى عقول ثعالبك. أريني كيف. فإذا استطعت الدخول إلى عقل سكريتش، فبإمكاني أن أعرف إن كان لا يزال حياً».

قطّبت خارقة الثعالب جبينها، وبدت مشككة تماماً في ما قاله.

قالت ليديا: «جرّبي».

أقرأناكموه

قالت السيدة ستريكهام: «حسناً». خلعت معطفها، وجلست على الأرض شابكة ساقيها، فيما تمددت ثعالبها على بطونها على مسافة أمتار قليلة منها. «اجلس كاو. أما أنت يا ليديا فابقي هادئة من فضلك، وكذلك أنتما أيها الغرابان؛ إذ يحتاج الأمر إلى تركيز هائل».

جلس كاو قبالة والدة ليديا، غير أنه لم يشعر بالثقة في نفسه.

قالت: «أغمض عينيك وحاول الاسترخاء، تخلّص من أفكارك».

وجد صعوبة في فعل ذلك. فكلما أغمض عينيه، عادت مشاهد المعركة في حديقة الحيوانات للظهور أمامه؛ رجال الشرطة، الرصاصات الخارجة من أسلحتهم، الخارقون الخائفون، ووجه سيلينا فيما وقفت قرب أمها.

قالت السيدة ستريكهام: «أستطيع الإحساس بغضبك. كاو، لا يمكنك فعل ذلك إلا إذا نسيت كل شيء».

طرد كاو الأفكار بعيداً، لكن أفكاراً أخرى تدفقت فجأة للحلول مكانها. ذلك اللقاء الأول مع سيلينا في غرفة نومه القديمة، وكيف نجح في جعلها تضحك. إحساسه بالسعادة عندما قالت إنه يجدر بهما اللقاء مجدداً. لقد وقع في الفخ من دون أي تردد، وطوال الوقت كانت تضحك؛ ليس على نكاته السخيفة، وإنما على حماقته أمامها.

قال غلام: كاو، استرخ، أرجوك. من أجل سكريتش.

أخذ كاو نفساً عميقاً آخر، وطرد سيلينا من عقله. حاول تخيل كرة فراغ سوداء في دماغه، لإبقاء كل شيء آخر بعيداً.

قالت السيدة ستريكهام: «حسناً، والآن ركّز على الغراب. انطق باسمه داخل رأسك، فكّر في شكله فقط دون أي شيء آخر».

بدأ كاو ينفذ ما طلبته منه.

سكريتش... سكريتش... سكريتش... وتخيّل الغراب في

أقرأناكموه

الأوقات السعيدة، جالساً على حافة العش.

قالت السيدة ستريكهام: «روحه موجودة، اعثر عليها».

سكريتش...

فكّر فيه وهو يغوص للشرب من بركة الماء.

سكريتش...

تذكّر كيف ابتلع رقاقات البطاطا المقلية كاملة من دون مضغها حتى.

سكريتش...

حصل الأمر فجأة. الصورة السوداء في عقل كاو بدأت تتفكك وتنهار لتصبح بقعاً من الضوء الساطع. بدا وكأن كل عقله ينقسم إلى جزءين، ثم يتحول ببطء إلى مساحة أخرى من الأفكار، قديمة وغريبة. اختفى الغراب، وبدأ مشهد مختلف بالظهور. بدت الصورة منحرفة ومشوّهة، لكن مع خفوت الضوء، رأى كاو وجه رئيسة الشرطة سينتيا دافنبورت. كانت تمسك بمرآة صغيرة، وتضع أحمر الشفاه. أدرك كاو أنه في الجهة الخلفية لسيارة، لكنْ لا أثر لسكريتش.

توقفت سينتيا دافنبورت فجأة عن وضع أحمر الشفاه، واستدارت للنظر إليه، وقد امتلأت عيناها الرماديتان الباردتان بالفضول.

قالت: «كنت أتساءل عن موعد عودتك».

أحس كاو بالارتباك، وحاول التكلم، لكن الصوت الذي صدر كان نعيب غراب أجش. نظر إلى اليمين واليسار، ورأى جناحين عملاقين أسودين ممدودين، ومربوطين بما بدا مسند رأس لمقعد سيارة. الأول مليء بالدم الجاف والريش المكسور. أحس فجأة أنه

عالق وحاول التحرك. حرّك مفاصل كتفه، وتمنى لو أنه لم يفعل ذلك؛ فقد توتّر الجناحان، وانتشر الألم في كل جسمه. الآن فهم ما يراه؛ جسمه هو جسم غراب.

إنه داخل سكريتش.

قالت دافنبورت بهدوء: «لا تقاوم».

أحسّ كاو أن قلبه يخفق بسرعة. ما الذي يجري؟ لماذا وضعت رئيسة الشرطة سكريتش في سيارتها؟ هل تعرف بشأن الخارقين؟

أخفضت وجهها ليصبح قرب وجهه، فرأى كاو الآن قسماتها عن كثب. الشبه واضح بينها وبين سيلينا. فهما تملكان الأنف العريض نفسه، والبشرة البيضاء نفسها، والجبين العريض نفسه أيضاً. إلا أن عيونهما مختلفة تماماً. فالأم لا تملك أي نوع من اللطافة أو الحنان. خرجت صرخة ألم من منقاره.

قالت: «أنت تتساءل ربما عن كل ما يجري».

فُتِح البابان في جانبَي السيارة، وجفل كاو حين صعد السيد سيلك من أول جهة، وبينكرتون من الجهة الأخرى. حكّت خارقة الجرذان عنقها بأظفارها المعقوفة والمتسخة. هل يعرفان السيدة دافنبورت؟ لكن...

جلس السيد سيلك على مقعده، وأخفض قبعته أمام والدة سيلينا قائلاً: «سيدتي».

تدفق الضوء على أفكار كاو المرتبكة فيما كافح لاستيعاب ما يراه، وتحوّل خوفه البسيط إلى ذعر حقيقي. إنهما يعرفانها. إنهما يعملان معها. مما يعني...

قالت سينتيا دافنبورت: «لا تحاول التكلم. أصغِ إليّ جيداً. ليس هذا تفاوضاً أو تهديداً تافهاً، فأنا أملك كل أبناء جنسك، وقد وضعتهم

أقرأناكموه

في السجن جميعاً؛ في مكانهم الحقيقي. أحضر لي الحجر بحلول منتصف الليل، وإلا فسأقتلهم جميعاً. اطلب المساعدة من أصدقائك وسيموتون هم أيضاً. خيارك بسيط جداً يا خارق الغربان».

ابتسمت، فيما خرجت حشرة سوداء صغيرة بجناحين خافقين من وراء أذنها. راقب كاو بذعر فيما زحفت الحشرة على بشرة وجنتها الناعمة ثم دخلت عبر منخرها. لم تجفل.

إنها هي. لا بد أنها هي. سينتيا دافنبورت والدة سيلينا هي أم الذبابات.

قالت: «والآن، لم نعد بحاجة إلى هذا الكائن. هل جرذانك جائعة يا بنكرتون؟».

أجابت بنكرتون: «د... د... دوماً جائعة». واتسعت عيناها الحمراوان.

أحس كاو بجناحيه يتحرران من قبضة سينتيا دافنبورت فيما خرجت مع صديقيها من السيارة، ثم اهتزّ العالم على نحو جانبي فيما قذفته في الهواء. ارتطم بالأرض وانهار مذعوراً. حدّق إلى الأسفلت، وحاول تحريك جناحه المصاب، لكن موجات الألم شلّت جسمه.

نظرت إليه سينتيا دافنبورت من دون شفقة، ثم ابتعد حذاؤها عالي الكعبين مطقطقاً على الأرض.

أحسّ كاو بالذعر، فقد أحاطت به أرجل متحركة وأربعة أجسام مكسوة بالفرو، وكشفت الجرذان عن أسنانها.

ألح كاو: انهض.

حاول استخدام مخالبه لإبعاد الجرذان. ولكن، لا بدّ أن أحد الجرذان قد اندفع من الخلف إلى الأمام؛ لأن جناحه تعرّض فجأة لشدّ عنيف، وانغرزت أسنان في ظهره. تخبط وتخبط، وصرخ، لكن

أقرأناكموه

الجرذان غرزت أسنانها في جسمه. إنها تمزقني إرباً!

أحس بألم كبير فيما اقتُلع الريش من جلده. وفي كل مرّة حصل فيها ذلك أحسّ كاو أن الرابط بينه وبين سكريتش يضعف. ركّز تفكيره على الألم الكبير، لكنه لم يستطع الهروب؛ فهو لا يستطيع ترك صديقه.

لكنها تقتله. ملأ الدم فمه وعينيه، وباتت رائحة الجرذان طاغية، وغطّى لعابها وجهه وريشه. كانت مسعورة نتيجة الشره.

ثم قفز شكل أبيض إلى ساحة المعركة، تلاه شكل آخر. إنها حيوانات أصغر من الجرذان، وإنما قوية مثلها. فجأة، احتشدت مجموعة كبيرة من الفئران قربه. تخلت الأسنان والمخالب عن الغراب، فاستدار كاو على ظهره محركاً مخالبه بعجز. ورغم الدم والألم، شاهد الجرذان وهي تحاول تحرير نفسها من الفئران.

أدرك كاو أن هذه هي فرصته الوحيدة ربما، فأمر جسم الغراب بالنهوض على رجليه. كانت إحدى رجليه مكسورة، فعرج بشكل مائل على الأرض. إلا أنه استجمع كل قوته وضخها في جناحيه المتألمين وخفق بهما. في أول ثلاث أو أربع خفقات، نجح فقط في جرّ نفسه على الأسفلت، ثم حلّق في الهواء خافقاً بجناحيه بجنون.

ابتعدت الأرض عنه، وشاهد الفئران تبتعد عن أجسام الجرذان الأربعة التي باتت على شفير الموت. وفيما حلّق أعلى وأعلى، أحسّ أن الرياح تبرّد جناحيه فيما لاح سجن بلاكستون في الأفق. كانت ثمة عربات عدة مصفحة مركونة في فناء مسيّج، وكان رجال الشرطة ينزلون السجناء المكبّلين منها؛ الخارقين. حلّق كاو فوقهم، ورأى بينهم وجهاً يحدّق إليه مباشرة. إنه بيب، وكان يقاوم بين يدي شرطي.

صرخ: «هيّا سكريتش. أخبر كاو أنه فرصتنا الوحيدة».

أقرأناكموه

غير أن الشرطي جرّه وأعاده إلى الصف.

لمحت عينا كاو حركة في الهواء إلى يساره. وبالكاد استدار للنظر كما يجب حين تدفقت نحوه مئات الأشكال الخافقة مصدرة صوتاً لا يشبه أي شيء سمعه من قبل؛ صوتاً عالياً مثل منشار يقصّ معدناً. عثّ! حاول الهروب منها بخفق جناحيه، لكنه مع كل حركة أحسّ بذبذبة عميقة في عظامه تسلبه قوته. إنه الألم ينخر أطرافه.

عليك أن تهرب!

جعل كاو جناحيه بالقرب من جسمه وترك الجاذبية تسحبه، فهبط بعيداً عن سحابة العث. اختفى الصوت فجأة، فخفق بجناحيه مجدداً لمعاودة التحليق بسرعة وهو يشعر بالألم. لحقت به الحشرات، لكنه كان أسرع منها. وبعد وقت قصير، بات يحلّق جنوباً؛ نحو النهر، واختفى منه الأدرينالين تاركاً فقط ألماً كليلاً في جناحيه. شاهد المدينة تحته، وأحس بالتيارات الهوائية وكأنها زفير دافئ لكائن حيّ. قوّست عين الغراب لديه العالم كي يتمكن من رؤية الجوانب العريضة والأفق في الوقت نفسه.

لمح كاو البرج المكسور لدار العبادة، فعدّل زاوية جناحيه للانزلاق هناك. وجّه جناحيه ليبطئا السرعة، وغاص في الثقب بين الروافد الخشبية. تطايرت الحمامات عند هبوطه، وحلّق في كل ممر دار العبادة وصولاً إلى السيدة ستريكهام وكرامب وليديا.

سمع غلام يصرخ: إنه سكريتش!

ثم رأى صبياً جالساً على الأرض متشابك الساقين، وأدرك أنه هو يحدّق إلى العدم بعينين فارغتين. لقد عاد إلى مكانه، لم يعد بوسعه التحليق مجدداً...

استعاد كاو انتباهه في الوقت المناسب ليرى سكريتش وهو يهبط

أقرأناكموه

على الأرض بطريقة غريبة، ويتدحرج على ألواح أرض دار العبادة. أسرعت ليديا نحو الغراب، فيما جثم غلام وشيمر قربه.

قالت شيمر: سكريتش؟

حاول كاو النهوض، لكن بدا كل شيء غريباً، واتكأ على مقعد خشبي قديم. احتاج إلى بضع ثوانٍ ريثما اختفى إحساس الوخز من ساقيه، وعادت أطرافه إلى سابق عهدها.

قالت السيدة ستريكهام: «لقد فعلت ذلك!». وأمسكت بكتفيه لمنعه من السقوط.

وكان غلام يقول: استيقظ سكريتش.

كافح كاو لإيجاد صوته، لكن لم يخرج من فمه سوى نعيب، وبعد ذلك قال: «إنها أم الذبابات».

قالت السيدة ستريكهام: «ماذا؟».

أومأ كاو برأسه. «سينتيا دافنبورت. رأيتها. إنها خارقة الذباب».

أمسكت به السيدة ستريكهام بقوة أكبر وقالت: «كيف عرفت ذلك؟».

«كانت هناك ذبابة على وجهها. وكان السيد سيلك وبينكرتون معها في سيارتها. وها هي الآن تأخذ الخارقين إلى السجن». كان سكريتش يتحرك بضعف، فسأله كاو: «هل أنت بخير؟».

أجاب الغراب: أشعر بالقليل من الدوار.

سأل كرامب فيما نزل من الأعلى: «ماذا يجري؟». واتسعت عيناه. «هل هذا سكريتش؟».

كانت ليديا جالسة القرفصاء قرب الغراب، وهي تساعده ببطء على مدّ جناحه.

أقرأناكموه

قالت السيدة ستريكهام: «أم الذبابات عادت إلى بلاكستون. وقد وضعت أصدقاءنا في السجن».

شحبت بشرة كرامب وقال: «لست جادة، أليس كذلك؟».

فقال كاو: «إنها سينتيا دافنبورت».

سأل خارق الحمام: «لكن، كيف؟ هل أنت واثق؟».

أومأ كاو برأسه. «كل شيء بات واضحاً. لهذا السبب لحق بنا أنا وسيلينا كل من بينكرتون والسيد سيلك إلى المركب. لكنني لم ألمح أية ذبابة تلحق بي».

فقالت ليديا: «ألا ترى؟ إنها سيلينا! هي التي أوصلتك إلى هناك!».

أحس كاو بالاشمئزاز. لا شك في أنها فعلت ذلك.

ذرعت السيدة ستريكهام المكان ذهاباً وإياباً، فيما راجع كاو الأحداث في عقله مراراً وتكراراً. بدأ كل شيء يتضح بطريقة منطقية. فقد عرفت سينتيا دافنبورت أن كاو سيحصل على الحجر، لذا وضعت سيلينا في منزله. ولا بد أن رجال الشرطة في منزل كوايكر كانوا يعملون لصالحها أيضاً، محاولين معرفة مكان كاو من خارق القططة.

تمتم كرامب مرتعداً: «خارقة الذباب! ما الذي أعاد هذه المخلوقة إلى بلاكستون؟!». تورّدت بشرة كاو خجلاً، وأصبح فمه جافاً. ثمة حل وحيد لذلك. عليه إخبارهم. فلو كانت أمه هنا، هل كانت ستطلب منه أن يبقى صامتاً؟ لا مجال أبداً لمعرفة ذلك. عليه اتخاذ قراراته بنفسه، وثمة أمر أكيد عرفه، لم تعد حياته وحده معرضة للخطر.

قالت السيدة ستريكهام: «لا بد أنها تخطط لشنّ هجوم على المدينة. وإلا فلماذا احتجزت كل الخارقين؟».

قال كاو بهدوء: «لا، ليس هذا هو السبب».

أدارت السيدة ستريكهام عينيها نحوه وقالت: «عفواً؟».

ابتلع كاو لعابه بصعوبة، وبالكاد استطاع التنفس، وكان وجهه يحترق. جاءت لحظة الحقيقة، ولم يعرف ما يجدر به قوله.

«كنت... كنت...»

قال كرامب: «انطق. إذا كنت تعرف شيئاً فأخبرنا به. بيب في خطر يا كاو!».

وهكذا، أخبرهم كاو بكل ما حاول إخفاءه سابقاً في حديقة الحيوانات، وبقي ينظر إلى الأرض طوال الوقت. خرجت الكلمات من فمه بسرعة؛ بدءاً بلقائه الأول مع الغريب خارج منزله، ومروراً بلقائه كوايكر، ووصولاً إلى الرواية الكاملة لأحداث المعركة على متن القارب، وأم الذبابات أخيراً. الشيء الوحيد الذي أبقاه لنفسه هو حلمه؛ فكيف يمكن أن يعني ذلك أي شيء لهم؟

توقع الغضب، لكنه عندما تجرأ أخيراً على النظر إلى الأعلى، رأى كرامب والسيدة ستريكهام مذهولين بكل بساطة.

قالت السيدة ستريكهام: «الرجل خارج منزلك كان من دون شعر مثلما تقول. لا شعر أبداً؟».

قال كاو: «لم أرَ أي شيء».

قطّبت والدة ليديا جبينها وقالت: «يبدو أنه خارق الديدان. هل كان عجوزاً؟».

هزّ كاو كتفه مجيباً: «تصعب معرفة ذلك. إنه في العقد الخامس من عمره ربما».

ازداد عبوس السيدة ستريكهام وهي تقول: «شريط الحذاء، هكذا كنا نسميه عندما كنت صغيرة. لكن، كان عمره خمسين عاماً آنذاك. لا

أقرأناكموه

بد أنه أصبح عجوزاً جداً إذا كان لا يزال على قيد الحياة».

تذكر كاو الدودة التي أخرجتها شيمر من الأرض مباشرة قبل دخوله المنزل. «كانت هناك دودة! تلك مجرد صدفة ربما، لكن...»

ركزت السيدة ستريكهام نظراتها على كاو مجدداً وقالت له: «كان يجدر بك إخبارنا بكل ذلك من قبل».

أحسّ كاو بوجنتيه تحترقان خجلاً مجدداً. «أنا آسف. أخبرني كوايكر أنه يجدر بي وحدي الاهتمام بالحجر، وأن أمي لم تكن لترغب في أن أخبر أياً كان عنه».

تمتم كرامب: «الأحمق العجوز».

سألت ليديا بنبرة قاسية: «أين الحجر؟». فأدرك كاو فجأة أنها غاضبة منه. لكن، هل يستطيع لومها؟ فهو لم يخبرها عن الحجر رغم كل اللطافة التي أظهرتها تجاهه، بل أبقى الأمر سراً عنها.

مدّ يده إلى جيبه وسحب الحجر ببطء. بدا عادياً أكثر من قبل، ومن دون أية حياة، وبلون أسود باهت. نظر إليه الجميع عن كثب.

قالت السيدة ستريكهام: «هل أستطيع إمساكه؟». ومدّت يدها.

فوضعه كاو في راحة يدها.

فجأة، صدر صراخ عالٍ وهسيس، فاستدار كاو ليرى ثعالب السيدة ستريكهام وقد قفزت على قوائمها، وانتصب الشعر على ظهورها. أفلتت السيدة ستريكهام الحجر على الفور، وقالت: «ما الذي...؟» وحدّقت إلى يديها.

قالت ليديا: «ماما؟!». ورفعت عينيها عن سكريتش.

هدأت الثعالب مجدداً، واقتربت من معلمتها مصدرة أصواتاً خفيفة وغريبة؛ كما لو أنها عواء حذر. قطّبت السيدة ستريكهام جبينها، ونظرت إلى الثعالب ومن ثم إلى الحجر.

وقالت للثعالب: «نعم، أنا بخير».

فركت الثعالب- الواحد تلو الآخر- أجسامها بها. لم يفهم كاو ما حصل، وجلس القرفصاء لأخذ الحجر.

فقالت السيدة ستريكهام: «لا تفعل!».

امتنع كاو عن أخذ الحجر، فيما أخرجت السيدة ستريكهام منديلاً من جيبها، وانحنت ورفعت الحجر بواسطة المنديل، وإنما بحذر أكبر هذه المرة، ثم تأملت سطحه عن كثب.

قال كرامب: «ما الأمر؟».

أجابت السيدة ستريكهام: «لست واثقة. لكنني عندما لمسته شعرت أن هناك خطباً ما».

قالت ليديا: «كيف؟».

نظرت السيدة ستريكهام إلى كاو وسألته: «لقد لمسته أيضاً، فهل أثّر فيك؟».

بدأ كاو يهزّ رأسه، لكن شيمر قاطعته قائلة:

في الواقع، لقد أصبحت غريباً قليلاً منذ أن حصلت عليه.

سأل كاو: «بأية طريقة؟».

أجابت: «حسناً... بعيداً نوعاً ما».

«حقاً؟!».

أضاف غلام: لم نشأ قول أي شيء لك. ولكنك بدوت أحياناً وكأنك لا تسمعنا، فقلنا لأنفسنا إن لديك الكثير من الأمور للتفكير فيها، لكن للأمر علاقة ربما بذلك الحجر.

أضاف سكريتش: لم يعجبني مظهره مطلقاً.

قال كاو: «قال كوايكر إنه خطير. أعتقد أنه كان على علم بأن أم الذبابات تريده».

أقرأناكموه

قالت السيدة ستريكهام فيما نظرت إلى الحجر: «السؤال هو لماذا؟ كاو، فكّر! هل يوجد أي شيء آخر يمكنك إخبارنا به؟».

قال: «أخبرتني الغربان للتو أنني لم أعد على طبيعتي منذ أن حصلت عليه. وفي الواقع...» وتذكر فجأة ما حصل في الليلة الماضية حين كان مستلقياً على الأرض في غرفة نوم ليديا، وإحساسه المفاجئ باليأس حين لمس الحجر؛ الإحساس الذي شعرت به الغربان ربما. هل كان ذلك بتأثير الحجر أيضاً؟

قالت السيدة ستريكهام: «ماذا تحديداً؟».

لم يعرف كاو كيف يشرح الأمر فقال: «إنه فقط... حسناً... يسلبك ربما رابطك مع الحيوانات. حاولت التحول إلى غراب عندما ذهبت لرؤية كوايكر، ولم أنجح في ذلك. وأنا لا أسمع أحياناً ما تقوله لي الغربان؛ فقط عندما ألمسه».

قال كرامب: «حسناً، يبدو لي صخرة عادية. أقترح أن نعطيه لخارقة الذباب اللعينة وننتهي منه».

قال كاو: «لا يمكن!». وقبل أن يفكر حتى في الأمر، تمدد وأمسك بالحجر مع المنديل.

قال كرامب: «أوه، ألا يمكننا؟ لديها بيب يا كاو. ألا يعني ذلك أي شيء بالنسبة إليك؟».

«بلى، ولكن...»

استدار كرامب بعيداً بشيء من العصبية وقال: «ألم تسبب ما يكفي من المشاكل؟».

قالت السيدة ستريكهام: «أوافقك الرأي كاو».

حدّق إليهما كرامب قائلاً: «ماذا؟ بيب عمره سبعة أعوام فقط!».

أقرأناكموه

قالت والدة ليديا: «لا يمكننا الإذعان للعواطف في هذه المسألة».

سخر كرامب مما قالته، وأشار إلى ليديا: «ماذا لو ألقوا القبض عليها؟ ماذا كنت ستقولين حينها؟».

أخذت السيدة ستريكهام نفساً عميقاً محدقة إلى ابنتها وأجابت: «كنت سأجد الأمر صعباً جداً. لكن، اسمع كرامب. أعتقد أن كاو قد يتوصل إلى حلّ ما. تملك أم الذبابات حالياً الخارقين الطيبين. وإذا كانت لهذا الحجر القدرة التي تحدث عنها كاو، فقد تستعمله لتسلبهم قواهم، ولن يستطيع أحد عندئذ ردعها والحؤول دون سيطرتها على المدينة».

قال كرامب: «يبدو لي هذا احتمالاً مستبعداً».

فقالت ليديا بسرعة: «إذاً، هيّا المسه إذا كنت واثقاً من أنه لن يؤذيك».

قال كرامب: «حسناً». وتقدم بخطوات واثقة نحو كاو، وتمدد للإمساك بالحجر. لكنْ عندما أصبحت أصابعه على مسافة سنتيمترات قليلة توقف. إذ كانت الحمامات تحلق فوقه بطريقة مسعورة، فيما حطت حمامة أو اثنتان على رأسه، فأرجع يده إلى الخلف، ولعق شفتيه بعصبية.

قالت السيدة ستريكهام: «فكّر في الأمر. أياً يكن هذا الحجر- وأياً تكن قدراته- فإنه مهم بالنسبة إلى أم الذبابات أكثر من حيوات كل أعدائها معاً. لقد أعادها الحجر إلى بلاكستون، ولا يمكننا السماح لها بالحصول عليه».

بقي كاو صامتاً فيما حدّق خارق الحمام وخارقة الثعالب

أقرأناكموه

إلى بعضهما. وكان كرامب من أبعد نظره أولاً. «حسناً. إذاً، ما هي الخطة؟».

قالت السيدة ستريكهام: «لا أعرف. لكن لديّ فكرة ربما». وأخرجت هاتفها من جيبها وحدّقت إليه كما لو أنها تبحث عن جواب.

لمست ليديا جناح سكريتش برفق قائلة: «يبدو الجرح نظيفاً، لكنك ستعاني من ندبة».

أومأ سكريتش بمنقاره بفخر وقال: سيقول البعض إنني مثل الأوغاد، أليس كذلك يا شيمر؟

قال غلام: ألاحظ أن رؤيتك للموت لم تجعلك أكثر تواضعاً البتة.

قالت شيمر: أنا مسرورة لأنك على قيد الحياة.

قالت ليديا: «رجلك مكسورة أيضاً». رأى كاو الالتواء في الرجل الصغيرة. وتابعت ليديا: «يفترض أن أتمكن من تجبيرها. كرامب، هل تملك أي أغصان صغيرة أو خيوط قنّب؟».

أجاب خارق الحمام: «في الأعلى، سأحضرها». كان لا يزال غاضباً فيما توجّه إلى الأعلى. وأثناء انتظارهم، حطّ غلام على كتف كاو وقال:

لقد فعلت الشيء الصحيح بإخبارهم.

أومأ كاو برأسه موافقاً. فبعد أن كشف السرّ الآن، تساءل عن سبب إبقائه السر لنفسه طيلة ذلك الوقت. ففي النهاية، إنهم أصدقاؤه، ولا شك في أن أمه لا ترغب في أن يخفي أسراراً عنهم، أليس كذلك؟ نظر إلى الحجر الموضوع في المنديل وتساءل: هل صحيح أنه يملك القوة لسلب الخارقين قدراتهم؟

لف الحجر بالمنديل بعناية ووضعه بعيداً، مع حرصه على عدم لمسه.

عاد كرامب بسرعة حاملاً رزمة صغيرة وقال: «يفترض أن تجدي هذه نفعاً». وأعطاها لليديا التي باشرت بعملها فوراً، فيما بدا أن السيدة ستريكهام قد توصلت إلى قرار.

تمتمت: «أعتقد أن الوقت قد حان للتحلي بالصراحة». فيما أمسكت الهاتف بكلتا يديها.

قطّبت ليديا جبينها وسألتها: «ماذا تقصدين؟».

«إذا أردنا دخول سجن بلاكستون، فثمة شخص نعرفه كلتانا يستطيع مساعدتنا».

اتسعت عينا ليديا وهي تقول: «بابا!؟».

أومأت السيدة ستريكهام برأسها ببطء وقالت: «سجن بلاكستون أشبه بقلعة، وهو يعرف المكان أفضل من أي شخص آخر».

قال كرامب: «هل نستطيع الوثوق فيه؟». فوجهت إليه السيدة ستريكهام نظرة غاضبة، لكن كاو فهم سبب ملاحظة كرامب. أضاف كرامب: «حسناً، إنه ليس واحداً منا».

فقالت ليديا: «ولا أنا». ووقفت قرب سكريتش وتابعت: «هيّا، يفترض أن يفيدك هذا».

قفز سكريتش في مكانه وقال: جيد، كأنه جديد.

هبطت حمامة إلى الأسفل، وحطّت على يد كرامب، وهدلت له، فرسمت شفتا خارق الحمام ابتسامة حزينة وقال: «شكراً، وايت تايل».

فقالت له السيدة ستريكهام: «هل تودّ مشاركتنا الخبر؟».

«حسناً، لدي شيء لصالحنا ربما. حين صعدت إلى الأعلى لم أكن أنتحب فقط، مثلما تعلمون».

أقرأناكموه

فقالت والدة ليديا: «أظن أننا جميعاً بحاجة إلى أخبار جيدة».

ارتفعت عينا كرامب نحو الأعلى وقال: «ها قد وصلت».

وهبط شكل كبير عبر فتحة السقف، تحمله دزينة من طيور الحمام. وفيما نزلت الطيور، أفلتت سيلينا دافينبورت وتركتها تقع على الأرض.

الفصل 8

بدت سيلينا مذعورة تماماً، فيما ركضت السيدة ستريكهام إلى الأمام، وأمسكت بها من عنقها ورفعتها في الهواء. وزمجرت الثعالب من كل حدب.

صرخ كاو: «توقفي!».

وقالت ليديا: «ماما!».

أصبح وجه سيلينا أحمر اللون نتيجة اختناقها.

صرخت والدة ليديا: «أخبريني، لماذا لا أدع ثعالبي تمزق حنجرتك إرباً؟».

أمسك كاو بذراع السيدة ستريكهام وضغط عليها بشدة قائلا: «لا تفعلي». ولاحظ أن براجمها صارت بيضاء اللون، فيما بدأت عينا سيلينا تنتفخان. «إنها... قد تكون مفيدة لنا».

بقيت السيدة ستريكهام ممسكة بها بضع لحظات إضافية، ثم أفلتتها. وقعت سيلينا على الأرض، وفركت عنقها وسعلت، ثم قالت: «لم أقصد... لم أفهم...»

نظر إليها كاو بازدراء وقال لها: «التواجد في منزلي. كانت هذه خدعة، أليس كذلك؟»

نظرت إليه وعيناها متلألئتان بالدموع.

فصرخ في وجهها: «أردت مساعدتك! لقد خنتني!».

أقرأناكموه

قال كرامب: «لأن أمها خارقة الذباب. إنها عديمة الجدوى. إنها فاسدة في الصميم».

تمتمت سيلينا: «عمّ تتكلمان؟ أمي مسؤولة فقط عن الشرطة».

قالت السيدة ستريكهام: «لا تتظاهري بالحماقة أمامنا».

وجّهت سيلينا نظرة يائسة إلى كاو وقالت: «أخبرتني أمي أن هناك عصابة ترتكب السرقات في بلاكستون. وقالت إنها تتنقل في أرجاء المدينة، ويستحيل إلقاء القبض عليها، وأردت فقط المساعدة».

صرخ كرامب: «إنها تكذب. هل تتوقعين منا أن نصدق أنك عشت مع أم الذبابات طوال حياتك ولكنك لا تعلمين ذلك؟».

قالت: «لا أعرف ما تتحدث عنه. أمي عادية، وهي لا تستطيع التحدث إلى الذباب».

قال كرامب: «أوه، أرجوك». ولوّح بيده، فهبطت طيور الحمام على سيلينا مجدداً، فركلت وصرخت فيما رفعتها الطيور مجدداً في الهواء.

قالت: «أفلتيني. لمَ أكذب عليكم؟».

رفع كرامب ذراعه، وحملت طيور الحمام سيلينا أعلى وأعلى.

قال كاو بعصبية: «ماذا تفعل؟».

لم يبعد كرامب عينيه عن سيلينا، فيما صرخ عالياً ليطغى صوته على صوت بكائها: «أنت لم تلتقي يوماً بخارق النسور، أليس كذلك؟ لقد حارب إلى جانب الرجل الدوام خلال الصيف المشؤوم. نحن جميعاً مذعورون منه، إذ تظهر طيوره من حيث لا ندري وتنقض على ضحاياها. اشتهر أسلوبه بإلقاء أعدائه من ارتفاع عالٍ. إنها طريقة مريعة للموت».

عندها، صرخت سيلينا: «إذاً، افعل ذلك. إذا ظننت أنني كما

تقول، فلا أستطيع منعك. لكنني لن أتوسل إليك».

قال سكريتش: لقد فقد صوابه!

صرخ كاو: «لا كرامب. ماذا لو كانت تقول الحقيقة؟».

قال كرامب: «سأجازف بذلك». وتقدم خطوة إلى الأمام، وزمجر بفمه، ومدّد ذراعيه فيما رفعت طيور الحمام سيلينا عبر فتحة السقف واختفت بعيداً. لاحظ كاو أن عينَي ليديا اتسعتا ذعراً.

استدعى غربانه بسرعة، فجاء إليه غلام وسكريتش وشيمر. تحركت أيضاً غربان أخرى أكثر بعداً، مجرد أشكال رمادية في عقله. وعرف كاو أنها لن تصل أبداً في الوقت المناسب.

لم يلن التعبير الشرس على وجه كرامب مطلقاً. بعد ذلك، وكأنه يكوّر ورقاً ويسحقه لتحويله إلى كرة، أطبق قبضتَي يديه، ثم أنزل ذراعيه إلى جانبيه. وبعد ثوانٍ قليلة، عادت طيور الحمام عبر الفتحة من دون سيلينا، فحدّق إليها كاو مفتوح الفم، فيما أطلقت ليديا صرخة ذعر صغيرة.

قالت السيدة ستريكهام: «ماذا فعلت بها؟».

نظر كرامب بعينيه الباردتين إلى كل منهم على حدة، ثم قال: «لا تقلقوا، لقد وضعتها في برج الجرس. فقد انهارت السلالم قبل زمن بعيد، لذا ستبقى عالقة هناك إلى أن نقرر ما نريد فعله بها».

أطلقت ليديا تنهيدة طويلة وقالت: «كنت تمزح فقط!».

فرك كرامب يديه ببعضهما وقال: «أعرف، أستحق جائزة أوسكار، أليس كذلك؟».

فقطب كاو جبينه وسأل: «ما هي جائزة الأوسكار؟».

قال كرامب: «لا تهتم. المهم أنها ستبقى هناك إلى أن نتأكد من إمكانية وثوقنا فيها».

أقرأناكموه

فكّر كاو في سرّه: لن أراهن على ذلك. إذ تذكر رشاقة سيلينا أثناء مشيهما فوق السطوح، وسأل: «هل تظن أن أم الذبابات ستعقد صفقة معنا وتبادل ابنتها بالخارقين؟».

قالت السيدة ستريكهام: «لا أثق في أي منهما. أقترح أن نجرّب تحرير الخارقين بأنفسنا».

سألت ليديا: «بمساعدة بابا؟».

أومأت السيدة ستريكهام برأسها وبدأت بطلب الرقم. «أخفيت السر عنه طوال عشرين عاماً، لذا لن يكون الأمر سهلاً».

تمتم كرامب: «يمكنك قول هذا مجدداً».

فرح كاو لتواجده خارج دار العبادة في الهواء الطلق. جلس على مقعد معدني صدئ، ورمى فتات بسكويت إلى مجموعة من حمامات كرامب.

قال غلام الجاثم خلفه: طيور سخيفة، أليس كذلك؟

قالت شيمر الواقفة على ذراع المقعد: بالكاد توجد خلية دماغ واحدة لديها.

وقال سكريتش من حيث يقف على كتفه: هل هذه حلوى؟ لديك محارب مجروح وجائع هنا.

أطعم كاو سكريتش من يده، واستمر في النظر إلى باب دار العبادة على أمل أن تخرج ليديا. أحسّ أنه بحاجة إلى شرح الأمور لها مجدداً، وإلى جعلها تفهم سبب عدم إخباره الحقيقة منذ البداية. ألأن فيليكس كوايكر طلب منه إبقاء الأمر سراً؟ أو بسبب ما قالته له أمه في الحلم؟

تمنى لو أنه لم ير ذلك الحجر مطلقاً. فلو لم يذهب إلى منزله

أقرأناكموه

في تلك الليلة لما حصل ذلك. لقد جلب لنفسه كل هذا، وها هم الأشخاص الأقرب إليه يعانون أيضاً؛ حصل كل ذلك لأنه لم ينجح في تجاهل الماضي.

ولأن الماضي لم يتجاهله أيضاً.

الجميع ألقوا اللوم عليه، لكنها ليست غلطته بالكامل. فهو لم يطلب هذه الحياة؛ أن يكون مهجوراً، وأن يجبر على تناول ديدان في عش، ويكاد يتجمد حتى الموت في كل فصل شتاء. ولم يطلب أن يحمل دم سلالة خارقي الغربان، أو أن يحرس حجراً سخيفاً!

إنه لا يريد هذا العبء، أو الشرف، أو أي شيء كان.

قال سكريتش: هاي، إذا أردت طحن هذه الأشياء...

نظر كاو إلى الأسفل، وأدرك أن قبضتَي يديه تطبقان بإحكام على علبة البسكويت.

قال: «عفواً». ونهض بسرعة، ونثر بقايا فتات البسكويت أمام المقعد، فهبط المزيد من طيور الحمام.

قال غلام: يبدو أن صديقتنا تحاول الفرار.

نظر كاو إلى الأعلى، فرأى سيلينا تؤرجح ساقيها عبر القسم المفتوح من برج الجرس، وتشبثت بالمبنى المتهدم.

قالت شيمر: وأنا التي اعتقدت أن طيور الحمام غبية!

قال كاو: «من الأفضل أن أمنعها». وأخذ نفساً عميقاً، ونادى طيوره لتأتي إليه.

بعد دقيقتين، رفعته مجموعة من الغربان وجعلته يحلق في الهواء قرب سيلينا.

قال: «عودي إلى الداخل. سوف تقتلين نفسك».

قالت: «ومن يأبه؟». انزلقت قدمها قليلاً، ولكنها نجحت في

أقرأناكموه

التشبث. هبّت نسمة قوية على ملابسها. ولهنيهة، لم يكن كاو واثقاً إن كان يهتم لأمرها فعلاً أم لا.

قال: «إذا وقعت، فسيجبرني كرامب على تنظيف المكان».

نظرت إليه سيلينا رافعة حاجبها.

قال: «هـذه مزحة. أرجـوك، عودي إلـى الداخل، أريـد التحدث إليك».

انزاح حجر قرميد قـرب قدمها، فتحرك كل القرميد في السـقف. ومن دون التفوه بأي كلمة، تسـلقت سـيلينا الحاجـز الفاصل ودخلت مجدداً برج دار العبادة. أما غربان كاو فوضعته على الإفريز، ثم حلقت بعيداً خافقـة بأجنحتها. كل الغربان باسـتثناء غربانه الثلاثـة الوفية. لقد اختفى الجرس قبل زمن بعيد، ولم يبق سـوى بضع قطـع حبال متدلية من سقالة معدنية.

جلسـت سـيلينا متكئة على الجدار الداخلي، ووضعـت مرفقيها على ركبتيها، وأحنت رأسها إلى الأسفل قائلة: «حسناً. فلنتكلم».

قالت شيمر: لا أثق فيها البتة.

وأضاف سكريتش: أصبحنا اثنين.

قال غلام: سوف تحاول خداعك.

تمنى كاو لو أن ميلكي معـه؛ فقد كان سـيعرف بالضبط ما يجب فعلـه مع سـيلينا دافنبـورت. لوّح للغربـان بيده قائـلا: «اتركينـي دقيقة بمفردي».

قفزت الغربان الثلاثة من البرج وتوجهت نزولاً نحو الأرض.

ضحكت سـيلينا بصوت أجش وقالت: «ليسـت لديـك فكرة كم يبدو الأمر غريباً. أقصد، هناك امرأة تتحدث إلى البط قرب النهر، فهل هي خارقة أيضاً؟».

أقرأناكموه

هزّ كاو كتفه مجيباً: «ربما. لكنها أيضاً قد تكون مجنونة».

كشّرت سيلينا، ولوهلة ظن أنها ستبكي. لكنها لم تفعل.

وقالت: «لديك كل الأسباب لتكرهني».

«أعرف».

«أقصد، كنت سأرغب في أن أرمي نفسي من سقف دار العبادة لو كنت مكانك».

جلس كاو قبالتها، فاختفت الرياح بالكامل بفضل جدار البرج.

قال: «دعيني أطرح عليك سؤالاً. ألا تعرفين حقاً أن أمك خارقة؟».

نظرت إليه مباشرة وقالت: «أقسم بالله إنني لا أعرف».

تأمل كاو وجهها بحثاً عن أية رعشة، أو أية إشارة أو تلميح إلى أنها تكذب. لكن، ما الجدوى؟ لقد كذبت سابقاً، وبشكل مستمر، ولم يدرك ذلك إطلاقاً. وإذا كان كل هذا مجرد غطاء خارجي- إذا كانت لا تزال تكذب- فلن يعرف أبداً.

ثم تذكر. لا يعرف السيد ستريكهام أي شيء عن زوجته، وهما متزوجان. وقد تكون الحال هي نفسها مع عائلة دافنبورت.

تابعت سيلينا: «لكن... أعتقد أنني عرفت أنها ليست طبيعية بالكامل. لسنا قريبتين من بعضنا جداً، هل تعرف ذلك؟ ليست علاقتنا مثل علاقة أصدقائي مع أهلهم. لطالما تمنيت أن أقضي المزيد من الوقت معها، لكنها تعمل لساعات طويلة جداً. وفي الأعوام القليلة الماضية، رأيت عاملة التنظيف أكثر مما رأيتها».

خطرت فكرة أخرى لكاو. إذا كانت تعمل لصالح أمها، فهل تعلم بشأن الحجر؟ اختار كلماته التالية بعناية فائقة،

وسألها: «هل لديك فكرة عما تريده؟».

أقرأناكموه

هزّت سيلينا رأسها نافية وقالت: «كل ما قالته هو إنكم خطرون، وإنها تحتاج إلى بعض المساعدة لأن الشرطة لم تنجح في القيام بأي شيء. كانت مهمتي عقد صداقة معك. وقد أرسلتني إلى منزلك قبل بضعة أسابيع، وطلبت مني إخبارها إذا ظهرت. فقد أرادت مني أن أعرف أين تعيش الآن». تنهدت سيلينا ثم تابعت: «أردت مساعدتها فعلاً، لكنها لا تثق بي لفعل أي شيء».

«أتقصدين أنك عرضت عليها المساعدة؟».

تحولت وجنتا سيلينا إلى اللون الأحمر القرمزي وهي تجيب: «كان ذلك قبل أن ألتقيك. لم أكن أعرفك. لكنني لاحظت فوراً أنك لست مجرماً. يا إلهي، حتى إنك لم تشأ سرقة علبة بسكويت! في النهاية، لم أخبرها. فقد أردت معرفة المزيد عنك أولاً. لا أعرف كيف وجدَنا ذانك الشخصان المريعان على المركب، ولا أعرف كيف علمت بوجودنا في حديقة الحيوانات».

أصغى كاو إلى كلماتها، وقارن ادعاءاتها بما يذكره. هل يمكن أن تكون فعلاً مجرد لعبة في خطة أمها؟

قال: «لا بد أن ذباباتها كانت تراقبك؛ تراقبنا. أولئك الأشخاص في حديقة الحيوانات أبرياء. لقد رأيتهم، معظمهم من الأطفال والكبار في السن».

قالت سيلينا: «أعرف ذلك. لكنني لم أكن أعرف أن الشرطة ستأتي». ولمعت عيناها بالتحدي القديم وهي تتابع: «أنتم من أخذني إلى هناك، هل تذكر؟ سيدة الثعالب لم تكن لتسمح لي بالذهاب حتى لو أردت...»

قاطعهما صوت كرامب وهو يقول: «لا تدعيها تسمعك وأنت تنادينها هكذا». وظهر خارق الحمام في السماء فوقهما، تحمله

أقرأناكموه

مجموعة من طيور الحمام. «هيّا، نحن نستعد للذهاب إلى السجن».

قالت سيلينا: «ماذا عني؟».

قال كرامب مع ابتسامة حزينة: «أنت يا صغيرتي ستأتين معنا أيضاً».

الفصل 9

قالت ليديا بعدما أصبح الجميع على الأرض: «لن تأتي معنا! هل أنت مجنون؟ سوف تخذلنا في أول فرصة».

وقالت السيدة ستريكهام وهي تحدّق إلى سيلينا بغضب: «لا، لن تفعل. فإن فعلت، فستجعلها ثعالبي تدفع الثمن. هل فهمت؟».

أومأت سيلينا برأسها وقد أصبح وجهها شاحباً جداً.

سألت ليديا كاو: «لا تقل لي إنك موافق على كل ذلك؟».

لم يعرف كاو ماذا يقول بالضبط.

قالت سيلينا: «قد أتمكن من التكلم مع ماما وجعلها تعود إلى رشدها».

فقالت السيدة ستريكهام: «لن تتفوهي بأية كلمة. عندما ينتهي كل شيء، سنقرر بأنفسنا ماذا سنفعل بك».

لم تنظر ليديا إلى كاو فيما صعدوا إلى السيارة. وبدا جلياً أنها لا تزال غاضبة منه فيما انطلقوا على الطرقات المعتمة لبلاكستون. فتمتم لها كاو: «أنا آسف. كان يجدر بي إخبارك بشأن الحجر». لكنها تجاهلته.

قبل شوارع قليلة من السجن، توقفت السيدة ستريكهام في ممر وأطفأت مصابيح السيارة، فظهر ظل من وراء جدار. إنه السيد ستريكهام، وكان يرتدي سروال جينز وكنزة سوداء، وبدت بشرته شاحبة.

أقرأناكموه

قالت السيدة ستريكهام: «ابقوا في السيارة قليلاً». وفتحت الباب بهدوء وخرجت. راقبها كاو فيما اقتربت من زوجها بصمت. توقفا حين أصبحا على مسافة مترين من بعضهما تقريباً، ولم يقتربا أكثر. من زاوية عينه، لمح كاو ليديا تتكئ إلى الأمام.

لم يعرف من تكلم أولاً، لكنه رأى السيد ستريكهام وهو يهزّ برأسه، ثم يحرك يديه بغضب، فيما حافظت والدة ليديا على رباطة جأشها، ولم تفضح لغة جسدها أي شيء بينما تحركت شفتاها. بدت هادئة تماماً. وفي مرحلة ما، وجّه السيد ستريكهام إصبعاً نحو السيارة، ثم جاء مسرعاً وفتح الباب وقال: «ليديا، اخرجي!».

فعلت ليديا مثلما طلب منها، وقالت: «بابا أرجوك».

أجاب: «لا! هذه سخافة. لا أعرف ما اللعبة التي تلعبانها أنتما الاثنتان، لكنها تجاوزت الحدود بما يكفي».

قال كرامب: «ليست هذه لعبة سيدي». فيما مدّ يديه من السيارة، وخرج كاو من الجهة الأخرى، وبقيت سيلينا في الخلف.

قال السيد ستريكهام وهو يحدّق إلى كل واحد منهم: «إذاً، أنتم جميعاً خارقون أيضاً مثلما أفترض. ويمكنكم التواصل - واستعمل أصابعه لرسم علامة القوسين في الهواء- مع الحيوانات، أليس كذلك؟». عندها، طقطق كرامب بأصابعه فجاءت إليه دزينة من طيور الحمام وهبطت على سقف السيارة، كما حطّ غلام وسكريتش على كتف كاو من دون أن يطلب منهما ذلك.

لم يستطع كاو فهم العواطف المتبدلة على وجه السيد ستريكهام. وبعد ثوانٍ قليلة، نظر إلى ليديا أولاً، ومن ثم إلى زوجته التي اجتمعت ثعالب عدة بصمت عند قدميها.

قالت: «أنا مسرورة لأنك جئت، دون».

أقرأناكموه

أطلق والد ليديا زفيراً طويلاً، وبدا على وشك الكلام، ثم توقف، وبعد ذلك قال: «لا يمكن... لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً».

قالت ليديا: «بلى». وتمددت للإمساك بيد والدها وتابعت: «لن نكذب عليك بابا».

قال بحزن: «لكنك فعلت». وشدّ ليديا إليه لمعانقتها، فيما حدّق إلى زوجته من فوق رأسها وتابع: «لقد كذبت عليّ طوال أعوام».

لم يتفوه أحد بكلمة لبضع لحظات.

إلا أن كرامب كسر الصمت وسأل: «هل تستطيع إدخالنا أم لا؟».

تصلب جسد السيد ستريكهام، فقالت ليديا: «بابا». فيما أفلتت من عناقه.

نظر إليها وقال: «لا أحب ذلك. فما تفعلونه مخالف للقانون. لستم أفضل من لجان الأمن الأهلية، ولو لم تكونا عائلتي لحاولت الاتصال بالسلطات الفدرالية. لم يفت الأوان بعد لإعادة النظر في ذلك مثلما تعلمون».

هزّت السيدة ستريكهام رأسها بسرعة وقالت: «نحتاج إلى مساعدتك دون. هل أنت معنا أم لا؟».

أجاب: «أعتقد أنني لا أملك خياراً. لكنني لا أستطيع إدخالكم من الباب الأمامي. ثمة طريقة أخرى».

أصغى كاو فيما وضع والد ليديا الخطة. فرغم أنه لم يعد يعمل في السجن بصورة رسمية، إلا أن الحراس ما زالوا يعرفونه، وبإمكانه الوصول إلى البوابات الأمامية. وهو يظن أنه يستطيع ادعاء رغبته في إحضار ما تبقى من أغراضه من مكتبه.

أقرأناكموه

في غضون ذلك، يستطيع كاو والآخرون الدخول عبر أنفاق الصرف الصحي؛ تماماً مثلما هرب أتباع الرجل الدوام قبل عدة أسابيع. وكان السيد ستريكهام واثقاً من أن أعمال التصليح لم تبدأ في النفق بعد، وقال: «يستمر مجلس المدينة في الوعد بتقديم التمويل اللازم، لكن ذلك مجرد كلام».

فقالت السيدة ستريكهام: «لحسن الحظ». وتمدّدت للمس زوجها، لكنه تراجع إلى الخلف. وعانقته ليديا بقوة.

«توخَّ الحذر بابا. اهرب فور إحساسك بأي مشكلة».

قال: «ينطبق الشيء نفسه عليكم أيضاً».

انطلق في الليل نحو السجن. عرف كاو أنه سيتم تجاهل كلماته التحذيرية، إذ لن يتراجع أحد الليلة.

لاحظ كاو ظهور عدة ثعالب من الشوارع المحيطة بالسجن، وتوجّهها بصمت نحوهم. كما حطت طيور الحمام على عدة سطوح فوقهم.

قال كرامب: «هل أنتم جاهزون؟». فيما أمسك بذراع سيلينا.

أخذت السيدة ستريكهام عتلة ومصباحاً من صندوق السيارة، وذهبت إلى غطاء فتحة الصرف الصحي في الزقاق. كان الغطاء رخواً، ففتحته خلال ثوانٍ قليلة. نزلت مع ثعالبها أولاً، واختفت في الفتحة المعتمة، ولحقت بها ليديا، ومن ثم سيلينا.

وفيما نزل كرامب، اتخذ كاو قراره واستدعى غربانه، فحطّ كل من شيمر وسكريتش وغلام قربه.

أخرج كاو الحجر من جيبه ووضعه بينها، وحرص على الإمساك به بالمنديل، وهمس لها: «خذي هذا الحجر إلى المنصة القديمة في الحديقة العامة، وادفنيه تحت المقعد».

أقرأناكموه

قال غلام: لماذا؟

قال: «لا أريد المجازفة بأن تحصل عليه أم الذبابات. وإن لم أخرج مجدداً...» مكتبة الرمحي أحمد

فقالت شيمر: لا تقل هذا.

غير أنه تابع كلامه: «فخذيه إلى مكان بعيد جداً».

أخرج كرامب رأسه من الفتحة وقال: «ما الذي تنتظره؟». فعدّل كاو وضعية جسمه لإخفاء الحجر، وأجاب: «لا شيء».

وبعد أن أخفض كرامب جسمه مجدداً، لحق به كاو.

قال سكريتش: أراك قريباً، وقفز فوق الحجر وأمسك به بين مخالبه.

لوّح كاو لغربانه ونزل السلم، ثم سحب غطاء فتحة الصرف الصحي فوقه مصدراً صوتاً تردد عالياً.

أضاء نور المصباح اليدوي النفق الضيق. كانت ثمة طبقة من الوحل كريه الرائحة الراكد في الأعماق على ارتفاع إنش واحد تقريباً. أبقت ثعالب السيدة ستريكهام مخالبها بعيدة عن الوحل، فيما وضع كاو قدميه على الجانبين، وتوجّب عليه السير منحنياً، وكما لو أنه يجلس القرفصاء.

أمسكت ليديا بالخريطة التي رسمها والدها.

اندفعوا وراء بعضهم، وتوقفوا عند نقاط التقاطع للتحقق من الطريق. لا توجد أية حياة هنا في الأسفل، والأصوات الوحيدة الصادرة كانت ناجمة عن تنفسهم ووقع خطواتهم. بدأ كاو يشعر بالانقباض، وتدفقت الشكوك إلى عقله. ماذا لو رسم السيد ستريكهام الطريق الخطأ؟ هل سيتمكنون من إيجاد طريق العودة؟

أقرأناكموه

لمعت عيون الثعالب تحت ضوء المصباح مثل قطع النقود المعدنية الذهبية.

قالت ليديا: «من هنا». فيما توقفت عند جانب النفق. رأى كاو ممراً ممتداً من النفق الرئيس على مستوى ارتفاع الصدر، وبالكاد كان عريضاً بما فيه الكفاية للزحف فيه. وكانت الأنابيب المعدنية ملطخة بخطوط برتقالية وخضراء.

قال كاو: «سأنطلق أولاً».

وفيما بدأ بالمشي، أمسكت ليديا بذراعه وقالت: «في ما يتعلق بما قلته في السيارة بشأن الحجر، أريدك فقط أن تعرف أنني... حسناً، أفهم سبب إبقائك الأمر سراً».

أحسّ كاو بالكثير من الامتنان ولم يعرف ماذا يقول لها، فاكتفى بالابتسام في العتمة، ثم أدخل نفسه في الممر، وزحف على يديه وركبتيه، فيما ارتجف ضوء المصباح الذي يحمله بيده.

امتدّ الممر مسافة أمتار قليلة مع انحناء خفيف، ثم وصل إلى ما بدا نهاية مسدودة. لكن، عندما نظر كاو عن كثب أكثر، أدرك أن الممر يكمل صعوداً إلى الأعلى بشكل عمودي. نجح كاو في إدخال نفسه في المنعطف، متسائلاً عن كيفية نجاح شخص بحجم جاوبون في فعل ذلك. فخارق الكلاب كان طوله أكثر من ست أقدام، ولديه الكثير من العضلات. رأى كاو نافذة معدنية مشبّكة فوقه، وضوءاً خلفها. مدّ يده إلى الأعلى، فتحركت النافذة المعدنية بسهولة في يده، فدفعها جانباً بحذر. إلا أن صوت المعدن بدا عالياً جداً.

حبس أنفاسه متوقعاً سماع صفارات الحراس.

لا شيء.

أقرأناكموه

قال كرامب من الأسفل: «هيّا، تابع. لم يعد بوسعي تحمل هذه الرائحة».

مدّ كاو كلتا يديه إلى الأعلى، وأمسك بالأرضية الباردة، إلا أن أصابع أطبقت على معصمه، فأطلق صرخة.

قال السيد ستريكهام: «اهدأ». فيما انحنى فوق الفتحة.

تباطأ قليلاً الخفقان المسعور لقلب كاو، وسمح لوالد ليديا برفعه إلى الأعلى، فخرج إلى حمام مليء بالبلاط القذر.

قال السيد ستريكهام: «عذراً إذا كنت قد أخفتك».

ساعدا معاً الآخرين على الخروج من قناة الصرف الصحي. نفضت ليديا ملابسها وقالت: «كان هذا مريعاً».

فقال السيد ستريكهام: «كان الدخول أسهل مما توقعت».

قالت زوجته: «ما زال علينا توخي الحذر. فسينتيا دافنبورت تملك عيوناً في كل مكان». وحدها السيدة ستريكهام بدت غير متأثرة بمغامرتهم في أنابيب الصرف الصحي. حتى إن معطفها الأسود لم يتسخ على ما يبدو، فيما كان كرامب مغطى بكل أنواع البقع والأوساخ.

قال السيد ستريكهام: «ثمة مشكلة. تحققت الآن من الأنظمة، ولم يتم بعد تسجيل أماكن السجناء. مما يعني أنني لا أعرف في أي زنزانات تم وضعهم».

سأل كاو: «أين تقع الأماكن الأكثر تشدداً في المراقبة؟».

أجاب السيد ستريكهام: «هناك الكثير منها، وهي منتشرة في كل أرجاء السجن. فبهذه الطريقة، يمكن احتواء الانتهاكات الأمنية بسهولة أكبر».

ثمة شيء تحرك على الأرض، مما جعل ليديا تقفز في مكانها.

أقرأناكموه

فوثب أحد ثعالب السيدة ستريكهام وحطّ عليه.

قالت: «ابتعد». فرفع الثعلب مخالبه الأمامية. إنه صرصور.

قال السيد ستريكهام: «نحاول دوماً إبقاء المكان نظيفاً، لكننا لا نستطيع أبداً التخلص من هذه الكائنات اللعينة». وثبّت نظره على الثعلب الذي تحكمت فيه زوجته بسهولة كبيرة كما لو أنه جزء من جسمها.

نظر كاو إلى ليديا؛ فالصرصور قد يعني شيئاً؛ وجهاً من الماضي أمل ألا يراه أبداً مجدداً. انحنى إلى الأسفل وقال: «خذنا إلى سيدك».

حدّق إليه السيد ستريكهام بذهول وقال: «ستقولون لي الآن إن الحشرات تتحدث بلغة البشر؟».

قالت ليديا: «هذه الحشرة قد تفعل». فيما بدت سيلينا مرتبكة.

انطلق الصرصور بعيداً، ولحق به كاو. تحرك بسرعة، وبدا أنه غير متردد أبداً في مقصده، وتوجّب عليهم الركض للحاق به. تسلقوا سلالم معدنية، ومشوا في أروقة أمام أبواب زنزانات متشابهة. فاحت رائحة السائل المطهر من كل المكان، ولكن بالترافق مع روائح أخرى أيضاً؛ العرق. بعد قليل، ظهرت لافتات على الجدار كتب عليها «الجناح ب»، فانزلق الصرصور تحت باب مسيج بقضبان.

قال السيد ستريكهام: «إنها إحدى المساحات الأكثر تشدداً في المراقبة». فيما مرر بطاقة نفاذ عبر جهاز قارئ، ففتح الباب. «لكنني واثق أن كل الزنزانات هنا فارغة».

اختفى الصرصور تحت باب كتب عليه «الزنزانة ب 23».

كان الباب من الفولاذ المتين، وذا مصبع كبير على مستوى الرأس بحجم صندوق الرسائل. وقبل أن ينظر كاو عبر ذلك المصبّع، عرف ما سيراه.

أقرأناكموه

قال صوت من الغرفة المعتمة: «مرحباً يا خارق الغربان». فضغط كاو على زر قـرب الباب، وأضيء مصبـاح في الداخل. نظـر إليه وجه ضخم ذو ذقن غليظ، وعينين غائرتين في محجرين عميقين، وابتسـامة خالية من الأسـنان. خفق قلب كاو بقـوة، لكنه لم ينظر بعيـداً؛ فهو لم يعد الصبي الخائف نفسه الذي كان سيهرب سابقاً.

قال: «مرحباً سكاتل».

الفصل 10

جلس خارق الصراصير على فراش سميك منحني الظهر، ومرتدياً بذلة سجن برتقالية؛ تماماً مثل تلك التي ارتداها يوم رآه كاو لأول مرة عندما هرب من السجن قبل عدة أسابيع. لاحظ كاو أن وجهه مليء بالرضوض، وهناك جرح فوق حاجبه.

قال سكاتل: «جئت لتسخر منا، أليس كذلك؟».

فقالت امرأة من الزنزانة المقابلة: «طبعاً لم يفعل». وقفزت سيلينا في مكانها فيما ظهرت عينا مامبا السوداوان من خلف المصبّع. «دعني أحزر يا خارق الغربان. أنت تريد أن تعرف عن أم الذبابات، أليس كذلك؟ آه، أليست هذه الصغيرة هي ليديا ستريكهام أيضاً؟ أخبريني، هل أحضرت كلباً جديداً؟».

أسرعت ليديا إلى الباب مطبقة قبضتَي يديها وقالت: «أتمنى أن تتعفني هنا!».

فسحبتها السيدة ستريكهام إلى الخلف، ووقفت أمام زنزانة مامبا، فيما تأهبت ثعالبها أمام الباب. «ماذا تعرفين عنها يا خارقة الأفاعي؟».

قالت مامبا وهي تتراجع بعيداً عن الباب: «لا شيء. لا تخبرهم أي شيء سكاتل».

نظر كاو مجدداً إلى خارق الصراصير. ثمة شخص واحد فقط

أقرأناكموه

يجرؤ على ضرب خارق الصراصير. قال كاو: «هي من فعل بك هذا، أليس كذلك؟ سينتيا دافنبورت؟».

قالت سيلينا: «ماذا؟ ماذا فعلت؟». ودفعت كاو جانباً، ونظرت إلى داخل الزنزانة، ثم فتحت فمها بدهشة.

رفع سكاتل يديه إلى وجهه المليء بالرضوض كما لو أنه يتذكر الضربات، فيما قالت سيلينا: «لا أصدق ذلك».

ثم قال سكاتل: «إنها لم تحب يوماً الرجل الدوام، لذا انتقمت مني».

صرخت مامبا من الزنزانة المجاورة: «اخرس سكاتل!». وبدت غاضبة، وإنما خائفة أيضاً.

قالت السيدة ستريكهام: «افتح الباب، أستطيع جعله يتكلم».

مرر السيد ستريكهام بطاقة فوق جهاز الاستشعار الموجود إلى يمين الباب، فسمع كاو لسان القفل وهو ينزلق، وفتح الباب وحده.

أرجع سكاتل نفسه إلى زاوية الزنزانة، فيما دخل كاو والآخرون. تحركت عدة صراصير على الأرض، ثم تغلغلت في ملابس سكاتل. قال خارق الصراصير: «لا يمكنكم إيذائي أكثر مما فعلت».

فقالت السيدة ستريكهام: «هل أنت واثق؟». فيما تقدمت إلى الأمام مع ثعالبها.

كان ثمة صرصور أبطأ من غيره، وراح يركض بشكل دائري مذعوراً، فحبسه كرامب تحت قدمه. عندها، أطلقت الحشرة صوتاً عالياً.

قال سكاتل: «توقف! هذا يؤلمه!».

سخر كرامب ممّا قاله، وضغط بوزنه على الحشرة أكثر. «يقولون إن الصراصير هي الكائنات الوحيدة التي تنجو من حرب نووية. هل

أقرأناكموه

تظن أن هذا الصرصور يستطيع النجاة من وزني؟».

قال سكاتل: «حسناً، حسناً. سأخبركم بكل ما أعرفه، ولكنه ليس كثيراً. أم الذبابات تحضّر لشيء ما في السجن».

اهتزّ باب زنزانة مامبا وهي تقول: «لا تخبرهم أيها الحقير، سوف تعرف!».

فقال كرامب: «تابع الكلام!».

تابع سكاتل: «إنها تبدّل موقع السجناء الأكثر خطورة. فقد نقلتهم إلى مكان ما. أصبح الجناح د فارغاً تماماً الآن».

فكر كاو في سره: تستطيع حبس الخارقين هناك. ونظر إلى السيدة ستريكهام التي أومأت له برأسها. لا شك في أنها تفكر في الشيء نفسه.

قال سكاتل: «للأمر علاقة به». فيما أشار بإصبعه القصيرة إلى كاو.

ارتعد كاو وسأل متعجباً: «أنا!؟».

فقال سكاتل: «لهذا السبب فعلت بي ذلك. فقد أرادت أن تعرف كل شيء عنه؛ أين يعيش، وإلى أين يذهب...».

سأله كاو: «وماذا أخبرتها؟».

ارتعد خارق الصراصير وأجاب: «ما نعرفه، لكنه ليس بالكثير. أخبرناها أين عاش والداك».

نظر كاو إلى سيلينا وقال: «إذاً، هكذا عرفت أين تجدينني».

فقالت سيلينا: «أعطتني عنواناً فقط، ولم أكن أعرف ما هو».

ابتسمت مامبا، فلمعت أسنانها: «لن تهزمها. تعرف هذا، أليس كذلك؟».

فقالت لها ليديا: «لا أحد يبالي برأيك».

أقرأناكموه

غير أن مامبا تجاهلتها وتابعت: «أم الذبابات ليست مثل الرجل الدوام. ربما هي تأتي من سلالة حقيرة، ولكنها متوحشة وقوية وشريرة. لم تنضم إلينا في الصيف المشؤوم، ولطاما كانت لديها مشاريع أكبر».

تساءل كاو عمّا إذا كانت الغربان قد نجحت في إخفاء الحجر. سوف تتوخى الحذر من دون شك. لكن، ماذا لو راقبتها ذبابة؟

قالت السيدة ستريكهام: «انتهينا من هنا، فلنذهب».

عندها، قفز سكاتل محركاً يديه وقال: «انتظروا، أرجوكم! لا أستطيع البقاء هنا! أستطيع ربما مساعدتكم بطريقة ما! بإمكاني أن أكون جاسوسكم!».

رفع كرامب حذاءه، وترك الصرصور يعود إلى سيده، ثم أغلق باب الزنزانة بقوة وقال: «هذا المكان يناسبك تماماً».

وقالت ليديا لمامبا: «يناسبكما معاً».

فقالت مامبا: «أفضِّل أن أكون في زنزانة بدلاً ممّا ستفعله بكم أم الذبابات».

رأى كاو عينيها الداكنتين اللامعتين تبتعدان عن المصبع الحديدي.

أشارت السيدة ستريكهام إلى كاو والآخرين للحاق بها، فانطلقوا في الطريق الذي جاءوا منه.

صرخ سكاتل: «لا تتركوني! أنا أتوسل إليكم!».

أحسّ كاو بشيء من التعاطف مع خارق الصراصير بالرغم من كل شيء. لكن، بعد أن اجتازوا بضعة منعطفات، اختفى صوته.

سأل كرامب: «أين الجناح د؟ لا بد أنها أخذت الخارقين إلى هناك».

قال والد ليديا: «اتبعوني».

مشوا ببطء في الممرات المهجورة، ومروا أمام زنزانات فارغة وجدران عارية تقشّر طلاؤها، فيما مشت الثعالب خلفهم. أضاع كاو الاتجاهات بالكامل، لكن السيد ستريكهام بدا واثقاً من نفسه.

قال كرامب: «لا شك في أنها تحرس المكان، أليس كذلك؟». وبدا صوته ضعيفاً، وبالكاد خرج من شفتيه.

فأجابته السيدة ستريكهام: «نعم، لكننا نملك الورقة الرابحة». واستدارت للنظر إلى سيلينا، وبدت نظرتها أكثر قسوة ووحشية من أي شيء آخر رآه كاو من قبل؛ تماماً مثل نظرة ثعلب لمح فريسة. «يجدر بنا ربما معرفة كم تحب أم الذبابات ابنتها فعلاً».

قالت سيلينا فيما اقتربت أكثر من كاو: «ماذا؟! ماذا ستفعلون بي؟».

فبدأ كرامب بالقول: «لا أظن...»

غير أن السيدة ستريكهام قاطعته قائلة: «هدوء. إنها حياة واحدة، أما الخارقون فكثر».

فجأة، انطلقت سيلينا راكضة، فلحقت بها ثعالب عدة على الفور. وصرخت حين قفز عليها أحد الثعالب وأمسك بسترتها بين أسنانه. وكانت قد وصلت إلى زاوية الرواق، فاندفعت بقوة على الحائط قبل أن تثبتها الثعالب أخيراً. إلا أن صفارة إنذار صامة للأذنين انطلقت بصوت عالٍ جداً.

أدرك كاو ما فعلته، وتوقفت نبضات قلبه.

صرخ السيد ستريكهام: «لقد ضغطت على زر إنذار الطوارئ. سيكونون هنا في أقل من دقيقة».

سأل كرامب: «من أي اتجاه؟».

أقرأناكموه

هزّ السيد ستريكهام رأسه مذعوراً وقال: «لا... لا أعرف».

أمسكه كرامب من كتفه وقال: «من أي اتجاه سيأتي الحراس؟».

رفع السيد ستريكهام إصبعاً مرتجفةً وأشار إلى خلف سيلينا قائلاً: «من هناك. لا، انتظروا». واستدار في مكانه، وضاقت عيناه فيما فكّر ملياً، ثم تابع: «علينا التوجه إلى مدخل الصيانة. عبر فناء التمارين. فثمة حارس واحد فقط هناك في هذا الوقت من الليل».

انطلقوا مسرعين، وأمسكت السيدة ستريكهام بسيلينا وجرّتها معهم.

نظر كاو إلى ابنة سينتيا دافنبورت مصدوماً؛ تماماً كما حصل حين بدأ يثق فيها. لكنها غلطة السيدة ستريكهام أيضاً. ففي النهاية، لقد هددتها بالقتل...

أمام كل باب وصلوا إليه، استعمل السيد ستريكهام بطاقته للمرور. كان قلب كاو يخفق بقوة، وتوقع ظهور الحراس عند كل منعطف. وفي نهاية رواق، مرر السيد ستريكهام بطاقته وفتح الباب على فناء من الباطون أجرد، ومحاط بثلاثة جدران عالية خالية من النوافذ، فيما الجدار الرابع مزود بسياج مزدوج يعلوه سلك شائك، وهناك بوابة عالية مغلقة في الوسط. وكان هناك برجان عاليان يحيطان بالبوابة.

قال السيد ستريكهام: «سوف ننجح، الحقوا بي».

وثبت الثعالب إلى الفناء أولاً. وفي منتصف الطريق، أحسّ كاو بطنين ذبابة قرب أذنه، وكان على وشك المناداة عالياً عندما أعمت عينيه أضواء ساطعة. توقف في مكانه فجأة، مغمضاً عينيه. وعندما فتحهما مجدداً، أدرك أن الأضواء منبعثة من كل زاوية في الفناء. رأى ظلال الحراس على الجدران، والمزيد منهم في البرجين، وكانوا

أقرأناكموه

جميعاً يوجّهون بنادقهم نحو كاو وأصدقائه. ظهرت بقع اللايزر الأحمر على الأرض وعلى أجسامهم.

كانوا محاطين بالكامل. فكر كاو في إخراج منقار الغراب من غمده، لكنه عرف أنه سيكون ميتاً قبل أن يتمكن من رفع السيف من غمده إنشاً واحداً.

سمع صوت بوابة كهربائية تفتح، ثم دخلت عبرها سينتيا دافنبورت بطريقة عفوية، وهي لا تزال مرتدية بذلتها السوداء ومحاطة بالسيد سيلك وبينكرتون، وكان كل منهما يرتدي بذلة الشرطة. وأغلقت البوابة خلفهم.

قالت: «سررت بلقائك سيد كارميكايل. وأرى أنك أحضرت معك بعض الأصدقاء».

قالت سيلينا: «ماما! أنا من شغّل جهاز الإنذار! ماما، يقولون أشياء غريبة عنك. لا أفهم. سوف يلحقون الأذى بي».

تجاهلت سينتيا دافنبورت ابنتها، وأبقت عينيها على كاو قائلة: «هل أحضرت الحجر معك؟».

أطبق كاو فكّيه، وهزّ رأسه قائلاً: «لن تحصلي عليه أبداً».

فقالت أم الذبابات: «أوه، أيها الصبي الأحمق. لماذا تجعل الأمر صعباً هكذا؟».

لاحظ كاو أن السيدة ستريكهام تحركت بسرعة إلى يساره، وأمسكت بسيلينا، وطوقتها بذراعها، ووضعت يداً تحت ذقنها قائلة: «أخفضوا أسلحتكم وإلا فسأكسر عنقها!».

إلا أن النقاط الحمراء لم تتحرك، ولم يتغير تعبير سينتيا دافنبورت، بل نظرت إلى ابنتها وكأنها شيء قذر وقالت: «كل ما أريده هو حجر منتصف الليل».

أقرأناكموه

قالت سيلينا: «ماما! لا... إنها مجنونة...».

قالت السيدة ستريكهام: «سأفعل ذلك، أقسم!». وبدت يائسة ومرتبكة مثل حيوان محاصر.

قالت أم الذبابات: «إذا كنت تعتقدين أنه يمكنك مقايضتي بها فأنت مخطئة».

حدقت سيلينا إلى أمها بعينين واسعتين وتمتمت: «كيف يمكنك قول ذلك؟! ماما، أرجوك...»

حافظت السيدة ستريكهام على رباطة جأشها وقالت: «لا تختبريني يا خارقة الذباب».

غير أن كاو استطاع رؤية الخوف في عينيها، وشعر بالذعر؛ إنها لا تمزح، ولا أم الذبابات أيضاً.

قالت سينتيا دافنبورت: «اعتقلوهم جميعاً. يستحسن أن يكونوا أحياء؛ أو أمواتاً إذا اضطررتم إلى ذلك».

قفز كاو إلى الأمام لإبعاد السيدة ستريكهام. وفي الوقت نفسه، انقضّ ثعلبان على سينتيا دافنبورت. سمع كاو صوت طلقات نارية عدة تصدر من الأعلى، وهربت الثعالب، فأصبحت سيلينا حرّة.

لم يعرف بالضبط ما حصل لاحقاً، إلّا أنه سمع أصوات المزيد من الطلقات النارية، ووقع شرطي من الأعلى وهو يصرخ، قبل أن يرتطم بالأرض بقوة. هبطت الأشكال الشاحبة لطيور الحمام على ظهور الآخرين، فيما وقف السيد ستريكهام أمام ليديا لحمايتها بجسمه.

صرخت ليديا: «كاو، اخرج من هناك. استخدم غربانك!».

سمع كاو طيور الحمام وهي تصرخ، فنظر إلى الأعلى. كان كل واحد من طيور الحمام يتخبط في مكانه، إذ كان الريش مغطى بسرب

أقرأناكموه

أسود من الذباب. لا يستطيع استدعاء غربانه إلى هذا الفخ أيضاً.

في تلك الأثناء، بدأ رجال الشرطة يدخلون عبر البوابات للإحاطة بكرامب والسيد ستريكهام. فتمتم السيد ستريكهام: «لا أصدق أن هذا يحصل». فيما كان وجهه شاحباً جداً.

قال أحد رجال الشرطة: «انبطحوا أرضاً». فيما وجّه مسدسه نحو كاو.

تراجع كاو إلى الخلف باحثاً عن مهرب، إلا أن النقاط الحمراء تمايلت على صدره.

كان الجدار عالياً جداً، والبوابة مقفلة. لا مجال أبداً للهروب.

باستثناء طريقة واحدة.

صرخ شرطي آخر: «انبطح أيها الولد!».

أغمض كاو عينيه. وصرخ عقله: هيا! تبدّل!

تذكّر المرة الأولى التي حصل فيها الأمر، وكيف نجح في التحوّل، وتحرير جسمه من الشكل البشري. لكن هذا كان قبل أن يلمس حجر منتصف الليل. ماذا لو أضعفه ذلك الحجر بشكل دائم؟

«إنها الفرصة الأخيرة. انبطحوا أرضاً وإلا فسنطلق النار!».

تجاهل كاو موجات الخوف التي عصفت به، وانحنى نحو ركبتيه. أحس بجسمه يصبح أخف وزناً، فيما أصبحت صيحات السجن بعيدة أكثر فأكثر.

إن ذلك يحصل...

شعر بأطرافه كما لو أنها تتحول إلى سائل، وتحركت عظامه بشكل فظيع لدرجة الانكسار، وتمددت الأربطة. صرخ متألماً، وفتح عينيه لرؤية وجوه رجال الشرطة أمامه. كانوا قد أخفضوا أسلحتهم ببطء مذعورين. ثمة شرطي واحد فقط أطلق النار، لكن كاو أحس

أقرأناكموه

بالرصاصة تمرّ فوق كتفه.

وقع إلى الأمام، فحاول حماية نفسه، لكن ذراعيه اختفتا، وبدلاً من ذلك غادرت قدماه الأرض. خفق بجناحيه وارتفع عن الأرض مجدداً. رأى جناحيه على كلا الجانبين، فخفق بهما بقوة أكبر. رفعه الجناحان فوق رؤوس رجال الشرطة، فحلّق أعلى وأعلى مذهولاً بقوة جسم غرابه.

جاءت سحابة من العث لاعتراض طريقه، مصدرة صيحات عالية، لكنه انزلق تحتها بمجرد تحريكه جناحيه. ولحقت به أصواتها العالية، وأحسّ بها تحطّ على ظهره. انقلب كاو حول نفسه وأطبق منقاره بقوة، لكنه لم يستطع التخلص منها. حتى إنه لم يستطع الرؤية جيداً بسبب كل الأجنحة التي تحيط به.

حاول تجاهل الذعر الذي انتابه ليتمكن من الصمود، واستدعى غربانه بقوة عقله، فرآها تأتي إليه؛ دزينة من الغربان. مرّت أمامه، وانقضّت على حشرات العث بمناقيرها ومخالبها، فسحقتها وأوقعتها. اختفى الوزن عن ظهر كاو، فسوّى وضعيته وحلّق أعلى وأعلى. لحقت به حشرات العث على شكل سحابة رمادية، لكن الغربان اجتمعت مجدداً وهاجمتها، مبددة إياها.

رأى كاو كل شيء من فوق فناء السجن. تم جرّ السيد ستريكهام وليديا، وإبعادهما عن بعضهما. أما السيدة ستريكهام فكانت لا تزال تكافح، فيما تحلق رجال الشرطة حولها. وبدت سيلينا مذهولة وقد فتحت فمها، وبدا جسمها منهكاً ومتكئاً على جدار، ويداها مكبلتان خلف ظهرها. لم تكن خائفة ولا متحدية... وإنما تائهة فقط.

اختفت سينتيا دافنبورت. أدار رأسه، ونظر بعينَي الغراب إلى الأفق.

لا، ها هي. بطريقة ما، وخلال ثوانٍ قليلة فقط، وصلت إلى أعلى أحد البرجين. وكانت تقف هناك مراقبة إياه.

ازداد الغضب في صدر كاو، وأحسّ بوخز خفيف في ريشه.

قال: اهجمي!

فاحتشدت الغربان خلفه، وانقضت عليها معاً.

راقبته وهو يقترب منها مع ابتسامة عريضة على وجهها، كما لو أنها غير مبالية البتة.

استجمع كاو قوته، وحاول كشط جلدها بمخالبه. لا يمكنها الفرار. ثم، وفي جزء من الثانية، اختفت من أمامه، وتحولت إلى سرب من النقاط السوداء.

ذباب!

عدّل كاو تحليقه لتفادي الارتطام بجانب البرج، ففعلت الغربان الأخرى الشيء نفسه. وحيث كانت سينتيا دافنبورت تقف يوجد الآن سرب من الذباب كثيف جداً في أماكن معينة؛ حيث بدا مثل كتلة صلبة. انقضّت الذبابات عليه، وغطّت جناحيه، فيما ملأ أزيزها أذنيه، وجعله يرغب في إغماض عينيه.

حاول كاو نفضها عنه والتحليق بعيداً، لكنه كلما حاول نفضها وإبعادها عنه انقضّت عليه مجدداً وآلمته. حاول استدعاء غربانه الأخرى، لكنه لم يستطع التركيز. أحسّ بمئات العضات تلسع جسمه، وشعر بكراهيتها في كل واحدة من تلك العضات. خفق بجناحيه بشكل مسعور، وتحرر منها.

توجّه كاو نحو السطوح محاولاً الهروب، لكن الذبابات لحقت به من كل جانب، وحلّقت أمامه حيناً، وخلفه حيناً آخر.

أقرأناكموه

إنها تلعب معي! كما لو أنها لعبة.

عندما وصل إلى خط السكة الحديدية كان متعباً، لكن الذبابات لم تتوقف عن ملاحقته مطلقاً. نزل نحو الأسفل واختبأ تحت جسر على أمل أن يضيعها، لكنها كانت تنتظره في الجهة الأخرى. ارتطمت كتلة كبيرة منها بأحد جناحيه، وقلبته. فقدَ كاو توازنه، ولم يستطع التوقف فيما كان يهبط مسرعاً نحو القضبان الحديدية.

ارتطم بالقضبان، ولوهلة لم يشعر إلا بألم شديد. ارتطم بالقضبان وانزلق عنها، وعندما أصبح إلى جانب القضبان، رأى ساقه تنزف تحت سرواله الممزق. لقد عاد إنساناً مجدداً.

تدحرج كاو. كانت يداه مليئتين بالخدوش والدم، فيما شعر بالألم في كتفه. وعندما حاول تحريكها، احتكت العظام ببعضها، مما جعل رؤيته مشوشة. أدى الذعر الكبير الذي شعر به إلى تراكم الصفراء في حنجرته.

هبطت الذبابات أمامه على شكل سحابة سوداء، وقبل أن تصل إلى الأرض بمسافة قدم واحدة، اتخذت مجدداً شكل سينتيا دافنبورت. لامست قدماها الأرض بنعومة، وأخرجت هاتفها، وتمتمت بضع كلمات فيه، ثم تقدمت نحوه.

قالت: «لم يكن هبوطك ممتازاً برأيي». ثم انحنت إلى الأسفل، وأمسكت بقدمه وبدأت تسحبه بقوة نحو القضبان المعدنية وسط السكة. لم يملك كاو القوة لمقاومتها، وآلمته كتفه كثيراً.

أفلتته، ووضعت كعب حذائها المستدق وسط صدره لدفعه مجدداً نحو الأرض.

قالت: «يمكنك ربما التحول إلى طائر، لكنني أستطيع التحول

أقرأناكموه

إلى ألف ذبابة مثلما رأيت. والآن، أين حجر منتصف الليل؟».

حاول كاو التحرك، لكنه كان ضعيفاً جداً.

فرضت أم الذبابات المزيد من الضغط عليه، حيث بات كعبها المستدق مباشرة فوق قلبه.

قالت مجدداً: «أين هو؟».

بدأت الأرض تتحرك تحتهما. أدار كاو رأسه، فرأى ضوءين قويين يقتربان على السكك الحديدية.

صرخت: «أين الحجر يا خارق الغربان؟!». وكانت هذه هي المرة الأولى التي يسمعها فيها كاو وهي ترفع صوتها. تلوّى من دون جدوى. لم يستطع الفرار، لكنه لا يستطيع إخبارها أيضاً؛ فهو لا يستطيع خذلان أمه. رأى من فوق كتفها غربانه الثلاثة وهي تحلق بشكل دائري، فأمرها بالبقاء بعيداً.

قال: «لن تحصلي عليه أبداً».

أنار ضوء المصباحين وجه سينتيا دافنبورت، فيما صدح صوت صفارة القطار.

قالت: «فليكن».

سمع كاو صوت المكابح القوي، لكن الوقت كان قد فات، فأغمض عينيه مستعداً للموت.

الفصل 11

بدا لـه وكأن هدير القطار قـد دخل رأسـه، وامتلأ الهـواء برائحة زيت محركه والحرارة والغبار.

أحسّ كاو بجسمه يُزاح جانباً، وشعر بألم شديد في كتفه مجدداً. احتاج إلى بضع لحظـات ليدرك أنه ليس ميتاً. لقد سـحبته أم الذباباتَ إلى الأعلى، وأمسـكت به من ياقته بإحـكام، فيما مرّ القطـار على بعد قدم واحـدة منه فقط، جاعلاً عظامـه تهتزّ، ثم اختفى فـي الليل، حاملاً معه صوتـه وغضبه، وتـاركاً الهـواء يرتجف خلفـه. بالـكاد أحسّ كاو بالقوة الكافية للنهوض.

قالت: «أنت شـجاع، لكنها مضيعة للوقت. فأنـت تؤجل فقط ما هو محتوم».

توقفـت سـيارة ليموزيـن علـى الطريـق تحـت الجسـر، وأدرك كاو أنهـا مصفّحـة من مظهرهـا العمـلاق والضخـم. فُتح أحـد البابين الخلفيين، وخرج منه السيد سيلك. وكان قد خلع بذلة الشرطة، وعاود اعتمـار قبعته وارتـداء بذلتـه البيضـاء. كانت ثيابـه مغطاة بالعـث؛ ممّا منحها لمعاناً غريباً.

برمت سينتيا دافنبورت حول كاو، ثم تحولت إلى ذباب. انقضّت الذبابات على بشـرته، وعلـى الرغم مـن مقاومتـه، تمايل العالـم أمام عينيه، فيما أحسّ بنفسه يرتفع في الهواء بواسطة الكائنات الطنانة. كان

الإحساس غريباً جداً ومختلفاً تماماً عما يشعر به حين تحمله الغربان. كان سجيناً.

أنزلـه سـرب الذباب علـى الأرض قـرب سـيارة الليموزيـن، ثم تشتت محلقاً عالياً وبعيداً. أحس كاو بمعدن بارد يطبق على معصميه، فيما طقطق زوج أغـلال التفّ حـول يديه. جعلـه الألم الذي شـعر به في كتفه يوشـك على التقيؤ فيما حمله خارق العث إلى السـيارة. هبط بطريقة غريبة على المقاعد، ورأى السـيد والسيدة ستريكهام وليديا في الجهة المقابلـة له، وكانـوا جميعاً مقيديـن بالأغلال مثلـه. نظرت إليه السيدة ستريكهام بعينين فارغتين.

قال السيد سيلك مبتسماً: «اجلس بارتياح». وأغلق الباب بقوة.

سـألته ليديـا: «كاو، هـل أنـت بخيـر؟». فيما ثبتـت عينيهـا على ملابسه الممزقة.

سوّى كاو جلسته، وقال عبر أسنانه المطبقة، فيما احتكت عظامه ببعضها: «أعتقد أن كتفي قد انزاحت من مكانها. أين كرامب؟».

قال السـيد سـتريكهام: «أبقـوه في السـجن». وظهر علـى وجنته كشط كبير، فيما بدت شفته متورمة، وبدا مكتئباً تماماً.

بدأت سـيارة الليموزين تتحرك، فيما اسـتمرت السيدة ستريكهام في التحديق إلى الفضاء.

سأل كاو: «و... سيلينا؟».

صرخت ليديا: «ولماذا تبالي؟! لقد خانتنا مجدداً؛ في أول فرصة أتيحت لها».

هذا صحيح. لكن كاو عرف ما رآه على وجهها في فناء السـجن؛ الخوف فيما كانـت تكافح لتفهـم، وكانت تائهـة تماماً. وعـرف معنى ذلك بالضبط.

أقرأناكموه

انطلقت السيارة بسرعة، وجعلتهم ينقلبون جميعاً كلما انحرفت. نظر كاو إلى خارج النافذة. إنهم يتجهون جنوباً- إلا إذا كان مخطئاً- نحو النهر مجدداً. السجن في الاتجاه الآخر. إلى أين تأخذنا؟

سأل السيد ستريكهام: «أين ذاك الحجر الذي تبحث عنه؟».

نظر كاو حوله بحثاً عن الذبابات قبل أن يجيب: «لقد خبأته».

فسأله والد ليديا بغضب: «حسناً، أين؟».

قالت السيدة ستريكهام: «لا تخبرنا. الأمر أفضل بهذه الطريقة».

قطّب السيد ستريكهام وجهه وقال: «يا الله، هذا جنون! إذا كانت تريد هذا الحجر، فلماذا لا...»

قالت ليديا: «أرجوك بابا. لا تفعل. ألا ترى أن كاو كان محقاً في ما فعله؟! فكل هذه المسألة- سيلينا في منزل كاو، وحديقة الحيوانات، والسجن- لقد خططت لها أم الذبابات منذ البداية. فهي تريد ذلك الحجر أكثر من أي شيء آخر؛ تماماً مثلما قالت مامبا: سبقتنا بخطوة منذ البداية».

تحرك فم السيد ستريكهام كما لو أنه أراد قول شيء آخر، لكنه صمت.

بعد بضع لحظات، توقفت السيارة وإنما بقي محركها يهدر. سمع كاو صوت بوابة كهربائية تفتح، ثم تقدمت السيارة إلى الأمام ببطء. وأخيراً، انطفأ المحرك وفتح الباب.

قال السيد سيلك: «اخرجوا». ونقر بقدمه بتململ.

خرج كاو أولاً بحذر شديد، وتحوّل الألم في كتفه إلى وجع نابض كليل. أدرك فجأة أنهم أصبحوا في المنطقة المالية، محاطين بأبراج من الفولاذ والزجاج. لم يكن قد زار هذا المكان كثيراً، إذ لا يوجد شيء لتناوله هنا، ومعظم المباني تضع كاميرات مراقبة أو

أقرأناكموه

حراساً. توقفت السيارة أمام فناء عريض مزين بنباتات مزروعة ونافورة متلألئة. كان المكان ساكناً تماماً، باستثناء خرير الماء.

فُتِح البابان الأماميان في جانبَي السيارة، فتوقع كاو رؤية سينتيا دافنبورت، لكن ابنتها هي التي خرجت بوجه شاحب. أحسّ بنوبة غضب، لكنها اختفت بسرعة، تاركة خلفها الإذعان. نظرت إلى كاو وقد تورمت عيناها بسبب البكاء.

قال السيد سيلك: «هيّا، تحركي».

وقفت سيلينا في مكانها، ونظرت إلى المبنى الشاهق وقالت: «ما هذا المكان؟».

فقال السيد سيلك: «إنه منزلك الجديد. سيخبرك الناطور إلى أين تذهبين». ودفعها من ظهرها، فمشت ببطء متجهة نحو المدخل.

صرخت ليديا: «خائنة!».

بدا وكأن سيلينا لم تسمعها، فيما صعدت الدرجات الأمامية واختفت في الداخل.

بعد ذلك، خرجت بينكرتون من السيارة. وتماماً مثل السيد سيلك، كانت قد خلعت ملابس الشرطة. ركضت عدة جرذان خلفها، وانضمت إلى السيد سيلك.

قال خارق العث: «أعتقد أنه يستحسن أن ندخل». وخلع قبعته وانحنى أمام فيلما ستريكهام قائلاً: «السيدات أولاً».

إلا أن السيدة ستريكهام لم تتحرك.

فقال السيد سيلك: «يمكنك محاولة استدعاء كل الثعالب التي تريدينها، لكن ثقي بي، لن يكون هناك الكثير منها هنا. فقد وضعوا السم لقتل الحيوانات المزعجة». ثم أخفض قبعته، وأشار نحو الردهة وتابع: «أرجوك، ثمة حدود للباقتي».

أقرأناكموه

قال السيد ستريكهام: «هيّا. دعنا نرى ما تريد قوله».

وصعد الدرج أولاً، فلحقت به زوجته وابنته. لحق بهم كاو أخيراً، فيما أمسكت بينكرتون بذراعه، ورافقته الجرذان.

همست بينكرتون في أذن كاو: «لا يجـ... يجدر بك... إغـ... إغضابها».

وفيما كانوا يدخلون عبر الباب، نظر كاو خلفه، وفتش في السماء بحثاً عن غربانه. هل لحقت به؟ إذا كانت قد فعلت ذلك فهو لم يستطع رؤيتها.

في الداخل، رافقهم السيد سيلك وبينكرتون على أرض رخامية، وساروا بالقرب من النافورة. كانت سيلينا قد اختفت، وثمة رجل جالس أمام مكتب. لم ينتبه الرجل قطّ إلى المجموعة الغريبة التي دخلت، أو إلى القوارض التي تتبعها.

لا شك في أنه أحد موظفيها، فكر كاو في سره. كان دمه يغلي في جسمه؛ فهو لا يعرف إلى أين ياخذونهم.

وعندما وصلوا أمام مجموعة من المصاعد، ضغط السيد سيلك على زر وانتظر، وقال لبينكرتون: «لن تسمح بأن يصعد جرذانك إلى هناك».

قالت خارقة الجرذان: «لـ... لماذا؟».

«لأنه يا عزيزتي حتى خارقة الذباب تظن أنها مؤذية».

عبست بينكرتون.

فُتح باب مصعد فدخلوا إليه جميعاً، بينما ظلت الجرذان في الخارج. وفيما كان باب المصعد ينغلق، لاحظ كاو أن السيد ستريكهام كان يمسك بيدَي ليديا بين يديه؛ على الرغم من تكبيل أيديهما بالأغلال خلف ظهريهما.

أقرأناكموه

إنه لا يظن أننا سنخرج من هنا أحياء.

راقب كاو الأرقام وهي تضيء، فيما ارتفع المصعد إلى الأعلى بهدوء. كانت الجدران زجاجية. وفيما اختفت الردهة، رأى كاو عبر الجدار الخلفي المدينة أمامه. كانت ناطحات السحاب المجاورة مثل ظلال داكنة تحت السماء. لكن في البعيد، تلألأت أضواء عبر النهر، وتدفق وهج مصابيح السيارات في المدينة. هناك العديد من الأشخاص العاديين الذين لا يعرفون أبداً ما يجري هنا.

عند الطابق السابع عشر، توقّف المصعد وفتح الباب.

لم يكن كاو واثقاً مما يتوقعه. مكتب ربما. لكنهم خرجوا إلى ممر مطل على شقة عملاقة مفتوحة. كانت السيدة ستريكهام تراقب كل شيء ملياً أيضاً، وتستطلع ببرودة. ثمة لوحات فنية عملاقة غطت الجدران البيضاء، مع نار ملتهبة في موقد منفصل، وثمة أرائك جلدية كبيرة موزعة حول طاولة زجاجية على سجادة مصنوعة من نوع من أنواع الجلد الحيواني. إلى الجانب، لمح كاو ما بدا مثل مطبخ على شكل L في مساحة صغيرة. ثمة جانب من الشقة مصنوع من الزجاج تماماً، ويطلّ على مشهد مذهل للمدينة.

المكان مختلف كثيراً عن مصنع الخياطة المهدّم الذي جعله الرجل الدوام مركزاً لعملياته. فكل شيء فاخر هنا؛ من النوع الذي يتوق إليه معظم الأشخاص العاديين.

لكن، ثمة رائحة غريبة جداً؛ رائحة جعلت كاو يشعر بالغثيان.

نزلوا مجموعة من السلالم المنحدرة من الردهة، وعبروا غرفة الجلوس، ومشوا أمام الموقد، لتظهر أمامهم طاولة طعام طويلة مع كراسٍ حولها. إلا أن قلب كاو قفز في مكانه عندما رأى ما هو موجود عليها.

أقرأناكموه

قالت ليديا: «يا للقرف!». وتوقفت فجأة في مكانها.

ففي الوسط، كان ثمة رأس حيوان نصف متحلل، وقد حامت الذبابات حول سطحه المتعفن، فيما تلوّت اليرقات من محجر عين فارغ. ذهل السيد ستريكهام.

قالت بينكرتون: «تـ... تـ... تريد إبقاء صغارها سعيدة».

بالكاد رفعت والدة ليديا حاجبها قائلة: «خذونا إليها».

عند نهاية الطاولة، كان ثمة باب ذو مصراعين، أحدهما مفتوح قليلاً. وفيما مروا عبر الباب، لمح كاو غرفة مضاءة بإنارة خفيفة. في الداخل، كان ثمة عدد من الرجال والنساء الذين يحتسون الشراب، ويلعبون البيلياردو وهم يتمتمون متحدثين مع بعضهم. ولاحظ واحد أو اثنان منهم وصول كاو ورفاقه، لكن أحداً منهم لم يخرج للاستطلاع.

توقف السيد ستريكهام فجأة وقال: «هاي، أنا أعرفك».

عندها، وضع رجل وحشي المظهر، وذو أوشام على ذراعيه وفم ملتوٍ قنينةَ الشراب التي يحملها جانباً، وجاء إليهم وهو يبرم في يده عصا بيلياردو.

قال السيد ستريكهام: «أنت لوغمان. كنت في الجناح د».

ابتسم لوغمان ابتسامة عريضة، وأخرج جسمه الضخم عبر الباب الوحيد المفتوح، ولمع عدد من أسنانه الفضية وهو يقول: «لم أعد هناك حضرة آمر السجن». ثم رفع عصا البيلياردو عالياً، فتراجع السيد ستريكهام إلى الخلف. أمسك السيد سيلك بذراع لوغمان، فرأى كاو وشم ذبابة على معصمه.

قال خارق العث: «ما كنت لأجرب ذلك لو كنت مكانك. فلن تفرح معلمتنا بذلك».

أقرأناكموه

زمجر لوغان، ورفع ذقنه إلى الأعلى قائلاً: «عندما يحين الوقت يا آمر السجن. وأؤكد لك أن الوقت سيحين». ومرر إصبعاً فوق حنجرته، ثم استدار ودخل مجدداً غرفة لعب البيلياردو.

تمتم السيد ستريكهام فيما تمّ دفعهم إلى الأمام: «أعتقد أننا أصبحنا نعرف أين جميع السجناء الخطيرين الآن. إنهم في تلك الغرفة».

قطّب كاو جبينه. لماذا تملك أم الذبابات تابعين؟ ثم تذكر ما قالته السيدة ستريكهام في سيارة الأجرة وهم في طريقهم إلى السجن؛ عن كيفية حصول خارقي الذباب دوماً على رعاية من خارقين آخرين. لا تملك أم الذبابات أي خيار ربما باستثناء التعاون مع البشر، واثنين من الخارقين الأشرار الذين يتبعونها، خارق العث وخارقة الجرذان؛ أسوأ الأشرار.

وفيما مرّوا أمام الطاولة التي عليها رأس الحيوان، توقفت كل الذبابات عن التحرك، فارتعد كاو مدركاً أن الذبابات تراقبهم. قادهم السيد سيلك إلى باب موجود في فجوة في جدار. بدا هذا الباب غير متناسق أبداً مع الشقة الفخمة؛ فهو مصنوع من معدن صلب، كما لو أنه باب مستودع.

طرق السيد سيلك على الباب، ثم انتظر بضع لحظات قبل أن يمرر بطاقة إلكترونية أمام جهاز موجود إلى جانب الباب يتوهج بضوء أحمر. تبدّل اللون إلى الأخضر، ثم فُتِح الباب، وهبّ عليهم هواء بارد، فشهقت ليديا قرفاً.

ارتدّ كاو إلى الخلف مذعوراً حين رأى المشهد المقرف أمامه. فقد كانت الغرفة مليئة باللحم، وثمة العديد من الجثث مكشوطة الجلد معلقة من السقف بواسطة كلابات معدنية، وقد انبعثت منها

أقرأناكموه

رائحة قوية. حاول كاو تمالك نفسه حين أدرك أن تلك الجيف لا تخص بشراً، وإنما حيوانات. بدت مثل جيف أغنام وأبقار من دون أي ريب؛ مشطورة إلى نصفين للكشف عن قفص صدري عملاق مربوط بغشاء دهني. وكانت كل الجيف من دون رؤوس.

قال السيد سيلك: «ادخلوا!».

ثبّتت ليديا قدمها عند الباب، لكن بينكرتون دفعتها إلى الداخل.

ورغم أن الأرضية كانت مكسوة بالبلاط الأسود، إلّا أن الجدران والسقف كانت من الفولاذ الصامد المتلألئ، ومن دون نوافذ، مع وجود بعض الفتحات الصغيرة على مستوى السقف. وبعد أن مرّوا أمام بعض الجيف المعلقة، رأى كاو سينتيا دافنبورت جالسة وسط الغرفة على مقعد معدني بسيط، وبدت بذلتها السوداء متناقضة جداً مع المكان المحيط بها والشبيه بالملحمة.

قالت: «أنا آسفة إذا كنتم قد وجدتم هذا المكان مقرفاً، لكن أولادي يملكون شهية كبيرة».

دفع السيد سيلك كاو من ظهره، وأجبره على التوغل أكثر في الغرفة بين جيف الحيوانات المعلقة، فيما تراجعت ليديا إلى الخلف لمنع نفسها من التقيؤ على جيفة غنم.

قالت: «أنت مقرفة!».

فابتسمت أم الذبابات قائلة: «أهلاً بك في سلسلة المطاعم».

وقفت السيدة ستريكهام أمام ابنتها وصرخت: «لا تتكلمي معها».

فقالت سينتيا دافنبورت وهي تقف: «هل تظنين أنني غير جيدة بما فيه الكفاية للتحدث إلى ابنتك يا خارقة الثعالب؟ ألست على مستوى يجعلني جديرة بالتحدّث إليها؟». وتوجهت مباشرة إلى والدة

أقرأناكموه

ليديا، ورفعت يداً ذات أظفار طويلة مطلية باللون الأسود أمامها. كانت أقصر من السيدة ستريكهام بستة إنشات على الأقل، لكن افتقادها إلى الطول جعلها تبدو مخيفة أكثر. «لطالما كنتم سلالة فظة. لكنني أراهن على أنكم لم تفكروا يوماً في أن خارقة الذباب الوضيعة ستنتقم منكم، أليس كذلك؟». لم تتحرك فيلما ستريكهام فيما مررت دافنبورت أحد أظفارها على طول وجنتها وهي تتابع: «جرّبي القيام بأية سخافة، وأعدك أنه يوجد مكان لبعض الثعالب هنا». وتأملت عيناها الكلابات المعلقة في السقف.

فقالت السيدة ستريكهام: «ماذا تريدين؟».

تجاهلت أم الذبابات سؤالها قائلة: «سمعت الكثير عنك. لقد قتلت خارق العناكب؛ في أول مرة على الأقل».

فقالت السيدة ستريكهام: «فيما كنت مختبئة أيتها الجبانة، وفيما حارب الخارقون الحقيقيون للدفاع عن هذه المدينة».

أطلقت سينتيا دافنبورت ضحكة عالية جداً وقالت: «أتقصدين في ذلك الصيف المشؤوم؟ لم يكن لديّ أي شيء لربحه أو خسارته في ذلك النزاع. لا، أنا أختار معاركي يا خارقة الثعالب. لقد جاء إليّ مثلما تعلمين؛ أقصد خارق العناكب، وتوسّل إلي لأنضم إليه. فقد عرف قدراتي تماماً، ورأى ما أصبحت عليه سلالة خارقي الذباب. وفي ذلك الحين، أخبرني عن حجر منتصف الليل. قال إننا نستطيع أن نحكم معاً؛ العنكبوت والذباب. تخيلي ذلك!». واستدارت بعيداً وبرمت لهم ظهرها. «حينها رفضت عرضه. وفيما كنتم تتناحرون، انتظرت بعيداً، وخطّطتُ لكيفية الاستيلاء على الحجر بنفسي يوماً ما، وكيفية الثأر من كل الخارقين بسبب معاملتهم الرديئة لنا؛ أنا وأمي، وأمها قبلنا».

أقرأناكموه

عندها، سُمِع صوت سيلينا: «أنا لا أعرف حتى من تكونين!». نظر كاو خلفه، فرآها واقفة عند الباب. كانت قد خلعت معطفها، وترتدي فقط قميصاً أسود ذا كمين مطويين، وكانت عيناها حمراوين ومليئتين بالغضب.

تضاءلت سخرية سينتيا دافنبورت قليلاً وقالت: «لا يفترض بك أن تكوني هنا».

قالت سيلينا: «حسناً، سامحيني، لكنني لم أستطع التركيز على مجموعة أقراص الدي في دي. ليس بوجود شخص فاسد أمامي».

فقالت أم الذبابات: «لم تناسبك السخرية يوماً».

نظرت سيلينا في أرجاء الغرفة، وبرمت شفتيها ثم قالت: «أفترض أنك تأتين إلى هنا طوال الوقت؛ أعني عندما تغيبين عن المنزل، وعندما تعملين لوقت متأخر. يفترض أنني ابنتك! لقد وثقت بك، لكنك استغللتني!».

قالت أم الذبابات: «يوماً ما ستنتقل موهبتي إليك؛ سواء أحببت ذلك أم لا».

عندها، تلوّى وجه سيلينا وهي تقول: «أتظنين أنني أريد أن أكون مثلك؟ أتظنين أنني أريد أياً من هذا؟!!». ولوّحت بيدها في الغرفة. «أنت تفعلين كل هذا لأنك...» وصمتت قليلاً كما لو أنها تبحث عن الكلمة المناسبة، ثم تابعت: «لأنك شريرة».

ضاقت عينا أم الذبابات، وانقبضت قسمات وجهها وقالت: «لو عرفت كم عانى أسلافك لكنت قد شكرتني الآن. أنت لم تعرفي جدتك مطلقاً، ولم تري قطّ كيف تجنّبها الخارقون الأبرار، وارتعدوا لمجرد رؤيتها. وعندما ماتت، وتم وضعها في قبر متواضع جداً، ولم يأت أحد لحضور دفنها. لا أحد. حتى خارقة ديدان أم أربعة وأربعين

أقرأناكموه

حظيت بدفن لائق! لكـن خارقة الذباب... لم تحظَ بأي شـيء سـوى الخـوف والكراهيـة». واسـتدارت فجـأة نحـو كاو، وأمسـكت وجهه بيدها، وغـرزت أصابعها فـي فكيـه قائلـة: «والآن يا جـاك، أين حجر منتصف الليل؟».

انغرزت أظفارها في وجنتيه.

قالت ليديا: «ابتعدي عنه!». لكن السيد سيلك أمسك بها قبل أن تتمكن من الحركة.

حدّقـت أم الذبابـات إلى عينَـي كاو فيمـا أحكمـت قبضتها على وجهه، وأحسّ بأنها تفتش فيهما، فيما تغلغل جوعها إلى داخل عقله.

قالت: «إنه يعرف. إنه يعرف».

أمسـكت كتفه بيدها الأخرى، وغرزت إبهامها في العظم المنزاح من مكانه، فصرخ كاو عالياً، ووقع على ركبتيه. صرخت: «أخبرني!».

أحـسّ كاو باللعاب يسـيل من فمه، وصـرخ نتيجة الألم الشـديد الذي شـعر به. سـيموت الآن في أية ثانية. لم يكن بوسعه الكلام حتى لو أراد ذلـك. ثم أفلتته سـينتيا دافنبورت، فانهار كاو علـى جانبه، وهو يشعر بدوار شـديد. رأى أم الذبابات وهي تومئ برأسها للسيد سيلك، فقام خـارق العـث برفع ليديـا في الهـواء، إلـى أن علقت ياقتهـا بأحد كلابات اللحـم. سـارعت السـيدة سـتريكهام لإيقافه، لكـن بينكرتون سحبت مسدسها ووجهته إلى رأس خارقة الثعالب.

تلوّت ليديـا مثل السـمكة خـارج الماء، فيمـا تدلـت قدماها في الهواء.

قالت أم الذبابات: «أين هو، كاو؟».

لـم يعـرف كاو مـاذا يقـول، فيمـا حدّقت السـيدة سـتريكهام إلى أسطوانة مسدس بينكرتون.

أقرأناكموه

قالت ليديا: «لا تخبرها».

استدارت سينتيا دافنبورت وقد سيطر الغضب عليها، وبدا ذلك واضحاً على وجهها، ومدّت ذراعها في الهواء، فتحوّلت ذراعها ببساطة أمام كاو المذعور إلى سرب من الذباب، فيما بقي كمها فارغاً وهبط وحده. وسرعان ما هبطت الحشرات على وجه ليديا، فصرخت عالياً، وراحت تدير رأسها من جانب إلى آخر. زحفت الذبابات إلى فمها المفتوح، مصدرة طنيناً مجنوناً، فتحوّل صراخ ليديا إلى اختناق، وتلوّى جسمها المعلّق على الكلاب.

صرخ السيد ستريكهام: «توقفي، أرجوك».

قال كاو: «حسناً، سأخبرك».

فجأة، خرجت الذبابات من فم ليديا، وعادت إلى معلمتها، واختفت في الجهة الأمامية من سترتها، فامتلأ كمها مجدداً، وظهرت يد شاحبة من طرف الكم. ثم جلست، وشبكت ساقيها فوق بعضهما.

قالت: «هذا أفضل كاو. لديك الآن فرصة واحدة لتقول لي الحقيقة. وإذا كذبت، أو حاولت خداعي بأية طريقة، فستلفظ ابنة خارقة الثعالب نفسها الأخير مكبوتاً بفضل الذبابات. هل تفهمني؟».

ارتعد كاو وقال: «نعم».

«إذاً، أين حجر منتصف الليل؟».

ابتلع كاو لعابه، فيما فتش عقله عن طريقة للهروب؛ عن طريقة لحماية ما تركته له أمه. طغى الخوف على وجه ليديا، وكان السيد ستريكهام يتنفس بصعوبة، فيما نظرت زوجته إلى الأرض. لا، لا مجال للخروج من هنا، وما من حيوانات لاستدعائها لمساعدتهم. لقد جلبتهم أم الذبابات إلى حيث أرادتهم بالضبط.

كافح كاو مشاعر اليأس التي حاولت تحطيمه. لماذا لم يترك

أقرأناكموه

بوتلايس الحجر معه لبضعة أيام إضافية؟ لماذا لم تتركه أمه بعيداً عن هذه القصة؟ فهو ليس خارقاً محارباً مثل أولئك الذين حاربوا في الصيف المشؤوم، بل إنه مجرد ولد، ولم يطلب أي شيء من هذا.

لكنه عرف أن هذا ليس عذراً، وأحس بالألم في قلبه. لقد خذلهم؛ أمه، ووالده، وكل الخارقين الذين ضحوا بحياتهم لحماية ما هو جيد.

قالت السيدة ستريكهام بهدوء: «هيّا، أخبرها».

قالت ليديا: «لا، ماما».

قالت أم الذبابات مبتسمة ابتسامة بطيئة: «حسناً؟».

قال كاو: «إنه مدفون في حديقة بلاكستون العامة؛ تحت مقعد قرب المنصة».

حدّقت عينا سينتيا دافنبورت إلى عينيه لبضع ثوانٍ، فقال: «أخبرك بالحقيقة».

أومأت أم الذبابات برأسها، وقالت وهي تنتصب: «نعم، صحيح. سيد سيلك، بينكرتون، تعاليا معي».

وتوجّهت مسرعة نحو الباب، فلحق بها الخارقان الفاسدان، فيما بقيت سيلينا من دون حراك؛ كما لو أنها تجمدت رعباً بسبب ما رأته.

قالت السيدة ستريكهام: «أنت حقيرة، ولن تربحي. حتى لو وجدت ذلك الحجر وسلبتنا كل قوانا، فسيظهر آخرون لمحاربتك».

توقفت أم الذبابات، وقطّبت جبينها وقالت: «هل تظنين أن هذا كل ما أريده؟ سلبك قواكم؟».

أحسّ كاو بشيء من الريبة وقال: «هذا ما يفعله الحجر، أليس كذلك؟».

حدقت إليه سينتيا دافنبورت كما لو أنها ارتبكت فعلاً. وأخيراً،

أقرأناكموه

طرفت عينيها بشيء من السعادة الوحشية وقالت: «أوه كاو، أيها الولد المسكين! إنه أكثر من ذلك... ألا تعرف هذا؟».

لم يعرف كاو ماذا يقول. ظن أنه يعلم، لكنْ ماذا لو كان مخطئاً!؟

رسمت شفتا سينتيا دافنبورت ابتسامة وحشية وقالت: «حجر منتصف الليل هو...». وبدت وكأنها تبحث عن الكلمة الصحيحة وتابعت: «إنه المستقبل».

غادرت الغرفة، فانغلق الباب خلفها مصدراً صوتاً خفيفاً؛ مما يعني أنه تم تشغيل آلية القفل.

الفصل 12

انهارت سيلينا متكئة على الحائط وهي تتمتم: «أنا آسفة جداً». وكانت ترتجف من البرد بسبب ارتدائها قميصاً قطنياً فقط، وصارت شفتاها أرجوانيّتي اللون، وتابعت: «لم أكن أعرف أياً من هذا».

لم يعد كاو يبالي. ما الفرق؟ لقد خسروا، فيما ربحت أم الذبابات.

أسرع السيد ستريكهام ووقف تحت ليديا قائلاً: «ضعي قدميك على كتفيّ». فعلت ليديا ما طلبه منها والدها، وبعد شيء من التلوي، انزلقت ياقتها عن الكلّاب، ووقعت على الأرض.

قالت: «أنا بخير». فيما ركعت على ركبتيها، وبقيت يداها مكبلتين.

فقالت سيلينا وهي تقترب منها: «دعيني أساعدك في نزع الأغلال».

عندها، صرخت ليديا: «ابتعدي عني».

توقفت سيلينا.

سألتها السيدة ستريكهام: «أتملكين مفتاحاً؟».

مدّت سيلينا يدها إلى شعرها، وأخرجت مشبكاً لولبياً عدّلت شكله وقالت: «هذا ثاني أفضل خيار».

بدت ليديا كما لو أنها راغبة في ضرب سيلينا على وجهها.

أقرأناكموه

فقال كاو: «دعيها تساعدك، فعلينا العمل معاً الآن».

أومأت السيدة ستريكهام برأسها بسرعة مؤيدة ما قاله، فبرمت ليديا ظهرها كي تتمكن سيلينا من فك الأغلال.

أمسكت سيلينا الأغلال بهدوء، وبدأت تعمل بطرف الدبوس. احتاجت إلى ثوانٍ قليلة فقط لفك الأغلال، لكن ليديا لم تقل لها أي شيء عندما وقعت الأغلال التي كانت تطوِّق معصميها على الأرض.

اقتربت سيلينا من كاو. كانت أسنانها تصطك، وارتعدت يداها أيضاً. التقت عيونهما لفترة وجيزة، ثم استدار للسماح لها بفك أغلاله أيضاً. ورغم أنها كانت لطيفة جداً، إلّا أنه جفل بقوة لأن الألم في كتفه بدا مثل تيار كهربائي. ثم اختفى الضغط الذي كان على معصميه بمجرد نقرة خفيفة، فقال لها: «شكراً».

ذهب والد ليديا إلى الباب لفحص الجهاز القارئ. وفي غضون ذلك، وقفت السيدة ستريكهام خلف كاو وقالت: «علينا أن نعالج كتفك هذه. اجمد في مكانك». وقبل أن يتمكن من التفوه بأية كلمة، مرّرت يداً تحت إبطه وحول صدره، وأمسكت بذراعه باليد الأخرى، فصرخ كاو متألماً فيما دفعت ذراعه إلى الأعلى، وانهار على الحائط.

قالت السيدة ستريكهام: «هيّا، يفترض أن تشعر بالتحسن الآن».

وفيما حاول كاو التنفس بعمق والإمساك بكتفه المتورمة، أخذت السيدة ستريكهام الدبوس من يد سيلينا وذهبت لفك أغلال زوجها. أحنى كاو رأسه على الجدار البارد، فيما اختفت تدريجياً موجات الألم القوي.

قالت ليديا: «ماذا الآن؟ علينا إيقافها، أليس كذلك؟».

وضعت السيدة ستريكهام آخر زوج من الأغلال على الأرض، وفركت يديها ببعضهما بحيوية وهي تقول: «هذا صحيح. يبدو أننا كنا

مخطئين بشأن الحجر. إذ يبدو أنه أسوأ مما اعتقدنا، أياً كانت قدراته».

مدّت سيلينا يدها إلى جيبها وأخرجت بطاقة وقالت: «أعتقد أن هذه قد تجدي نفعاً».

سأل كاو: «أهي ما أعتقده؟».

فأومأت سيلينا برأسها وقالت: «أخذتها من السيد سيلك».

قالت ليديا: «جيد».

وتذكر كاو كيف سرقت سيلينا ساعته عندما التقيا سابقاً فقال: «إنها بارعة في مثل هذه الأمور».

عبست السيدة ستريكهام في وجه سيلينا وسألتها: «لمَ يجدر بنا الوثوق فيك؟».

فهزّت سيلينا كتفها مجيبة: «لا أبالي إذا كنتم تثقون بي أم لا. سأخرج من هنا».

تحركت ليديا بسرعة البرق، وأخذت البطاقة منها.

فقالت سيلينا: «هاي!».

قالت ليديا: «أنت لم تفعلي أي شيء لغاية الآن سوى تخييب آمالنا. لذا يجدر بنا تركك هنا». للحظات، ظن كاو أن سيلينا قد تهاجمها، ولذلك وقف بينهما وقال لليديا: «ليست مجبرة على مساعدتنا. ولا يمكننا تركها تتجمد هنا حتى الموت».

قال السيد ستريكهام: «المصعد. الرجل ذو القبعة البيضاء استخدم البطاقة هناك أيضاً».

ذهبت ليديا إلى الباب وقالت: «فلنذهب».

دفعتها فيلما ستريكهام جانباً برفق وقالت لابنتها: «ابقي هنا إلى أن تصبح الطريق خالية».

«لكن، ماما...».

أقرأناكموه

فقال السيد ستريكهام: «افعلي ما طلبته منك أمك».

سحب كاو منقار الغراب ونظر إلى سيلينا وسألها: «هل ستأتين معنا؟».

فأومأت سيلينا برأسها إيجاباً، واقتربت من الباب بحذر.

فقال السيد ستريكهام: «لا تقلقي، أنا لا أعضّ».

وقالت السيدة ستريكهام: «لكن ثعالبي تعضّ. وإذا فكرت في محاولة خيانتنا مجدداً، فلن أتردد في قتلك».

سألت ليديا: «هل أنتم مستعدون؟».

أومأ كاو برأسه.

مررت ليديا البطاقة أمام الجهاز القارئ ففُتِح الباب. كان رأس الحيوان لا يزال على الطاولة، لكن لم تعد هناك ذبابات حوله. وعرف كاو أنها طارت مع معلمتها. أحسّ بالذعر. كان الباب المؤدي إلى غرفة البيلياردو مغلقاً، لكنه استطاع سماع أصوات السجناء من وراء الباب.

إذا حافظوا على هدوئهم، فبإمكانهم الهروب من هنا.

أشارت سيلينا إلى ردهة الاستقبال، فأومأت السيدة ستريكهام برأسها. مروا أمام الموقد، ثم تحرك كرسي عالي الظهر، ورأى كاو بينكرتون وهي تدير نفسها لمواجهتهم. كانت تلتهم قطعة كبيرة من الجبن، لكنها عندما رأتهم وقفت على قدميها وتراجعت إلى الخلف قائلة: «أ... أ... أنتم!».

هجم كاو عليها ممسكاً بمنقار الغراب، فصرخت ورمت قطعة الجبن على رأسه، ثم هاجمته. حاول تجنّبها، لكنها انقضت عليه، ورمته أرضاً على ظهره، وغرزت أسنانها في معصمه.

فتح كاو فمه لإطلاق صرخة صامتة فيما وضعت يديها على وجهه...

بوم!

انقلبت بينكرتون جانباً. كان السيد ستريكهام يحمل مصباحاً صغيراً، وفقدت خارقة الجرذان وعيها على الفور. وقف كاو على قدميه فيما تقطّر الدم من الجروح في ذراعه، وحمل منقار الغراب ثم همس: «شكراً».

أمسكت السيدة ستريكهام بقدمَي بينكرتون وجرّتها إلى وراء أريكة.

مشت سيلينا أمامهم جميعاً لاجتياز الشقة والوصول إلى السلالم. وتساءل كاو عمّا إذا كانت أم الذبابات قد وصلت إلى الحديقة العامة أم لا. يمكنها فعل ذلك وحدها، لكن لتفتيش المكان جيداً، عليها اصطحاب أشخاص آخرين معها. ويعني ذلك أنه ما زالت لديهم فرصة.

عندما وصلوا إلى السلالم المؤدية إلى ردهة الانتظار، رأى كاو المطبخ جيداً للمرة الأولى. كان كله مصنوعاً من الفولاذ الناعم، مع بلاط حجري داكن اللون. كان على وشك اللحاق بسيلينا عندما لمح حركة في الطرف البعيد، وأحسّ بالارتباك. فجأة، بدا وكأن السيد سيلك قد ظهر عبر جدار المطبخ، فيما تحركت حشرات العث فوق كل سترته. وأدرك كاو أن الحشرات كانت تخبئه بطريقة ما هنا. سحب السيد سيلك مسدساً من سترته، وصرخ: «توقفوا هناك!».

فصرخ كاو: «اركضوا!». فيما أمسك بيد ليديا.

انطلقت عيارات نارية من المطبخ، وأصابت النوافذ الممتدة من الأرضية إلى السقف في الجهة الأخرى من الشقة، مما أدى إلى ظهور تشققات عنكبوتية في الألواح الزجاجية الضخمة.

أقرأناكموه

صعدت سيلينا السلالم بسرعة، ولحق بها كاو. لكن ليديا أفلتت من قبضته قائلة: «انتظرا!». استدار كاو، فرأى والدَي ليديا يتخبطان، فيما جرّهما سرب من العث إلى الخلف.

قالت ليديا: «ماما! بابا!».

فقال والدها محاولاً إبعاد العث عنه: «اهربي، لن تحصلي على فرصة أخرى!».

حاولت ليديا دفع كاو جانباً للوصول إليهما، لكنه دفعها في الاتجاه المقابل قائلاً لها: «أصغي إليهما».

قالت ليديا محاولة مجدداً: «لا». فأمسكت سيلينا بذراعها. عندها، استدارت ليديا لتضرب سيلينا على وجهها. إلا أن سيلينا أمسكت بمعصمها بقبضة قوية وتحدثت عبر أسنانها المطبقة: «أعرف أنك لا تحبينني، لكنني أحاول إنقاذ حياتك».

وصل السيد سيلك إلى أسفل السلالم، ووجّه نحوهم مسدسه قائلاً: «عودوا إلى هنا!».

كافحت ليديا لإفلات نفسها، لكن سيلينا كانت قوية.

قال كاو: «أصغي إليها».

رأى ذراع صديقته ترتخي، وأفلتتها سيلينا. ألقت ليديا نظرة أخيرة على السلالم، ثم طلبت من كاو إرشادها عبر الردهة نحو المصعد.

مررت البطاقة أمام الجهاز القارئ.

لم يحصل أي شيء.

مررتها مجدداً، ولكن من دون جدوى.

أمسك كاو بالبطاقة وجرّب فحصل على النتيجة نفسها.

قالت سيلينا: «لا بد من وجود سلالم للطوارئ». وأشارت إلى

أقرأناكموه

باب يبعد بضعة أمتار عن الردهة سائلة: «ماذا يوجد هناك؟».

استطاع كاو سماع أصوات خطوات آتية من مكان ما في الشقة، ثم سمع أصوات صراخ.

«أين هم؟».

«اعثروا عليهم!».

«من هنا!».

فتح كاو الباب ودخل عبره. إنه رواق آخر مليء بالأبواب. جرّب فتح الباب الأول فلم يفتح. فذهب إلى الثاني، ففتح. إلا أنه توقف فجأة في مكانه عندما ملأت أذنيه أصوات حيوانات.

عواء، ونباح، وهسيس، وسقسقة، وأصوات حادة أخرى صدرت من أقفاص موضوعة قرب الجدران، ومكدسة فوق بعضها بعضاً، ومرتبة على شكل صفوف. ما هذا المكان؟! كانت هناك بومة تراقبهم من مجثمها، فيما نبح نوع من الكلاب الوحشية فوقها. تسلل كاو إلى الأمام ببطء في أحد الأروقة، وراقب طريقه جيداً. ثمة كوغر أسود يتحرك ذهاباً وإياباً محدقاً بعينيه الخضراوين، وثمة ضفدع عملاق نفخ حنجرته وراقبهم بهدوء، وثمة نوعان مختلفان من السعادين تدليا من مجموعة قضبان وتشبثا فيها بأصابعهما المكسوة بالفرو.

سأل كاو: «سيلينا، ما هذا؟».

هزّت سيلينا رأسها وقد فتحت فمها بفعل الصدمة وأجابت: «ليست لديّ فكرة».

انعطفوا حول زاوية، فتوقف كاو أمام صندوق يحتوي على دودة أم أربع وأربعين عملاقة متمعجة. إنها من كائنات إميلي. أما بقية الحيوانات في الصف فبدت بمعظمها من الكلاب، والهررة، والأفاعي، والقوارض. وثمة عظاءة طولها ثلاث أقدام مدّت لسانها

أقرأناكموه

الأرجواني المسنن في الهواء.

القفص التالي كان عملاقاً وفارغاً، لكن القفص الأخير اهتزّ، وصدر من داخله صوت هدير عميق. سحب كاو سيفه، فيما وضع دبّ خطمه على الشبك. بدا غير حقيقي تقريباً. كيف نجحت سينتيا دافنبورت في إدخاله إلى المبنى؟

قالت ليديا: «هيّا بسرعة! إنهم قادمون!». اقترب صوت الصراخ أكثر فأكثر، وكذلك أصوات الخطوات. لا مكان للاختباء إلا...

فتح كاو القفص الفارغ فدخلوا إليه جميعاً، وحشروا أنفسهم بالقرب من بعضهم بعضاً. خفق قلبه بقوة، وأصبحت قبضة يده الممسكة بمقبض منقار الغراب مبتلة بالعرق. سوف يستخدمه إذا اضطر لذلك. لكن، كم مرة يستطيع استخدامه قبل أن يتغلبوا عليه؟

توقفت الأصوات عندما وصل السجناء إلى باب الغرفة. قال لوغمان: «ليسوا هنا، تابعوا البحث».

ما إن رحلوا حتى خرج كاو من القفص مجدداً.

عادوا إلى الباب، ونظروا إلى الخارج. كان السجناء يمشون في الرواق، لكن أحدهم استدار في اللحظة الخاطئة، فاستقرت عيناه على كاو.

قال مبتسماً ابتسامة عريضة: «ها هم!».

ركضت سيلينا وليديا في الرواق خلف كاو، ووصلوا إلى الردهة، لكن الطريق الوحيد المتوافر كان يلزمهم بنزول السلالم. وصلوا مجدداً، منقطعي الأنفاس، إلى المساحة الرئيسة في الشقة. لقد اختفى السيد سيلك مع والدَي ليديا.

صرخت ليديا بتعاسة: «أين هم؟».

تجاهلها كاو، ونظر إلى زجاج النافذة الذي تحطم نتيجة

أقرأناكموه

رصاصات السيد سيلك، ثم توجّه إلى منضدة القهوة، وحمل تمثالاً برونزياً صغيراً على شكل ذبابة، بحجم رأسه تقريباً. رفعه فوق كتفه، ثم أغمض عينيه واستدعى غربانه في الليل. لم يكن واثقاً من العدد الذي يحتاج إليه. إذا لم تسمعه الغربان، فهذا يعني أنها ماتت كلها.

امتلأ الهواء بطاقة الغربان. لقد سمعته، لكنها بعيدة.

أخذ كاو نفساً عميقاً، ثم رمى التمثال على النافذة. تحطم الزجاج إلى الخارج، وتناثرت الشظايا في الشقة، وهبّت رياح قوية داخل الشقة.

دخل السجناء مسرعين من الباب الموجود في أعلى السلالم، وانتشروا في الردهة. وكانوا يحملون السكاكين والمسدسات والقضبان المعدنية وعصيّ البايسبول.

قال لوغمان: «لا تطلقوا النار. لقد علقوا هنا».

أدخل كاو منقار الغراب في حزامه، وأمسك بيدَي سيلينا وليديا.

قال لهما: «ثقا بي».

قالت سيلينا: «ماذا ستفعل؟».

شدّهما كاو معه، وركض نحو الفجوة السوداء حيث كانت النافذة. حاولت سيلينا إرجاع نفسها إلى الخلف، لكنه لم يسمح لها بذلك. صرخت: «لا، لا، لا».

أما ليديا فتشبثت بيده بقوة أكبر وهي تقول: «أتمنى أن تكون مدركاً لما...»

قفز كاو في السماء، على ارتفاع سبعين طابقاً، ساحباً فتاتين خلفه. بددت الرياح كلمات ليديا، فيما طوقهم الليل البارد. فتشت عينا كاو في السماء بحثاً عن منقذ، وشعر بالغثيان فيما هبطوا بسرعة الصاروخ.

لم يرَ طائراً واحداً.

أقرأناكموه

الفصل 13

تخبط جسم كاو وتلوّى، فيما رأى العالم أمامه يدور، مع زجاج وامض، ومن ثم أنوار المدينة الساطعة، وبعدها السماء المليئة بالنجوم. سيطر الخوف عليه. كان مدركاً أن ليديا وسيلينا تقعان معه، لكنه لم يعد ممسكاً بيديهما.

لقد متنا. لقد قتلتهما...

ثم ارتطم شيء ما بجسمه، وأحاطت به كميات من الريش والمناقير، وعيون ثابتة وغير خائفة.

قال: «لا! أنقذي صديقتيّ عوضاً عني!».

تباطأ هبوطه، ولكن ليس بسرعة كافية. كان يقع ووجهه نحو الأسفل، فيما تم الإمساك بساقيه من الخلف، وابتعدت سترته عن جسمه فيما غطت الغربان ظهره. أسرعت الأرض نحوه من دون توقف، فحاول تغطية وجهه، ولكنه لم يستطع تحريك ذراعيه. أمسكت الغربان بذراعيه أيضاً، وهبط على شكل صليب. دخل الهواء عينيه ولفح وجنتيه.

أحسّ بالطيور تحاول رفع نفسها، فحاول رفع نفسه معها؛ إذ تغلغل يأسه في أجنحتها. أغمض عينيه.

وجاءت فكرته الأخيرة للسيطرة على كل شيء آخر. ارفعي!

انقلب العالم مجدداً، وتحوّل هبوط كاو إلى مسار أفقي تقريباً،

أقرأناكموه

مقاوم للجاذبية. فتح كاو عينيه فرأى مساحات الأسفلت تتحرك بسرعة تحته.

نظر إلى الأعلى فشاهد ليديا وسيلينا عالقتين في قبضة الغربان أيضاً.

بدت ليديا وكأنها على وشك التقيؤ، وقالت: «ماذا عن ماما وبابا؟ أريد العودة إلى هناك!».

تحركت الغربان جميعاً مع بعضها في حركة تصاعدية. فاستدار كاو نحو الشقة، ورأى السجناء واقفين عند النافذة المفتوحة، ممسكين بأسلحتهم. قال: «عددهم كبير».

صرخت ليديا: «لا يمكننا تركهما هكذا».

قال كاو: «لن نفعل. لكننا نحتاج إلى خطة».

أمر كاو غربانه بالتوجه نحو الشمال الشرقي. تركوا المنطقة المالية وراءهم، وصعدوا نحو الغيوم. تناوبت أضواء المدينة تحتهم على الظهور والاختفاء. لا تزال هناك فرصة لإيقاف أم الذبابات.

سألته سيلينا في الهواء: «إلى أين سنذهب؟». وتوردت وجنتاها، وبدا العزم واضحاً في عينيها.

قال كاو: «إلى الحديقة العامة». وأمِل ألا يكون الوقت قد فات.

بعيداً عن وسط المدينة، أصبحت الأضواء أقل ازدحاماً. هنا، في الضواحي، نامت بلاكستون.

حلّقت الغربان من دون كلل، وشقت أجنحتها الهواء بتناغم مثالي. استسلمت ليديا لقبضة الغربان، لكن كاو لاحظ من تعابيرها التي تدل على الخوف أن عقلها يدور في ألف اتجاه. أراد مواساتها والقول لها إن والديها سيكونان بخير، لكنه عرف أن كلماته ستبدو غير

مقنعة. والمشكلة هي أنه هو نفسه لم يصدق الأمر.

عندما اقتربوا من الحديقة العامة، لاحظ كاو أن البوابات مفتوحة؛ علامة سيئة. أمر غربانه بالبقاء على مسافة من المنصة فيما حملتهم فوق محيط الحديقة العامة. رأى كاو الأشجار والبحيرات الصغيرة تحتهم. وعلى مسافة مئتَي متر تقريباً، رأى أضواء ساطعة حول المنصة، مع عدد من سيارات الشرطة، فخفق قلبه بقوة.

قالت ليديا: «لقد هزمتنا».

فأجابها كاو: «علينا الاقتراب أكثر. انتظري».

أطاعت الغربان أفكاره، ونزلت نحو الأرض بسرعة. شهقت سيلينا فيما حلق سرب الغربان فوق الأرض، ومرّ بين الأشجار على علو منخفض جداً؛ حيث لامست قدما كاو العشب تقريباً. إنه يثق في طيوره، لكن ليديا رفعت ساقيها وجعلت ركبتيها على صدرها.

أمالت الغربان أجنحتها، فانحنت ثم ارتفعت نحو أغصان إحدى أطول الأشجار في الحديقة العامة؛ واحدة يعرفها كاو جيداً. لقد رأى عشه المهجور، ومجموعة قطعه الخشبية التي تفرّقت، والغطاء المشمّع الذي تمزق وتدلى على الجانب. حامت الطيور هنيهة على علو بضع أقدام فوق العش، ثم أنزلت فيه الفتاتين. تدحرجت ليديا، ثم ثبّتت نفسها بحافة العشّ المشيد فوق الشجرة. أما سيلينا فهبطت ببراعة أكبر، وقد حنت ركبتيها.

غربان كاو أنزلته برفق، ثم طارت بعيداً إلى الأغصان. ركّز كاو على غراب واحد؛ ذكر صغير ذي منقار رفيع، وناداه.

قال الغراب: أنا سيدي؟

قال كاو: «أريدك أن تعرف ما يجري عند المنصة. ابقَ مختبئاً إذا أمكن».

telegram @ktabpdf

أقرأناكموه

قال الغراب: طبعـاً. ونفخ صدره ثم طار بعيداً. راقب كاو شـكله الأسود الصغير وهو يحلق بعيداً إلى أن اختفى في الليل.

سألت سيلينا فيما كانت تنظر حولها: «ما هذا المكان؟».

فأجاب كاو: «إنه المكان الـذي ترعرت فيه». وأحسّ بشـيء من الفخر.

قالت ليديا: «لا يمكننا الجلوس هكذا. والداي في ورطة».

فقالت لها سـيلينا: «لن تقتلهما فعلاً». فيما تمـددت للمس ذراع ليديا.

غير أن ليديا أبعدت يدها بقوة وقالت: «وماذا تعرفين؟! استيقظي من فضلك!».

فسألت سيلينا: «ماذا يفترض بهذا أن يعني؟».

قالت ليديا: «هذا يعني أن أمك مريضة نفسـياً. وكيف نعرف أنك لست مثلها؟».

قال كاو: «ليس الوقت مناسباً لهذا الآن».

سـألت ليديا: «لماذا؟». ووجّهت إصبعها نحو سيلينا قائلة: «كان يجدر بنا تركك هناك. أقسـم بالله إنهـا إذا ألحقـت الأذى بأمي وأبي، فسوف...»

فقالت سيلينا مقاطعة: «ماذا؟». ونهضت.

صمتت ليديا، وحدقت إليها بغضب وقد اكتست وجنتاها باللون الأحمر الساطع.

عاد الغراب إلى حافة العش قائلاً: تـم نبش كل الأرض المحيطة بالمقعد، والشرطة تغادر الآن.

أحـسّ كاو أنه تحـوّل إلـى كتلة مـن الغضـب والإحبـاط. لكن، ما النفع مـن ذلك؟ فـإذا كانت الشـرطة تغـادر الآن، فهذا يعنـي أن أم

أقرأناكموه

الذبابات قد عثرت على حجر منتصف الليل.

سألت سيلينا: «لقد حصلت عليه، أليس كذلك؟».

أومأ كاو برأسه، غير أنه سمع صوت غراب آخر يقول: لماذا الوجوه الحزينة؟ وحطّ غلام في العش.

قال كاو: «غلام! أين كنت؟».

وصل سكريتش أيضاً، وجثم قرب ليديا. قال: هنا وهناك. من هذا؟ وسأل فيما وجّه منقاره نحو الغراب الصغير الذي ذهب لاستكشاف المنصة.

قال الغراب: أنا أساعد المعلّم فقط.

سأل كاو: «أين شيمر؟».

أجاب غلام: إنها تتسكع قليلاً. لقد تعبت كثيراً.

عبس كاو. «ماذا تقصد؟».

بدأ سكريتش يقفز بحماسة، وبدا غلام منزعجاً نوعاً ما.

سألت ليديا: «ماذا يقولان؟».

قال كاو: «هيّا! تكلّم!».

بدأ غلام بالكلام قائلاً: عندما رأيناكم عند السكة الحديدية، وأرادت خارقة الذباب معرفة مكان حجر منتصف الليل...

أضاف سكريتش: حسناً، خطرت لنا فكرة.

قال غلام: وهي أننا نستطيع ربما تبديل مكان الحجر.

قال كاو: «هل فعلتِ ذلك؟!». فيما كافح رغبته في الابتسام.

حلّقت شيمر فوق رأسه، وخفقت بجناحيها بقوة، فيما لمع شيء بين مخالبها. قالت: لماذا يجدر بي حمل كل هذا الوزن الثقيل وحدي؟ هيا، التقطه!

أقرأناكموه

وأفلتت حجر منتصف الليل، فوقع في العش، وطقطق على الألواح الخشبية.

حطّت شيمر بالقرب من الحجر باسطة جناحيها. أوف! لقد انتهيت!

أخرج كاو المنديل من جيبه ورفع الحجر، وشعر بالارتياح لمجرد إمساكه به. لم يفشل. لكن الأمر لم يقتصر على ذلك. أحس بشيء غريب.

قال: «أريد أن أعانقكِ».

فقال سكريتش: كانت فكرة شيمر. فيما أشار بجناحه إليها.

فتمتم غلام: اخرس.

عندها، قالت ليديا: «ماذا نفعل الآن؟ هل نعرض عليها مقايضة؟».

أحكم كاو قبضته على الحجر وقال: «لا يمكننا فعل ذلك».

سألت ليديا: «لماذا؟ فهو كل ما تريده... هذا الحجر التافه».

نظر كاو إلى صديقته وقال: «بالضبط. تذكّري ما قالته أمك. إنه كل ما تريده، وحياتنا لا تعني شيئاً بالنسبة إليها».

قالت سيلينا: «كاو محق».

فحدّقت إليها ليديا بغضب وقالت: «لم يسألك أحد عن رأيك».

قال كاو: «ليديا، لا يمكننا المجازفة بذلك». ورأى وجهها يرتعش قليلاً، فعرف أنها مضطربة، وسألها: «فكري في الأمر، ما الذي تغيّر فعلاً؟ إنها تملك ما نريده، ونحن نملك ما تريده».

قالت سيلينا: «إنها ورطة».

أبعدت ليديا عينيها عن سيلينا للنظر مجدداً إلى كاو وقالت:

أقرأناكموه

«أنت محق ربما. لكـن، لا يمكننا الجلوس هنا على الشـجرة من دون فعل أي شيء».

رفع كاو الحجر أمام وجهه، ونظر إليه مجدداً بحثاً عن أي تلميح على سطحه، لكنه لم يجد شيئاً.

قال: «حـان الوقت لمعرفة حقيقـة هذا؛ ما هو فعـلاً. لا مزيد من الأسرار بعد اليوم».

قالت ليديا: «لا تعرف أمي أي شيء عنه».

وقالت سيلينا: «والشخص الوحيد الذي يعرف عنه هو أمي».

قال كاو: «ثمة شخص آخر؛ فيليكس كوايكر».

بدت ليديا غير مقتنعة. «هل تظن أنه يستطيع المساعدة فعلاً؟».

قال سكريتش: ههه. لم يسعه الهروب بسرعة كافية حين رآه آخر مرة.

قال كاو: «علينـا المحاولة. إلا أنـه لن يكون متواجـداً في منزله؛ فقد كان مذعوراً لأن الشرطة تبحث عنه».

قالت ليديا: «هذا طبيعي. بالنسـبة إلى رجل يفتـرض به أن يكون شجاعاً، إنه لا يحب تعريض نفسه للأذى، أليس كذلك؟».

قال غلام: ماذا عن كل كتبه؟ لا شـك في أنه توجد معلومات في أحدها.

قال كاو: «هذا تفكير جيد». وذهب إلى حافة العش. كان جسـمه يؤلمه، لكن النـار ما زالت تحترق في مكان ما داخلـه. مدّد ذراعيه إلى الخارج، واستدعى غربانه مجدداً.

أقرأناكموه

الفصل 14

طارت الغربان بسرعة وعلى علو منخفض. يقع منزل كوايكر على مسافة بعيدة جداً، لكن كاو يذكر أنه مليء بالتذكارات والكتب كما لو أنه متحف. غلام محق، لا بدّ من وجود تلميح هناك في مكان ما.

عندما اقتربوا من غورت هاوس، تبددت آمال كاو؛ فالبوابة لا تزال مفتوحة، فيما الشريط الذي وضعته الشرطة لا يزال ممتداً حول المنزل.

أنزلته الغربان في الممشى، فانحنى ومرّ تحت الشريط ببطء، وزحف نحو المنزل. كل الأنوار مطفأة.

قال سكريتش فيما هبط على الحصى: يبدو المكان مهجوراً.

الغراب محق. إن كانت الشرطة قد عادت إلى هذا المكان، فلا بدّ أنها غادرته قبل وقت طويل. قال كاو: «فلندخل بحذر».

تحركت الغربان بصمت في الحديقة المزخرفة.

فقال لها كاو: «انتبهي جيداً إلى الذبابات».

غير أن شيمر قالت وقد أصبحت في المقدمة: لا مجال، سأدخل معك.

قال سكريتش: لن تدخلي من دوني، وكافح للتحرك بسرعة أكبر.

أمّا غلام فقال: حسناً، أنا سأنفذ ما طلب مني. واستقرّ على أعلى أجمة.

أقرأناكموه

كانت الشرطة قد وضعت المزيد من الأشرطة أمام الباب الرئيس الذي كان معلقاً بمفصلة واحدة فقط، بعد أن حطمته السلطات الرسمية. تذكّر كاو فظاظة رجال الشرطة لدى اعتقالهم كوايكر. في ذلك الوقت، اعتقد أنهم يتصرفون بفظاظة كبيرة، لكنه يدرك الآن أن المسألة كانت شخصية؛ أوامر من الأعلى.

قالت سيلينا: «هل هذا الرجل مجرم؟».

قال كاو: «إنه رجل أكاديمي. يجمع كوايكر التذكارات الخاصة بخارقي الحيوانات، ولا بد أن أمك قد ظنت أنه يستطيع مساعدتها في العثور على الحجر، أو على الأقل، عليّ».

أزاح الشريط جانباً ونادى: «فيليكس؟».

تردد صوته في الردهة الباردة، غير أن أحداً لم يجب. ليس هذا الأمر مفاجئاً.

في الداخل، طقطقت الألواح الخشبية قليلاً تحت أقدامهم. ثمة سلالم من خشب الماهوغاني ترتفع إلى الطابق الثاني. وتلطخت السجادة القديمة بآثار أقدام وسخة. إلى اليسار، رأى كاو مكتب كوايكر. كانت أدراج طاولة المكتب مفتوحة، والأوراق مبعثرة على الأرض، فيما تناثر الرماد والفحم الأسود على السجادة الموضوعة أمام الموقد، وتحطّم مصباح على الأرض. كما مزّقت الشرطة أيضاً الصور المعلقة على الجدران.

أرشد كاو الفتاتين إلى مجموعة ضيقة من السلالم المؤدية إلى المطبخ. وفيما نزل، سيطر عليه شعور غريب بالخسارة. ففي هذا المكان، أخبره كوايكر عن والديه واسمه الحقيقي: جاك كارميكايل. كانت تلك هي المرة الأولى التي يشعر فيها بحسّ الانتماء، وبرابط بالمدينة الموجودة حوله.

أقرأناكموه

على الأقل، إنه يدين بذلك إلى الرجل العجوز.

كان المطبخ فارغاً أيضاً، ولكن وُضِع على الطاولة طبق من التفاح المفروم، وما كان ربما جبناً وخبزاً تم تناول محتواه بصورة جزئية، وقد ظهرت طبقة من العفن على سطحه. أما إبريق الشاي فكان على الأرض.

قالت ليديا: «يبدو أنه لم يعد إلى هنا مطلقاً».

ألقى كاو نظرة سريعة حوله وقال: «يبدو أنه خاف فعلاً. فلنلقِ نظرة على بقية المكان».

قالت ليديا: «يبدو المكتب واعداً».

قال كاو: «حسناً، فلنبدأ من هناك».

قالت سيلينا: «سأصعد إلى الأعلى».

فقطّبت ليديا جبينها.

عندها، قالت سيلينا: «هل تظنين فعلاً أنني سأهرب؟».

فيما قال كاو: «استدعينا إذا وجدت أي شيء». وصعدت سيلينا السلالم.

توجه كاو وليديا إلى المكتب. يبدو جلياً أن رجال الشرطة فتشوا المكان بشكل دقيق، لكنْ ثمة احتمال بأنهم فوّتوا شيئاً ما. بدآ يفتشان وسط الفوضى المبعثرة. كان هناك الكثير من المستندات المكتوبة بخط اليد، والتي لا يمكن فهمها أبداً، حتى بالنسبة إلى ليديا.

قالت: «هذا ميؤوس منه». ورمت ورقة جانباً.

فقال كاو: «تابعي البحث». فيما تحقّق من الأدراج.

لكن، مع مرور الدقائق، ازداد يأسه. ما هو احتمال عثورهم على أي شيء؟

قال: «سأصعد إلى الأعلى».

أقرأناكموه

نفخت ليديا وجنتيها وقالت: «حسناً». ثم نظرت إلى ورقة وتابعت: «لست واثقة من أن هذا مكتوب بالإنكليزية».

صعد كاو الدرج العريض فيما حلّقت شيمر أمامه. لاحظ أنه تم إنزال المزيد من الصور، وتمزيق أقمشتها، وكسر أطرها. أما الأماكن التي اشتملت على علب عرض مليئة بأشياء غريبة- مثلما يذكر كاو- فقد امتلأت الآن بزجاج محطم ينسحق تحت الأقدام. لقد اختفت المجموعة كلها، ومعها سنوات من العمل. لو رأى كوايكر ما فعلوه، لحزن كثيراً.

صادف سيلينا في ما يفترض أن يكون غرفة نوم كوايكر، وكانت الأغراض فيها مبعثرة؛ تماماً مثل بقية الغرف. كانت سيلينا جالسة على إطار السرير، وهي تقلّب مجموعة من الأوراق الموضوعة فوق منضدة. تمّت بعثرة محتويات خزانة الأدراج، كما تمّ رمي الملابس على الأرض، وثمة خزانة ملابس انقلبت على جانبها، وتم تمزيق الفراش في وسطه. تدلّى من السقف مصباح بسيط، وتم رفع السجادة في بعض الأماكن، مما كشف عن ألواح أرضية رطبة.

سألها: «هل وجدت أي شيء؟».

هزّت رأسها، ولاحظ كاو فجأة أنها تحاول منع نفسها من البكاء.

قال: «سيلينا؟».

قالت شيمر: لماذا هي حزينة هكذا؟

فأشار كاو إلى الأسفل وتمتم: «هلّا تمنحينني بعض الخصوصية».

وفيما حلّقت شيمر بعيداً، دخل كاو الغرفة، وجلس قربها على حافة السرير. رأى أن تلك الأوراق مجرد فواتير قديمة.

قالت بهدوء: «أفترض أنني عرفت ذلك دوماً... ليس كونها

أقرأناكموه

خارقة، وإنما كونها... غير لطيفة».

«أتعنين أمك؟».

أطلقت سيلينا ضحكة عالية وقالت: «ههه! أم! إنها تحب تلك الذبابات أكثر مني».

وضع كاو يده على كتفها. أراد مواساتها، لكنه لم يعرف كيف.

قال: «لقد خدعت الكثير من الأشخاص».

مسحت سيلينا أنفها وقالت: «لم نكن يوماً قريبتين من بعضنا. وضعتني في مدرسة داخلية حين كنت في الخامسة من عمري، وكانت تعمل دائماً؛ حتى في العطلات. كنت أبقى مع أعمامي وعماتي، أو ألعب وحدي. وكلما قالت إن لديها مهمةً لي، كنت أسارع إلى تنفيذها. أعتقد أنني أردت منها أن تلاحظ وجودي».

وقف كاو هناك، ووضع ذراعه على ظهرها قائلاً: «أفهم شعورك. فأنا لم أعرف والديَّ أيضاً. ولطالما ظننتُ أنهما قد تخليا عني، فيما كان الأمر في الواقع مختلفاً تماماً».

قالت سيلينا: «كان والداك شخصين طيبين، أما أمي فشريرة».

قال كاو: «لكنك لست شريرة». وتمدد للمس يدها، ثم منع نفسه.

نظرت إليه سيلينا وسألته: «هل تقصد ذلك فعلاً؟ بعد كل ما حصل!».

تخيّل كاو ما ستقوله فيلما ستريكهام. إنها ابنة أم الذبابات، ولا يمكنها أن تكون صديقتك.

لكنه ليس خارق الثعالب.

قال: «نعم».

سعلت ليديا عند الباب، فابتعد كاو وسيلينا عن بعضهما. قالت:

أقرأناكموه

«عذراً على المقاطعة، أياً يكن الأمر».

هزّ كاو كتفه قائلاً: «لا بأس. هل من أخبار جيدة؟».

هزّت ليديا رأسها، وأشارت إلى ما وراء كتفها قائلة: «المكتبة موجودة هناك. يستحسن أن نلقي نظرة».

لحقا بها عبر منبسط الدرج. في الداخل، كان قد تم نزع رفوف الكتب، فتوزّعت على الأرض كدسات من الكتب ذات الأغلفة الجلدية بشكل عشوائي. قالت ليديا: «قد نبقى هنا لوقت طويل».

كان كاو على وشك الانحناء للإمساك بكتاب عندما سمعوا صوت مواء ناعماً جعلهم جميعاً يقفزون في أماكنهم. ورأوا قطة رمادية واحدة ظهرت خلفهم عند الباب.

قالت سيلينا: «مرحباً أيتها القطة».

حدّقت القطة إليهم هنيهة، ولمعت عيناها الزرقاوان ذكاء، ثم تقدمت ببطء نحوهم، فطارت شيمر عن الأرض، وخفقت بجناحيها بقوة.

تجاهلت القطة الغربان، ومررت نفسها بين ساقي سيلينا التي ربّتت على أعلى رأسها. سألت سيلينا: «إنها تائهة، ألا تظن ذلك؟».

قال كاو: «لا». وقطّب جبينه بعدما تعرّف إلى القطة. إنها القطة التي تم رميها عن غطاء محرك السيارة من قبل الشرطي. «هذا قطّ يخص فيليكس كوايكر، واسمه فريدي».

كانت سيلينا جالسة القرفصاء، وتلعب بطوق الهرّ. «ليس هذا هو الاسم المكتوب هنا». وطرفت بعينيها وتابعت: «فقد كتب على طوقه إن اسمه «وايث»».

قالت ليديا: «هل أنت واثقة؟».

أقرأناكموه

عندها، وجّهت إليها سيلينا نظرة صارمة وقالت: «نعم، أستطيع القراءة».

قفز القط على إحدى خزائن الكتب الواقعة على الأرض، واقترب من كاو، وراقبه عن كثب بعينيه الزرقاوين.

قال كاو: «ما رأيك سكريتش؟ إنه القط الذي كان في الخارج، أليس كذلك؟».

قال سكريتش: هكذا يبدو بالنسبة إليّ. وأبقى مسافة بينه وبين القطّ.

قالت ليديا: «أتساءل عن سبب بقائه هنا. فقد ظننت أن كوايكر أخذ كل قططه معه».

قال كاو: «فريدي؟». فانتصب القطّ أمامه، وقوّس ظهره. قال كاو: «قد تكون هذه طريقةَ كوايكر في تقديم المساعدة».

فقالت شيمر: ستكون مساعدة رائعة حسبما أعتقد.

قال كاو: «لا، أقصد رسالة من نوع ما؛ إذا كان خائفاً جداً من مساعدتنا وجهاً لوجه».

قال غلام: كم أنت متفائل!

نظر كاو إلى الطوق المعدني. لا شك في أن أحدهم قد حذف بعض الكتابة الموجودة على إحدى جهتيه. وعلى الجهة الأخرى، تم حفر كلمة «وايث» بطريقة وعرة تقريباً.

قال كاو: «يبدو أنه تم إنجاز ذلك على عجل». وحدّق إلى الكلمة وهو واثق من أنه قد رآها سابقاً. ولكنْ أين؟

قال سكريتش: لم أسمع بكلمة وايث مطلقاً.

فهسهس القط، ووضع مخالبه على كمّ كاو.

أقرأناكموه

قال سكريتش: إنه يرغب ربما في بعض الطعام. فأنت تعرف كيف هي القطط؛ إنها وفية لأي شخص يطعمها، وليست مثل الغربان...

حاول كاو التركيز على الاسم في عقله. وفتّش في ذاكرته بحثاً عنه، وتخيّل كوايكر هنا أيضاً وهو يلحّ عليه قائلاً: «هيّا أيها الصغير. استخدم دماغك. الحقيقة أمامك...»

أحس كاو بابتسامة ترتسم على شفتيه؛ فقد تذكّر الآن من أين يعرف كلمة «وايث». لقد رآها؛ الأحرف المكتوبة بخط ملتوٍ، وفهم الأمر.

سأله سكريتش: لماذا تبتسم هكذا مثل الأحمق؟

ذكيّ، كم أنت ذكيّ يا كوايكر!

قال: «أعتقد أنني أعرف أين يمكننا معرفة المزيد عن الحجر».

الفصل 15

انبسطت سحب رمادية كبيرة في سماء الليل حاجبة النجوم. ورغم أن الغربان كانت تحملهم على ارتفاع منخفض لنقلهم إلى أطراف المدينة، إلّا أن الرياح بدأت تزداد قوة.

سأل سكريتش: هل ستكون هناك ديدان؟

أجاب كاو: «أتمنى ذلك. لكن، عليك أن تسيطر على نفسك. فإذا وجدنا بوتلايس، فلن يسرّ بك إذا أكلت كائناته».

قالت شيمر: لن يلاحظ اختفاء دودة واحدة أو اثنتين.

قال غلام: هذا إذا كان موجوداً حيث تظنه. ويبدو لي هذا الاحتمال ضئيلاً.

قال كاو: «لا، ليس كذلك».

لا تزال كلمات خارق الديدان حية في عقله. لا شك في أنه بات الآن أقرب إليها أكثر من أي وقت مضى.

بدت العبارة غريبة عندما قالها في ذلك الوقت، لكن كاو كان في حالة صدمة فلم ينتبه إلى معناها. إلا أنها عبارة منطقية.

أمه ماتت، وتم دفن جسدها في فناء دار العبادة في ضواحي المدينة؛ تماماً مثل إميلي، خارقة ديدان أم أربعة وأربعين. وهناك رأى كاو الاسم وايث.

وهل من مكان أقرب إلى أمه من المكان الذي ترتاح فيه؟

أقرأناكموه

نزلوا إلى المقابر؛ في الجهة الأخرى من دار العبادة. وحرصت الغربان التي حملت كاو على أن تلامس قدماه الأرض بنعومة قبل أن تفلته. وهبطت الفتاتان قربه أيضاً.

قالت ليديا وهي تبتسم ابتسامة عريضة: «بدأت أعتاد على هذا».

حامت الغربان حول دار العبادة، ثم هبطت معاً بطريقة متناسقة، وحطّت على شواهد القبور، فيما تمايلت الأشجار في المقبرة نتيجة هبوب الرياح.

سألته سيلينا: «هل أنت واثق من ذلك؟ أقصد، أي نوع من الحيوات الغريبة تعيش في مقبرة؟».

قالت ليديا: «أعتقد أنه لا داعي للكلام عن الغرابة. فالمكتب المفترض لأمك أشبه بمسلخ حقيقي».

لاحظ كاو الألم الذي بدا واضحاً على وجه سيلينا التي قالت بهدوء: «أعتقد أنني أستحق هذا».

فعبس في وجه ليديا التي اكتفت بهزّ كتفها. وحين عبس أكثر، تنهدت وقالت: «أنا آسفة. كانت هذه حقارة مني».

فأجابت سيلينا: «لا بأس. فلنجد هذا القبر. هيّا بنا».

مشى كاو بين القبور، ومرّ أمام القبر الذي يرقد فيه والداه. وبعد قبرين، بالقرب من الحائط المنخفض الممتد على حدود الأراضي التابعة لدار العبادة، كان هناك حجر مقلوب، ومغطى بطبقة من الأشنة وملطخ نتيجة مرور الزمن. وكان الاسم «هنري وايث» محفوراً في أعلاه.

قال كاو: «هذا هو. عرفت أنني كنت محقاً».

جاءت الفتاتان للوقوف خلفه.

كان من الصعب قراءة بقية الكلمات، ولذلك عمد كاو إلى كشط

أقرأناكموه

رقعة من العشب موجودة تحت الاسم. 1642-1734.

قالت سيلينا: «واو. هذا قديم جداً! لم أكن أعرف أن بلاكستون موجودة منذ ذلك الوقت».

كان هناك المزيد من الكلمات. ورغم تمكّن كاو من قراءة الأحرف، إلّا أنه لم يستطع فهم المعنى، وسأل: «ما معنى ذلك؟».

سألته سيلينا: «ماذا؟! ألا تستطيع القراءة؟».

تورّد كاو خجلاً وهو يجيب: « أنا أتعلم».

فصرخت ليديا: «وأين المشكلة إذا كان لا يستطيع؟! إذ لم يعلّمه والداه مطلقاً. هل فهمت؟».

قالت سيلينا: «أوه... حسناً. عفواً». وطرفت عينيها فيما قرأت: «كتب هنا: المدافن البراقة تحتوي على ديدان».

قال كاو: «ديدان! لا بدّ أنه المكان المعنيّ! لكن، ما الذي يعنيه ذلك؟».

قالت ليديا: «أعتقد أن المعنى هو أنه حتى لو امتلكت قبراً باهظ التكلفة، فلن تكون أفضل حالاً من الآخرين. فالجميع سيصبحون طعاماً للديدان بعد دفنهم».

قال كاو: «لكن، ليس خارق الديدان ربما».

قال سكريتش: إنه قبر عمره ثلاثمئة عام، وليس منزلاً. أم تراني أغفلت شيئاً؟

قال غلام: كالمعتاد.

عندها، نظر كاو إلى الحجر عن كثب، ولاحظ وجود ديدان منحوتة على سطحه وعلى حوافه، فركع على ركبتيه، ومرّر يديه حول حافة الحجر.

لا بد من وجود شيء ما؛ تلميح ما.

أقرأناكموه

سألته سيلينا فيما نظرت حولها بقلق: «هل أنت واثق من أن هذا ملائم؟ أقصد، إنني أحب القبور بقدر الفتاة الواقفة قربي، لكن...»

فقاطعتها ليديا قائلة: «دعيه يكمل عمله».

سُمِع صوت طقطقة، وتحركت إحدى الديدان الحجرية تحت أطراف أصابع كاو، وغاصت أكثر في الحجر، فانزاح الحجر كله قليلاً.

عندها، سحب كاو يديه قائلاً: «ماذا كنت تقول يا سكريتش؟».

قالت سيلينا: «إنه باب!». فأومأ كاو برأسه، ثم وقف ووضع أصابعه في الفجوة الصغيرة التي ظهرت بين الحجر والأرض. ضغط قليلاً، فارتفع الحجر على نوع من المفصّلات، وتناثر بعض التراب والعشب في الفتحة السوداء الموجودة تحت الحجر.

تمتم غلام فيما طار وجثم على الحافة: لا، ليس تحت الأرض مجدداً.

جعل كاو الحجر ينتصب عمودياً، فرأى مقبضاً في الجهة السفلية يتيح للمرء تحريك الحجر وفتح الباب. وكانت هناك بعض الدرجات الحجرية التي تفضي إلى الداخل، إلى باطن الأرض.

قال لليديا وسيلينا: «عليكما البقاء هنا».

فأجابتا في الوقت نفسه: «لا مجال!». ثم عبستا في وجه بعضهما بعضاً.

قال كاو: «لا بأس. لكن، عليكما توخي الحذر والبقاء خلفي».

نظرت شيمر من فوق الحافة وارتعدت، فقال لها كاو: «لست مضطرة إلى النزول أنت أيضاً».

رفعت منقارها إلى الأعلى وقالت بابتهاج: لن أفوّت هذا مهما كلّف الأمر.

فقال سكريتش، وقد جثم قربها: لا تقلقي، سأنتبه إليك.

أقرأناكموه

وقال غلام من فوق: يا لك من شهم!

دخل كاو القبر المفتوح، وتوجب عليه الانحناء للمرور تحت الحافة. كانت الجدران من التراب المرصوص جيداً.

تمتم لنفسه: «أتمنى أن تكون هنا يا بوتلايس».

نزل تسع عشرة درجة إلى أن وصل إلى ممر. سارت سيلينا خلفه، وبعدها ليديا والغربان. كان الهواء عفناً وبارداً، والضوء المتسلل من الفتحة في الأعلى بالكاد بدد العتمة. فتشت ليديا في جيبها وأخرجت الهاتف الخلوي.

قالت سيلينا: «أشك في أن يكون هناك إرسال».

حدّقت إليها ليديا بازدراء، وضغطت على زرّ، فسطع نور قوي من الجهة الخلفية للهاتف. حرّكته لإنارة النفق، فلمعت أمامها عيون الغربان.

شهق كاو. كان علو النفق خمس أقدام تقريباً، وينحدر نحو الأسفل. وتم تعزيز الجدران والسقف بقطع خشبية، فتساءل كاو عمّا إذا كان هذا المكان قديماً بِقِدَم القبر الموجود في الأعلى.

قال: «اتبعاني». فيما غاص أكثر في أعماق الأرض.

وصل نور المصباح إلى مسافة عشرين قدماً تقريباً فقط، وأجهد كاو عينيه لرؤية ما هو موجود وراء الضوء. فكّر في سحب منقار الغراب، لكنْ إذا صادفوا بوتلايس، فمن المستحسن أن يكونوا غير مسلحين. بين الحين والآخر، خرج رأس وردي صغير من الجدران، قبل أن يعود للانكفاء مجدداً. لحسن الحظ، سيطرت غربان كاو على نفسها.

قال لنفسه: يملك بوتلايس جواسيس في كل مكان.

كشف الضوء عن وجود باب في الأمام، وتوقف كاو قربه.

أقرأناكموه

كان مصنوعاً من الخشب كثير العقد، فيما تمّ تثبيت الألواح الخشبية ببعضها بمسامير حديدية. لم يكن كاو خبيراً في هذه الأمور، لكن بدا وكأن الباب عمره مئات السنين.

دفع الباب لفتحه، وشهق عالياً عند رؤيته المشهد أمامه.

كان ثمة كهف كبير يمتد أمامهم، له سقف من الحجر غير المستوي، وفيه بحيرة ساكنة في الوسط، بدت وكأنها من الزجاج المصقول. كما تم نحت مئات الفجوات في الجدران، وأضيئت شمعة في كل واحدة منها، فانعكس نور اللهب على سطح الماء على شكل ضوء برتقالي.

وقفت ليديا خلف كاو، ووضعت هاتفها في جيبها وقالت: «هذا المكان مذهل!». أما سيلينا ففغرت فمها، ورفعت عنقها.

صرخ سكريتش: دعوني أرى! دعوني أرى! فيما قفز بين أقدامهم.

تقدم كاو ببطء إلى الأمام. ثمة قبور حجرية حول المحيط الخارجي للبركة، وكان بعضها كبيراً جداً، فيما بعضها الآخر عبارة عن قبور بسيطة. إنه مدفن آخر، مماثل لذلك الموجود فوق الأرض. ولكن من دون أن تتلف رياح بلاكستون وأمطارها أسطح هذه القبور؛ فبقيت محتفظة بنقائها الأصلي، وتلألأ الرخام تحت ضوء الشموع. وعلى سطح أحد القبور، كان ثمة تمثال لصقر جاثم شبيه جداً بالصقر الحيّ؛ حيث بدا وكأنه مستعد لبسط جناحيه. كما استقرّ تمثال أسد بفخر فوق قبر آخر، وتمثال دب وحشي ذو أنياب ناتئة فوق آخر.

ثمة شيء تحرك قرب قدم كاو. نظر سريعاً، فرأى دودة بحجم الأفعى الصغيرة تلف نفسها حول كاحله، فيما لحمها الوردي مغطى بفتات الأوساخ. صرخ عالياً وتعثر، فخرجت دودة أخرى من الأرض،

أقرأناكموه

ومن ثم أخرى. وراحت الديدان تتلوى بتهور.

ثمة شيء آخر خرج إلى يساره، وصرخت سيلينا عالياً. وحين استدار كاو، رأى شكلاً داكناً قرب الحائط.

هسهس خارق الديدان: «ماذا تريد؟». كان لا يزال يرتدي ثياباً سوداء؛ تماماً مثلما كان ليلة رآه كاو للمرة الأولى.

أحسّ كاو بالغربان تبسط أجنحتها، فأمرها ذهنياً. ليس بعد.

قال: «أردت رؤيتك...»

طرف خارق الديدان عينيه اللتين لم تعودا محجوبتين بالنظارة مثلما كانتا خارج المنزل القديم. وأدرك كاو أنهما عينان شاحبتان من دون قزحيتين أو بؤبؤين.

لا بد أنه أعمى.

قال كاو: «هذا أنا، ابن إليزابيت كارميكايل».

مدّد خارق الديدان جسمه ببطء، وشمّ الهواء ثم قال: «أعرف من تكون. لكن، من هما؟». وأدار رأسه نحو ليديا وسيلينا. «إنهما عدوتان جاءتا لإخراجي من جحري، أليس كذلك؟».

فأجاب كاو: «إنهما صديقتاي».

قالت ليديا: «لكنها ليست صديقتي».

أضاف كاو: «ليستا مصدر تهديد». وكشّر في وجه ليديا للقول لها إن الوقت ليس مناسباً لهذا الآن!

اقترب خارق الديدان منهم أكثر قليلاً، وأبقى يديه على الجدار، ولاحظ كاو أن أظفاره حادة ومليئة بالأوساخ. اختفت الديدان التي كانت عند قدمَي كاو في باطن الأرض، فيما قال خارق الديدان: «لست خائفاً. ممّ أخاف؟ عليكم أنتم أن تخافوا أيها الأولاد».

قال كاو: «سيد وايث... أم يجدر بي مناداتك بوتلايس؟».

أقرأناكموه

قال خارق الديدان: «نادني كما تشاء يا خارق الغربان؛ فقد حظيت بأسماء أكثر مما أستطيع تذكره».

سأل كاو: «إنها قبور الخارقين، أليست كذلك؟».

أومأ بوتلايس برأسه وأجاب: «منذ تأسيس المدينة، كنت المسؤول عن هذا المكان. فأي شخص يصلح لمراقبة الموتى أكثر ممن لا يخاف من الموت أبداً؟».

قالت سيلينا: «انتظر. إذاً، أنت لا تموت!».

قال بوتلايس: «لا. وصدقيني، لقد جرّبت. ما من ماء استطاع إغراقي، وما من انهيار استطاع كسر جسدي، وما من سموم أو أسلحة استطاعت إهلاكي مثلما أريد».

قالت شيمر: لن نصل إلى أي مكان. يبدو أن وايث مجنون.

فقال كاو: «أريد معرفة المزيد عن حجر منتصف الليل».

«وكيف يفترض بي أن أعرف عن ذلك يا خارق الغربان؟!».

تفاجأ كاو بالنبرة الفظة التي كلمه بها، فقال: «لأنك مَنْ أعطاني إياه».

فقال بوتلايس: «كنت أحرسه فقط؛ فأمك أعطتني إياه».

وسألته سيلينا: «ألا تملك أية فكرة عما يفعله؟».

قال بوتلايس: «كنت أعرف في ما مضى ربما، لكنني اخترت عدم التذكر. فهناك عقل واحد فقط قادر على تحمل هذا الكمّ من الألم؛ الكثير من الوفيات، وكل واحدة محتمة مثل غروب الشمس. وحدها الديدان تذكر كل شيء».

سألت ليديا: «هل تملك الديدان ذاكرة؟».

استدار بوتلايس نحوها، فتراجعت ليديا إلى الخلف نحو سيلينا التي دفعتها بعيداً عنها. وجّه خارق الديدان إصبعه نحوهما وقال:

أقرأناكموه

«الديدان هي الذكريات أيتها الفتاة الحمقاء».

فسألت شيمر: هل يظن أحد أنه يقول أموراً منطقية؟

قال سكريتش: أوافقك الرأي.

قال كاو: «حسناً، هل أستطيع... التكلم معها؟ أقصد الديدان».

تمتم غلام: لا أصدق أنك قلت هذا للتو!

صرخ بوتلايس: «ولمَ يجدر بها التكلم معك؟ فالغربان ليست صديقة للديدان مثلما تعلم».

قال سكريتش: هذه مضيعة للوقت. الديدان جيدة لشيء واحد فقط؛ العشاء.

لكن كاو لم يكن مستعداً للاستسلام وقال: «جئت إلى هنا لأنها فرصتي الوحيدة. لا بدّ أن أمي قد وثقت فيك لسبب ما. تريد أم الذبابات حجر منتصف الليل، وأريد أن أعرف السبب».

قهقه بوتلايس وأجاب: «خارقة الذباب! لا داعي للقلق بشأنها، أنا واثق من ذلك. فسلالة الذباب ناقلة للقذارة، وهي الأكثر سوءاً».

قالت ليديا: «ليس هذا صحيحاً؛ فهي تحاول الاستيلاء على المدينة».

قال بوتلايس: «كم تتغير الأمور مع مرور الوقت! حسناً، أفترض أنني هنا في أمان».

حاول كاو عدم الكشف عن نفاد صبره وقال: «أرجوك، لا بدّ أن أمي قد وثقت فيك لسبب معين».

قال بوتلايس: «لا أذكر. قد تبدو مخاوفك عظيمة بالنسبة إليك، لكنها تافهة بالنسبة إليّ».

قالت ليديا بعنف: «أنت غير مجدٍ، أنت مجرد رجل عجوز أناني».

أقرأناكموه

قال بوتلايس: «عندما تعيشين بقدر ما عشت أنا، فلن تبقى لديك إلا أنانيتك».

وصل إحباط كاو إلى درجة الغليان. لا بد من وجود طريقة معينة لإقناعه. وفجأة، أدرك الحل. مدّ يده فوق كتفه وأخرج منقار الغراب، فشهقت سيلينا قائلة: «كاو، لا يمكنك فعل ذلك!».

قال خارق الديدان: «سيف!؟ لا تخيفني السيوف يا صغيري. لقد رأيت الكثير منها في حياتي».

قال كاو: «ليس هذا سيفاً عادياً لإيذاء الأشخاص؛ بل يستطيع فتح الباب المؤدي إلى البعد الآخر».

وفيما رفع السيف، اهتزت الأرض، وخرجت منها آلاف الديدان. كان هناك عدد كبير جداً منها، حيث امتلأ الهواء بصوت أجسامها. وقف بوتلايس، وثبّت عينيه على السيف كما لو أنه تسمّر، ثم قال: «هل ستسدي لي هذه الخدمة؟ هل ستنهي عذابي؟ ساعدني على مغادرة هذا العالم والانتقال إلى البعد الآخر».

أومأ كاو برأسه قائلاً: «سأساعدك على الانتقال، شرط أن تساعدني أولاً».

تلوّت أجسام الديدان، وانتصبت مثل المجسّات في الهواء.

أشار بوتلايس إلى الصخرة التي كان جالساً عليها وقال: «حسناً يا خارق الغربان. اجلس لنبحر في عالم الذاكرة».

تقدم كاو إلى الأمام، وجلس على الصخرة الباردة، وجعل منقار الغراب يتكئ عليها، وألقى نظرة سريعة على ليديا وسيلينا اللتين بدتا قلقتين. أمّا بوتلايس فجلس القرفصاء، وغرَف العديد من الديدان الصغيرة من الأرض، ووضعها قرب فمه وهمس لها شيئاً، ثم قال: «سوف تخبرك».

ثم أمسك بوتلايس إحدى الديدان بين الإبهام والسبابة ووضعها على جانب رأس كاو، فابتعد هذا الأخير قائلاً: «ماذا تفعل؟».

ابتسم بوتلايس ابتسامة عريضة، كاشفاً عن أسنانه الشبيهة بالخناجر وقال: «تتحدث الديدان بصوت منخفض يا صغيري. ولسماعها، عليك أن تكون مستعداً للإصغاء. والآن، ابق ساكناً؛ رغم أن هذا قد يبدو غريباً قليلاً».

صمت الجميع معاً؛ حتى الغربان. وأحسّ كاو بالدودة تدغدغ غضروف أنفه، ثم تدخل قناة أذنه. ارتعدت بشرته، لكنه نجح في البقاء جامداً. وكشف وجه ليديا عن اشمئزاز صرف.

حاول كاو تجاهل إحساسه فيما الدودة تتغلغل في رأسه لتصل إلى دماغه. ووضع بوتلايس دودة أخرى في أذنه. ابتلع كاو لعابه بصعوبة، فقد امتلأ رأسه بصوت شبيه بأصوات الموجات المتلاطمة، وأحسّ بتلوّي الدودة فيما هي تشق طريقها في قناة أذنه.

سألته ليديا بصوت بدا له بعيداً: «هل أنت بخير؟ أصبحت شاحباً جداً».

أصبح الكهف ضبابياً أمامه، وتضاعفت أشكال ليديا وسيلينا وبوتلايس، ثم أصبحت ثلاثية.

تمتم كاو: «ما الذي يحصل معي!؟».

فسمع صدى ضحكة بوتلايس وهو يقول: «دعهما تُريانك يا خارق الغربان. لا تقاوم».

فجأة، تحركت الصور مع بعضها على شكل دوّامة، وامتزجت أشكالها وألوانها. وأحسّ كاو بأنه يقع إلى الخلف، فيما التقطته يدان ناعمتان مثل الوسائد. أغمض كاو عينيه وسلّم نفسه للديدان.

الفصل 16

عندما فتح كاو عينيه مجدداً، لاحظ أن ليديا وسيلينا قد اختفتا، وكذلك الغربان. وكان يجلس في الكهف بمفرده، محاطاً بقبور الخارقين. وثمة دودة تحركت على متن يده.

لا، ليست يده، فالبشرة شاحبة، والبراجم أشبه بعقد من العظام الناتئة، والأظفار مليئة بالأوساخ. إنها يد بوتلايس. حاول كاو تحريكها، لكنه لم يستطع. لقد علق في جسم غير جسمه.

قال: في الذاكرة.

استطاع سماع صوت الخطوات الآتية من الممر. انكمش جسمه، وحمله إلى الظلال حيث جلس القرفصاء مراقباً الباب. أحسّ بالخوف.

فتح الباب، وظهر وجه، فقفز قلب كاو في مكانه، وشعر بألم شديد.

ماما!؟

بدت مذعورة، وشعرها مشعّث، وهناك رضة على عنقها.

أراد كاو الركض نحوها، لكن قدميه؛ قدمَي بوتلايس بقيتا ثابتتين على الأرض.

قالت أمه: «سيد وايث؟ هل أنت هنا؟».

«ماذا تريدين؟».

أقرأناكموه

جاءت الكلمات من داخله. أحسّ بشفتيه تتحركان، لكن الصوت ليس صوته.

أغمضت أمه عينيها نصف إغماضة في العتمة، وكان ثمة غراب عملاق على كتفها، مع بقعة خالية من الريش على عنقه. صاح الغراب، لكن كاو لم يفهم ما قاله. قالت أمه: «سيد وايث، أحتاج إلى مساعدتك. هل أستطيع الدخول؟».

«إذا أردت يا خارقة الغربان».

كانت إليزابيت كارميكايل ترتدي معطفاً ضخماً ذا قلنسوة مبطنة بالفرو، وتنتعل جزمة جلدية، وتضع قفازَين طويلي الساعدَين.

دخلت والدة كاو بحذر وقالت: «سيد وايث، لن أمكث طويلاً». ومدّت يدها إلى جيبها، وسحبت كيساً صغيراً مربوطاً بحبل. عرف كاو ما هو موجود في داخله بسبب شكله. إنه حجر منتصف الليل.

«أنت تعرف ما هذا، وما هي قوته».

أحسّ كاو أن بوتلايس قد جفل وتراجع إلى الخلف، فأدرك أن خارق الديدان يعرف فعلاً، لكن ذاكرته أصبحت ضعيفة وشبيهة بالحلم. «لماذا أحضرته إلى هنا؟».

قالت والدة كاو، وهي ممسكة بالكيس: «أريدك أن تهتم به». وامتلأت عيناها بمشاعر اليأس.

لم يتقدم بوتلايس لأخذه، وقال: «حجر منتصف الليل يخص سلالة الغربان».

فقالت والدة كاو: «أعرف ذلك. لكن خارق العناكب علم بوجوده».

قال بوتلايس: «كيف؟! فأمر الحجر سرّ محفوظ بين الغربان والديدان فقط».

أقرأناكموه

قالت والدة كاو وهي تنظر بسرعة نحو الباب: «ليس هذا مهماً. لن يتوانى الرجل الدوام عن القيام بأي شيء للحصول عليه. أرجوك، عليك أن تهتمّ به».

تقدم بوتلايس إلى الأمام، وأنزل كمه فوق يده وقال: «حسناً. وإذا لم تعودي؟ سمعت أن الحرب قد اندلعت بقوة في بلاكستون، وقد مات الكثيرون».

قالت والدة كاو: «لديّ ابن اسمه جاك. أعطِه إياه عندما تصبح المدينة آمنة». وطوت أصابع بوتلايس المغطاة بكم القميص فوق الكيس وضغطت عليها بشدة وهي تقول: «عليك أن تخبره بما يستطيع فعله. لكن، لا يجدر به إخبار أحد. عليه ألا يثق في أحد. عليه تحمّل الأمر وحده».

قال بوتلايس: «سأخبره يا خارقة الغربان».

«شكراً لك». واستدارت والدة كاو للذهاب. أراد كاو اللحاق بها، ومناداتها باسمها.

عند الباب، توقّفت واستدارت نحوه. ولفترة وجيزة، تساءل كاو عمّا إذا كانت قد أحسّت بشعوره. لكن، كيف لها أن تحسّ؟ إن هذه مجرد ذكرى.

قالت: «وداعاً سيد وايث».

قال: «وداعاً إليزابيت كارميكايل. ولا تخافي الموت، تذكري أننا لسنا سوى طعام للديدان».

أجابت: «يسهل عليك قول ذلك». وظهر الحزن على وجهها وهي تتابع: «تذكّر أن اسمه جاك».

أجاب بوتلايس: «سوف نذكر».

أقرأناكموه

وفيما أغلق الباب خلفها، اختفت الرؤية، وأحسّ كاو بعقله يتحرر، وينتقل عبر الزمن...

كان ينظر إلى نار مشتعلة في موقد، وأحس بالحرارة في وجهه بسبب النار، ورأى أمامه ساعة طويلة تتكتك. وأشار الوقت إلى قرابة الساعة الثانية عشرة.

استدار جسمه، فرأى نافذة صغيرة سوداء بسبب ظلمة الليل. كان يقف في مكتب جدرانه مكسوة بالألواح الخشبية واللوحات الزيتية الموضوعة في أطر براقة، وثمة حشد من الأشخاص- رجال ونساء- ملأوا الغرفة متحدثين مع بعضهم بعضاً بأصوات خافتة.

بدت المجموعة وكأنها تشتمل على أشخاص من كل فئات المجتمع. فقد رأى رجلاً قصيراً يرتدي سترة بنية ممزقة وقميصاً مغطى بالأوساخ، وامرأة ترتدي فستاناً طويلاً واسعاً وتعتمر قبعة مخرمة. وثمة أشخاص آخرون ارتدوا سترات ضيقة أو سترات جلدية طويلة، وانتعلوا جزمات العمل أو الأحذية ذات الأبازيم المصقولة. وثمة رجل عجوز حمل عصا ذات رأس ذهبي. لم يكن كاو يعرف الكثير عن الملابس التاريخية، لكنه حزر أنه ينظر إلى مشهد يعود إلى قرون عدة سابقة. وكان الضوء الوحيد منبعثاً من الشموع الموزّعة على الجدران والنار في الموقد.

تنحنح رجل فهدأت المجموعة واستدار الجميع نحوه.

قال الرجل: «شكراً لكم على مجيئكم إلى هنا الليلة».

رأى كاو الشخص المتكلم عبر مجموعة الأشخاص الآخرين. كان رجلاً عريض الكتفين، يرتدي ملابس سوداء بالكامل، وهي عبارة عن سترة مخملية ضيقة مثبتة بأزرار سوداء، وسروال أسود. وينتعل

حذاء أسود. كان شعره الطويل المتموج أسود أيضاً. أبعده عن وجهه فبدت لحيته الكثيفة. وثمة ندبة عمودية تمتد من وسط جبينه إلى وجنته مروراً بعينه اليسرى، وقد علّق على وركه غمداً، وفي داخله سيف يعرفه كاو جيداً. إنه منقار الغراب!

هل هذا خارق غربان؟ لا بد أنه كذلك.

نظر إليه جميع الخارقين في الغرفة، فبدا حقيقياً أكثر منهم، وأكثر حضوراً منهم جميعاً. ولم تكن ملابسه السوداء اللافتة وحدها ما ميّزه عنهم، أو سلوكه العنيف؛ إذ بدا أنه يشعّ بقوة باطنية.

قال الرجل: «حلّ علينا انقلاب الشتاء. إنها فترة مخيفة بالنسبة إلى بني جنسنا، لكننا لم نكن يوماً في خطر أعظم».

تمتم جميع الحاضرين في الغرفة، وأومأوا برؤوسهم.

تحدثت المرأة التي تعتمر القبعة المخرمة: «إنهم يقتلوننا كورفوس. إنهم يحرقوننا على اعتبار أننا ساحرات شريرات، ويأخذوننا من منازلنا».

بلاك كورفوس! لقد أخبر كوايكر كاو أنه الأعظم في سلالة الغربان. حدّق كاو إلى وجه سلفه الحزين- الذي كان صلباً مثل الحديد- للبحث عن أي شبه بينهما.

ازدادت التمتمات إلى أن رفع بلاك كورفوس يديه طالباً الصمت، فأطاعه المحتشدون في الغرفة على الفور.

قال: «يخشى الناس ما لا يفهمونه. ولهذا السبب استدعيتكم إلى هنا». واستدار نحو طاولة وفتح علبة خشبية بسيطة. في الداخل، وعلى قطعة من الساتان الأبيض، كان ثمة حجر أسود. بدا مماثلاً تماماً للحجر الذي يملكه كاو الآن.

أحسّ كاو أن بوتلايس يمدّ عنقه للنظر إلى الحجر عن كثب

أقرأناكموه

وقال: «هل هذا ما أظنه؟».

اتسع منخرا بلاك كورفوس، وأومأ برأسه وهو يقول: «إنه حجر ألماسي قاسٍ».

تراجع جميع الحاضرين في الغرفة إلى الخلف، وقال أحد الأشخاص بغضب: «ألماس أسود! ما معنى ذلك؟».

أجاب كورفوس الأسود: «احتجت إلى أشهر عدة للعثور عليه في أعماق الأرض. يفترض أن يكون خلاصنا».

فقال الرجل العجوز صاحب العصا ذهبية الرأس: «كيف يمكنك قول شيء مثل هذا!؟ فالألماس الأسود يسلب الخارق الذي يلمسه قوّته يا كورفوس. إنه يعطّل قدراتنا، ويقطع الرابط بيننا وبين حيواناتنا».

أجاب بلاك كورفوس: «بالضبط. ولهذا السبب أحضرته إلى هنا. انتبهوا أيها الأصدقاء، لقد خسرنا العديد من الخارقين لغاية الآن. لذا، في هذه الليلة، سأطلب من كل واحد منكم أن يضحي ببعض قواه العظيمة، وأن يمنح شيئاً من مواهبه للحجر. وهكذا، إذا مات أي منكم من دون وريث فلن تنتهي سلالته».

فقال رجل مهلهل الثياب: «سنصبح أقلّ قوة».

أجاب خارق الغربان: «وإنما أقوى أيضاً. فسوى نضمن عدم هلاكنا وزوالنا».

صمت حشد الخارقين.

قال كورفوس الأسود: «سأكون الأول». ورأى كاو عيون جميع الحاضرين في الغرفة وهي تنظر إلى خارق الغربان فيما تمدد. كانت يده ترتجف، وفيما لمس الحجر بأطراف أصابعه، أغمض عينيه. رأى كاو خيوطاً شاحبة من الضوء تتغلغل في الحجر، وتوهّجت لفترة

وجيزة قبل أن تتحول إلى اللون الأسود مجدداً. تراجع بلاك كورفوس إلى الخلف وقال: «أنهيت. أتوسل إليكم جميعاً كي تفعلوا الشيء نفسه. إنها الطريقة الوحيدة لضمان صمودنا».

اقترب الخارقون الآخرون، الواحد تلو الآخر، وكرروا ما قام به. وفي النهاية، جاء كاو في جسم بوتلايس، لكن بلاك كورفوس أغلق العلبة قبل أن يتمكن بوتلايس من لمس الحجر.

وقال: «ما من حاجة إلى قواك هنري. إذ لن تنتهي سلالتك أبداً لأنك لا تستطيع الموت».

فقال بوتلايس: «شكراً على تذكيري». وحتى في الذكرى البعيدة، أحسّ كاو بصدى الوحدة والألم.

أصبحت الساعة الثانية عشرة، ورنّت اثنتي عشرة مرة.

قال بلاك كورفوس أمام الحاضرين في الغرفة: «سوف نسميه حجر منتصف الليل. وإذا مات أي منكم من دون وريث، فستبقى قدراته حية في الحجر. ولولادة خارق جديد، تبرز الحاجة فقط إلى مجيء الوريث الجديد مع حيوانه ومثولهما أمام الحجر».

سيطر الخوف على كاو. إذاً، يتضح أن قوة الحجر حقيقية... وهو لا يستطيع فقط سلب الخارق قدراته، وإنما وهبه تلك القدرات المحفوظة فيه أيضاً. إنه يملك القوة لصنع خارقين جدد. هذا ما تحارب من أجله أم الذبابات وتقاتل.

قال الرجل صاحب العصا: «ومن سيهتم به؟ فإذا أصبح بين الأيدي الخاطئة...»

فأجاب بلاك كورفوس، فيما كان ينظر في أرجاء الغرفة: «بعد إذنك، تقع هذه المهمة على عاتقي. وأنا لن ألمسه أبداً، ولن أتخلى عن المزيد من قوتي من أجله أبداً، ولن أسمح بسلب أية قوة منه أبداً».

أقرأناكموه

تمتم بعض الأشخاص بصوت منخفض، لكن الشخص الوحيد الذي تحدث بصوت عالٍ كان امرأة ذات وجه نحيل وشعر فاتح انسدل بشكل مستقيم وقد فُرِق من الوسط. «ومن بعدك كورفوس؟».

قال خارق الغربان: «سينتقل حجر منتصف الليل من جيل إلى آخر في سلالة الغربان. ويجدر بكل واحد في هذه الغرفة ألا يذكر الأمر أبداً مجدداً». وأحضر لفافة ورقية وتابع: «إنها ضمانة لإبقاء ما حصل هنا سراً في قلوبكم. وبموتكم يموت السر أيضاً، ويحتفظ به ورثتي فقط. سوف نحميه حتى آخر نفس في حياتنا؛ إلى أن يحين الوقت لاستعماله».

قالت المرأة: «هذه كلمات نبيلة يا كورفوس. لكن، ألا يستحسن أن يبقى معه؟». وأشارت إلى كاو. «ففي النهاية، سيعرف خارق الديدان سرك دوماً».

أحسّ كاو بذعر بوتلايس الذي قال: «أنا لست محارباً يا آنستي. وما من أحد أفضل من كورفوس لحماية الحجر».

رأى كاو بلاك كورفوس وهو يوجِّه له إيماءة تقدير.

تقدم جميع من في الغرفة، الواحد تلو الآخر، للتوقيع على اللفافة الورقية. وأخيراً، جاء كاو في جسم بوتلايس. وفيما غمّس الريشة في الحبر، اختفت الرؤية من أمام عينيه.

كان كاو يتنفس بصعوبة، وعاد مشهد قبور الخارقين في المكان المضاء بالشموع ليظهر ببطء أمامه. فتّش في أذنه، وأخرج الذيل المتلوّي للدودة ووضعها على الأرض أمام قدميه حيث كانت الدودة الأخرى موجودة.

حاول الوقوف، لكن ساقيه كانتا ضعيفتين. عاد الخوف ممّا رآه

أقرأناكموه

ليتأجج داخل قلبه. السجناء في الشقة، والحيوانات في الأقفاص...

قال كاو: «أعرف... أعرف ما تريده. أعرف ما تخطط له أم الذبابات».

قال بوتلايس: «توخَّ الحذر. لا يزال عقلك في الماضي».

سألته ليديا: «ماذا رأيت؟».

قال: «إن حجر منتصف الليل لا يسلب الخارقين قواهم فقط؛ فهذا جزء مما يفعله. فهو يستطيع أيضاً صنع سلالات من الخارقين. إذ إن أية سلالة من الخارقين انقرضت على مرّ السنوات تستطيع استعادة قواها. ولهذا السبب، جمعت أم الذبابات كل أولئك السجناء وكل الحيوانات. إنها غاضبة من معاملة الخارقين الآخرين لها ولأسلافها، ولذلك تريد الثأر». أخذ نفساً عميقاً وتابع: «سوف تصنع بنفسها جيشاً من الخارقين».

حطّ غلام قرب كاو قائلاً: سيكون الأمر شبيهاً بصيف مشؤوم جديد.

فيما قال سكريتش وهو يخفق بجناحيه مذعوراً: لا، بل أسوأ. فكل وفاة ستعني انضمام خارق جديد إلى قضيتها.

أضافت شيمر: وبامتلاكها الحجر لن يتمكن أحد من هزيمتها.

قالت سيلينا: «حسناً، لن تستطيع. فقد حصلنا على الحجر، وكل ما علينا فعله هو التأكد من عدم عثورها عليه أبداً».

أومأ كاو برأسه، ونظر إلى بوتلايس قائلاً له: «يجدر بنا تخبئته هنا».

قال بوتلايس: «ماذا؟! لا، لا، لا. لقد اعتنيت به بعد وفاة أمك، لكن...»

قال كاو: «بالضبط. لقد وثقت فيك، وأنت أبقيته بأمان. أراهن أن

أقرأناكموه

أم الذبابات لا تعرف حتى بوجودك. وإذا عرفت، فلن تتمكن أبداً من العثور على هذا المكان».

قال صوت مألوف: «أوه، لست متأكداً من هذا».

استدار الجميع نحو جدار الكهف، فبدت الصخرة وكأنها تتكسر إلى جزيئات صغيرة، فيما خفقت مئات حشرات العث بأجنحتها، ثم استقرت مجدداً للكشف عن شكل السيد سيلك، مموهاً في الصخرة. حمل مسدسه ووجّهه نحو كاو.

قفزت الغربان في الهواء، وخفقت بأجنحتها بقوة، فيما اختفت الديدان في الأرض.

ثم سُمِع صوت الجرذان وهي تدخل مسرعة عبر الباب، وبينكرتون خلفها.

أحس كاو بالجفاف في فمه، ونظر حوله باحثاً عن مخرج آخر. لكن، لا مكان للهروب.

أقرأناكموه

الفصل 17

صرخ بوتلايس: «أنت من أحضرهم إلى هنا! إلى منزلي!».

قال كاو: «كيف عثرتم علينا؟». وأحسّ بوزن الحجر في جيبه.

قال السيد سيلك: «كيف برأيك يا خارق الغربان؟! حشراتها في كل مكان. لا مكان لتختبئ فيه الآن».

أخذ كاو نفساً عميقاً واستدعى غربانه؛ إذا كان بوسعها الإحساس به من هذا العمق تحت الأرض. بحث عن أشكالها السوداء في الفضاء، لكنها كانت باهتة.

قال السيد سيلك: «أعطني الحجر». ووجّه المسدس نحو ليديا. «تذكر أنني أعرف نقطة ضعفك».

فقالت ليديا بتحدٍّ: «إنه لا يملكه! لقد خبأناه».

ضحك السيد سيلك قائلاً: «حقاً يا عزيزتي؟ إذاً، لماذا يضع يده في جيبه هكذا؟».

سحب كاو يده، وأمر غربانه في سرّه: تعالي إليّ.

انطلقت رصاصة من المسدس، وأنار وهج النار العتمة. قفزت ليديا في مكانها وصرخت، فيما انغرزت الرصاصة في الصخرة قربها.

قال السيد سيلك: «لا تختبر صبري».

أحسّ بها كاو الآن. أحسّ بريشها الكثيف ومناقيرها الحادة وأصواتها العالية؛ بموجة الأجسام الداخلة عبر باب المدفن.

أقرأناكموه

وجّه كاو عينيه نحو الباب، حيث وقفت خارقة الجرذان غافلة عما يجري، وأمر غربانه بصمت للمرور عبره.

فقال السيد سيلك: «أغلقي الباب من فضلك».

بدت بينكرتون مذهولة: «م... ما... ماذا؟».

«الباب يا سيدتي. بسرعة، الآن».

طارت الغربان فوق الدرجات بالمئات، ودفعت نفسها في الرواق الطويل على شكل موجة يتعذر إيقافها.

أغلقت بينكرتون الباب، فانفطر قلب كاو وهو يسمع صوت مئات الارتطمات في الجهة الأخرى.

قالت: «هل تظن أنك تستطيع التفوق على جرذ؟».

زحفت كائناتها نحو كاو، فجثم غلام وسكريتش أمام قدميه، لاعتراض طريق القوارض.

صرخ سكريتش: أين شيمر؟ قبل أن تهاجم الجرذان.

صرخ السيد سيلك عالياً، وانطلقت رصاصة من المسدس مجدداً. سمع كاو صوت الرصاصة وهي تخترق سقف الكهف، فيما وقع المسدس على الأرض. أطلقت شيمر صيحة عالية فيما تشبثت بمعصم خارق العث وراحت تنقره بشكل متواصل، فتدفق الدم من يده.

صرخ كاو للآخرين: «اختبئا».

فركضت ليديا وسيلينا، وقفزتا فوق موجة الجرذان. شعر كاو بالهواء يتحرك، فيما احتشدت سحابة من العث وغاصت نحو سيدها. وفجأة، أصبحت شيمر مغطاة بالعث من منقارها إلى ذيلها، وفقدت توازنها، ووقعت على أرض الكهف.

ركض كاو نحو المسدس، لكن السيد سيلك ركع بسرعة وأمسك به، ورأى كاو المسدس يُوجَّه نحوه. قال السيد سيلك

أقرأناكموه

بوحشية: «لا تيأس يا خارق الغربان. لن تكون هذه نهاية سلالتك، أعدك. سوف تجد أم الذبابات مجرماً أو سارقاً ليستلم مهمة قيادة الغربان».

وضغط على الزناد. في تلك اللحظة، قفز شكل أمام كاو. بوتلايس! اهتزّ جسم خارق الديدان نتيجة الطلقة النارية. أطلق السيد سيلك النار مجدداً، فتراجع بوتلايس خطوة إلى الخلف، لكنه بقي واقفاً. لم ير كاو أي جروح على الإطلاق؛ كما لو أن جسمه قد امتصّ الرصاصات.

فقال خارق الديدان بابتسامة فظة: «ليت الأمر بهذه السهولة».

نظر السيد سيلك إلى مسدسه بارتباك، ثم أطلق ثلاث رصاصات إضافية في الهواء، قبل أن يتعثر عندما انفسخت الأرض تحت قدميه، وانزلقت قدمه في حفرة خرجت منها الديدان. قال: «ما...»

استدار كاو بحثاً عن غلام وسكريتش. كانا كلاهما ثابتين، ويصارعان بأجنحتهما في محاولة للتحرر من الجرذان. ركل كاو أحد القوارض، ثم أمسك بذيل جرذ آخر ورماه بعيداً. حاول المزيد من الجرذان تسلق ساقيه، وعضّته أثناء ذلك. فحاول كاو كبح ذعره فيما قفزت بينكرتون على صخرة وضحكت بطريقة شريرة.

نظر كاو إلى الأعلى، فرأى السيد سيلك يسحب قدميه من الأرض أخيراً، ويضرب بوتلايس بوحشية على فكه، فوقع خارق الديدان أرضاً مع صوت هادر.

نفض كاو كل الجرذان الملتصقة بجسمه، وتوجّه نحو خارق العث في محاولة للإمساك بالمسدس، ولكن السيد سيلك حصل عليه مجدداً. ارتطما كلاهما بالجدار، وحاول كاو سحق ذراعَي خارق العث على الصخرة إلى أن أفلت المسدس.

أقرأناكموه

أووف! أحسّ بركبة تضربه على معدته فشهق لالتقاط أنفاسه. ورأى أن شيمر قد نجحت في تحرير نفسها من العث، وطوقت أسطوانة المسدس بمخالبها ورفعت نفسها عن الأرض، ثم أفلتت المسدس بعيداً عن خارق العث.

رمى السيد سيلك نفسه فوق كاو، وفتشت يداه في جيبه، فكافح كاو لمنعه، لكن قوة الضربة جعلته ضعيفاً. وعرف أنه ما إن يقلبه خارق العث على الأرض، فسوف يخسر حجر منتصف الليل.

صرخ السيد سيلك: «لقد حصلت عليه يا بنكرتون!».

قفزت خارقة الجرذان عن الصخرة، فيما تنفّس كاو بصعوبة عاجزاً عن التحرك. استطاع رؤية سيلينا مختبئة وراء أحد القبور، لكن، أين ليديا؟ وكان بوتلايس يزمجر بصوت عالٍ محاولاً الوقوف، فيما تسلقت عليه الجرذان.

نظر السيد سيلك إلى الحجر اللامع في يده، وقال: «لا يبدو مهماً، أليس كذلك؟». ثم وضع الحجر في جيبه وقد أصبح وجهه شريراً، وركل كاو على معدته مجدداً، ورماه على ظهره.

بالرغم من ألمه، استطاع كاو رؤية ليديا أخيراً. كانت تتحرك نحو الباب، وقد وضعت إصبعها فوق شفتيها. ما الذي تنوي فعله؟

قال السيد سيلك: «لقد حان وقت تحطيم دماغ خارق الغربان». وركع ورفع صخرة بحجم كرة القدم، وحملها فوق رأسه، ثم قال له: «وداعاً يا خارق الغربان».

سمع كاو الباب يفتح، وتحركت عينا السيد سيلك نحو الخلف. وبعد جزء من الثانية، بات السيد سيلك مغموراً بسحابة سوداء من الغربان. واستطاع كاو رؤية ذراعيه تستسلمان وترميان الحجر على الأرض.

تدحرج كاو على بطنه شاهقاً من شدة الألم. وبالكاد استطاع الرؤية لأن الهواء امتلأ بالحشرات والطيور. خفقت الغربان بأجنحتها بطريقة مسعورة، فيما اعتدت عليها حشرات العث على دفعات. ارتطمت العديد من الطيور بالجدران، بعد أن فقدت توزانها نتيجة هجوم الحشرات.

لمح بوتلايس يزحف على الأرض، فيما عشرات القوارض تغطي جسمه. ثم وقف خارق الديدان على قدميه بطريقة غير ثابتة وتقدم نحو بينكرتون.

قال بوتلايس: «كاو، لقد حان الوقت لتفي بوعدك. أعتقد أنني سآخذ خارقة الجرذان هذه معي».

لهنيهة، لم يفهم كاو ما قصده، ثم تذكر اتفاقهما.

نظر حوله، لكنه لم يستطع رؤية منقار الغراب.

صرخت سيلينا: «خذ كاو!». وكانت قد نجحت بطريقة ما في الإمساك بالسيف. أرجعت ذراعها إلى الخلف، ثم رمت السيف عبر الكهف، فأمسك به كاو، ورفع رأس السيف إلى الأعلى. أطلق السيف صوتاً في يده، كما لو أنه محمّل بتيار كهربائي. وعندما أنزله كاو بطريقة عمودية، أحس بالهواء يقاوم بنعومة مثل الماء. فتح السيف ستارة من الضوء الساطع أمامه، واتسع الشق. صرخت الجرذان والغربان في الوقت نفسه، فيما تراجعت إلى الخلف. وخبّأت بينكرتون عينيها.

رأى كاو وجه بوتلايس مفتوح الفم وعيناه مليئتان بالدموع، وقال باكياً: «هذا جميل!».

ركض خارق الديدان نحو بينكرتون مثبتاً نظره على الباب المؤدي إلى البعد الآخر، وطوّق خصر خارقة الجرذان بذراعيه،

أقرأناكموه

وغاص معها في الشق الساطع. صرخت بينكرتون فيما دفعها نحو الباب. وابتلعهما الضوء معاً، فانقطع صراخها في منتصف الطريق. وبعد ذلك، انكمش الصدع، واختفت الحواف مثل جرح على طريق الشفاء. وأخيراً، اختفى الضوء تماماً، وهبّت رياح في الكهف فأطفأت معظم الشموع وتركتهم في شبه عتمة.

خيّم الصمت على الكهف مجدداً، فيما حدّق كاو إلى منقار الغراب الموجود في يده، والذي أصبح بارداً وخالياً من الحياة مجدداً. لقد ترك البعد الآخر طبقة من الرماد الناعم على النصل.

بعد فترة، عادت أفكاره إلى حجر منتصف الليل، فنظر إلى حيث أوقعت الغربان السيد سيلك أرضاً، لكن قلبه خفق بشدة. فقد اختفى، وجثمت الغربان على الأرض قرب صديقتها المصابة، لكنه لم يجد أثراً لأية حشرة عث، وقد اختفى المسدس أيضاً.

سأل كاو: «إلى أين ذهب؟».

وقفت ليديا أمام الباب، وهزّت رأسها قائلة: «كنت أراقب بوابة البعد الآخر».

وقالت سيلينا: «وأنا أيضاً». وبدت شاحبة نتيجة الصدمة، ثم سألت: «أين بينكرتون وبوتلايس؟».

قال كاو: «ماتا».

سألت سيلينا: «هكذا!؟».

أومأ كاو برأسه، ونظر حول الكهف بسرعة، وتحديداً إلى المكان الذي وقع فيه السيد سيلك. كانت ثمة بركة من الدم، وبعدها خط من القطرات السميكة، فلحق بها نحو الباب.

قال غلام: لا بد أنه هرب.

ارتاح كاو لدى رؤيته الغراب العجوز غير مصاب بأي أذى؛

باستثناء بعض الريش المتطاير. وكان سكريتش يعرج قربه على رجله المكسورة، فيما حمل منقار شيمر حشرة عث تتلوى. أرجعت رأسها إلى الخلف وابتلعتها.

قالت سيلينا: «انتهى أمرنا. لقد أضعنا الحجر».

نظر كاو حوله. فجأة، بدا منزل خارق الديدان أشبه بسرداب أكثر من أي وقت مضى. فهو مكان صامت ومعتم ولا حياة فيه، مكان مليء بالجثث؛ حيث امتلأ الهواء برائحة الأموات. وعلى الرغم من وقوفه على قدميه، أدرك كاو أنه انهزم. طوال أربعمئة عام، نجحت سلالة خارقي الغربان في حماية حجر منتصف الليل، وها هو الآن قد أضاعه. والأسوأ من ذلك أن أم الذبابات تعرف بالضبط ما يستطيع فعله وتنوي استعماله لغايات شريرة.

كافح كاو لمحاربة اليأس الذي بدأ يسيطر عليه، ووضع منقار الغراب في غمده، وتوجّه بسرعة نحو الباب، فلحقت به غربانه.

سألته ليديا: «إلى أين تذهب؟ أم الذبابات تملك الحجر، كما أن لديها السجناء والحيوانات لصنع سلالاتها الخاصة من الخارقين».

قال كاو: «أنت محقة». لكن كلمات كورفوس الأسود لم تفارق عقله؛ وعد سلالة خارقي الغربان: سوف نحميه حتى آخر نفس في حياتنا. «لكن هذا لا يعني أن الحرب قد انتهت».

أقرأناكموه

الفصل 18

عندما خرج كاو ورفيقتاه وغربانه، كانت الغيوم فوق المقبرة أكثر سماكة ممّا كانت عليه من قبل، وقد سيطر لون كحلي قاتم على السماء السوداء. خرجت غربانه من باطن الأرض على شكل زوبعة سوداء، واستقرت في أرجاء المقبرة مجدداً؛ مثل جيش مرهق نتيجة المعركة. كانت أجنحة العديد منها متكسرة، أو تنزف على الحجارة الشاحبة. كما خرجت بعض الجرذان أيضاً مرتبكة ومن دون هدف، وقد عادت الآن إلى طبيعتها الحيوانية الصرفة. وتساءل كاو عمّا إذا كان خارق آخر سيظهر لإرشادها، وعمّا إذا كان سيستفيد منها للخير أو الشر.

لا أثر لخارق العث. قال كاو: «شيمر! خذي بعض الغربان وابحثي عن السيد سيلك. لا شك في أنه لم يبتعد كثيراً».

خفقت شيمر المنهكة بجناحيها، ولحقت بها مجموعة من الغربان الأخرى. وسرعان ما حلّقت الغربان في السماء، متجهة نحو المدينة.

أعاد كاو حجر القبر إلى مكانه، مغلقاً بذلك منزل خارق الديدان. وبعد ذلك، أغمض عينيه واستدعى غربانه إليه. خفقت تلك الموجودة في أرجاء المدفن بأجنحتها وطارت عن مجاثمها متجهة نحوه، فيما جاءت غربان أخرى على شكل موجات في السماء. قال

أقرأناكموه

كاو لكل من سيلينا وليديا: «استعدا للطيران».

رفعت ليديا ذراعيها، وفعلت سيلينا الشيء نفسه، فرفعتهما الغربان عالياً، ممسكة بثيابهما. امتلأ قلب كاو فخراً؛ فبالرغم من المخاطر التي تواجهها الغربان، وبالرغم من المعارك التي خاضتها للتو، لا يزال وفاؤها مطلقاً.

أمسك غلام وسكريتش بكتفيه.

فقال كاو: «ليس أنت يا سكريتش! عليك أن تريح رجلك».

فأجاب سكريتش: لا بأس. فلنذهب للإمساك بهم. ولم تترك القساوة التي بدت في صوته أي مجال للمناقشة.

قال غلام: التحلي بالشهامة مجدداً.

وفيما ارتفعت قدماه عن الأرض، أحسّ كاو بأول قطرة مطر تهبط، تاركةً رذاذاً دافئاً على بشرته.

عادت شيمر وحلّقت حولهم قائلة: إنه في سيارة بيضاء، وهو يتّجه نحو المدينة.

فقال كاو: «إذاً، فلنذهب خلفه!».

دوّى الرعد بصوت عالٍ وهطل المطر بغزارة. ولكن، بالكاد لاحظ كاو ذلك.

حلقت الغربان عالياً فوق القبور، ثم ارتفعت عالياً إلى مستوى برج دار العبادة. أدت الرياح إلى تمايل جسم كاو بين قبضة الغربان، وتحولت بلاكستون إلى مشهد ضبابي مؤلف من الأضواء والمباني عبر سيول المطر المنهمرة. نظر كاو إلى رفيقتيه المنهكتين أصلاً، ورأى العزم الكبير على وجهيهما.

حلقت شيمر في الأمام، ولحقوا بها هم الثلاثة بمساعدة الغربان. لم يمضِ وقت طويل قبل أن يرى كاو سيارة مسرعة على الطريق

أقرأناكموه

تحتهم. لا بد أنه السيد سيلك. كانت السيارة بيضاء تماماً، وقديمة الطراز نوعاً ما، وصوت محركها هادر، مع مصدّين من الكروم. وقد ألقت مصابيحها الأمامية خيوطاً ذهبية على الأسفلت الأسود.

لم يعرف كاو ما يجدر به فعله؛ فالسيارة تتحرك بسرعة كبيرة، ممّا يجعل النزول على غطاء محركها أمراً صعباً بالنسبة إليه؛ ممّا يعني أنه لا يستطيع القيام بما فعله لإنقاذ كوايكر.

قال سكريتش: ثمة نفق أمامنا.

نظر كاو إلى الأعلى، ورأى أنهم يتجهون نحو نفق مظلم، فيما اتجهت الطريق نحو هضبة. بدأت الغربان ترفعه أعلى وأعلى لتحمله فوق مدخل النفق، فقال: «لا! فلنبقَ وراءه مباشرة».

عندها، نزلت الغربان التي تحمله مجدداً، فيما استمرت تلك التي حملت ليديا وسيلينا في الارتفاع فوق الهضبة. دخلت السيارة النفق، فأمر كاو مجموعة غربانه باللحاق بها. أدخلته الغربان في النفق المضاء، وبالكاد ارتفعت قدماه عن سطح الطريق مسافة متر واحد.

صرخ: «اعترضي طريقه، اصرفي انتباهه».

نجحت الغربان التي لم تكن تحمله في الإسراع بخفقانها، واتجهت نحو السيارة مثل سحابة سوداء. ورأى كاو انعكاس وجه السيد سيلك على صفحة المرآة الجانبية وهو ينظر إليه، ثم أسرعت السيارة أكثر فأكثر.

لكن الغربان كانت أسرع؛ فقد اقتربت من السيارة إنشاً وراء إنش، ثم حطّت على الجهة الأمامية منها حاجبة الرؤية عن خارق العث.

سمع كاو صوت بوق سيارة، وأغشى ضوء عينيه. أزاحته الغربان جانباً، فيما مرّت سيارة أخرى أمامه آتية من الاتجاه المعاكس، فخفق

قلبه في صدره بسرعة كبيرة.

حاول السيد سيلك التملص من الغربان، فحرّك السيارة في النفق يميناً ويساراً لإيجاد طريق خالٍ. عندها، أمر كاو غربانه بالاقتراب أكثر من الزجاج الأمامي للسيارة. فجأة، خفتت سرعة السيارة، وانبعث الدخان منها، وسُمع صوت قوي ناجم عن استعمال المكابح. ثم انزلقت السيارة كما لو أنها على جليد، وارتطم الجزء الخلفي منها بالحاجز الوسطي، وتحطمت النافذة الأمامية في الجهة التي يجلس فيها السائق.

طلب كاو من غربانه أن تجعله على مستوى السيارة بعد أن سوّت السيارة مسارها وأسرعت مجدداً.

وعندما أصبح كاو قرب السيارة، رأى السيد سيلك ممسكاً المقود بكلتا يديه، ومحدّقاً نحو الأعلى في محاولة منه لرؤية الطريق أمامه بالرغم من حاجز الغربان. نظر السيد سيلك إلى اليمين، والتقت عيناه عيني كاو، ثم مدّ يده إلى الأسفل وحمل مسدسه.

بوم! بوم!

خرجت رصاصتان من المسدس، فاستدار كاو بعيداً. عندها، تراجعت الغربان إلى الخلف، وجعلته خارج مرمى النيران.

وصل إلى نهاية النفق، فظهرت الطريق مجدداً. سمح كاو للسيارة بالخروج قبله، ثم لحق بها تحت المطر المنهمر بغزارة فوق الطريق المؤدية إلى المدينة. كان هناك المزيد من السيارات خارج النفق، وكانت ليديا وسيلينا تنتظران في الخارج، معلّقتين في الهواء تحت الغربان.

صرخ كاو: «علينا إيقافه!».

عندها، حلّقت الغربان وهي تحملهم هم الثلاثة عالياً في السماء،

أقرأناكموه

فيما دخلت سيارة السيد سيلك وسط زحمة السيارات بسرعة كبيرة، وتجاوزت الحواجز الحجرية، وانبعث منها الرذاذ. ثم ارتطمت السيارة بحاجز في وسط الطريق، وتطاير محور إحدى العجلات، فعَلا صوت الأبواق في الشارع. في تلك الأثناء، لم يعد بوسع كاو الاختباء، وأمل فقط في أن يساعد الطقس على إخفائه عن أنظار سكان بلاكستون العاديين.

وصل السيد سيلك إلى إشارة مرور حمراء، غير أنه لم يبطئ سرعته. ارتطمت عدة سيارات ببعضها بعضاً، وعلا صوت انسحاق كبير. باتوا الآن يتحركون بمحاذاة النهر، حيث ارتفعت على الضفة الأخرى المباني الشاهقة في القطاع التجاري، والشقة التي احتجزت فيها أم الذبابات جيشها الموعود. إذا وصل خارق العث إلى هناك، فستنتهي المطاردة.

انعطفت السيارة حول زاوية، وعبرت جسراً. ثمة حل واحد. طلب كاو من غربانه نقله إلى الأمام، وجعل نفسه فوق سقف السيارة مباشرة. وكان على وشك إفلات نفسه عندما هبط أمامه شكل أسود وحيد.

في التوقيت المناسب، دخلت شيمر عبر النافذة المفتوحة في السيارة، وهاجمت خارق العث مباشرة. لم يستطع كاو رؤية ما يجري في الداخل، لكنه سمع صراخ السيد سيلك، وتمايلت السيارة إلى جهة ومن ثم إلى أخرى. فَقَدَ خارق العث السيطرة على السيارة بالكامل، فدارت السيارة حول نفسها نصف دائرة، ثم ارتطمت بحاجز عند حافة الجسر وانقلبت، فعلت العجلتان في الجهة اليمنى عن الطريق.

صرخ سكريتش حين انقلبت السيارة: شيمر!

سُمع صوت انسحاق معدن قوي، فيما انزلقت السيارة على

أقرأناكموه

سقفها، وتطاير منها لهب من النار. برمت العجلات بسرعة، وارتطمت السيارة بالحاجز في الجهة المقابلة، فحطمت القضبان المعدنية الموجودة هناك، وانقلبت على جانبها. تطاير الزجاج المكسور في النهر، فيما وقعت السيارة مقلوبة رأساً على عقب، وباتت نصف معلقة فوق الماء.

هبطت غربان كاو إلى الأسفل بناء على أوامره، وأفلتته على علو ست أقدام عن الأرض، فركض نحو السيارة المنقلبة. تمايلت السيارة فوق الحافة بشكل غير مستقر. وكان الزيت يتقطر من ثقب في الخزان، فيما ملأت رائحة المطاط المحترق منخرَي كاو.

من الداخل، سمع كاو صوت شخص يتأوه.

بدأت السيارات الموجودة على الطريق بتخفيف سرعتها، وسمع كاو أحدهم يقول: «اتصلوا بالشرطة!».

في تلك الأثناء، خرجت شيمر من النافذة المكسورة، وحلقت فوق الجهة السفلى من السيارة قائلة: إنه لك.

قال سكريتش: هذا لا يصدق فعلاً! لقد أوقفته وحدك.

اقترب كاو أكثر من الحاجز المحطم. كان باب السيارة المنقلبة مفتوحاً فوق الماء، وقد خرجت منه يد ملطخة بالدم. لاحظ كاو أن وجه السيد سيلك قد امتلأ بالرضوض نتيجة الحادث، فيما حلّقت حشرات العث قلقة فوق بذلته المجعدة. تمايل إلى الأمام، وحاول الخروج من السيارة، لكن حزام الأمان ثبته في مكانه. ووجدت عيناه كاو.

زمجر: «خارق الغربان!».

قال كاو: «أعطني الحجر».

فقال السيد سيلك: «لا أظن ذلك». ومدّ يده إلى الأسفل، فجهّز

أقرأناكموه

كاو نفسه للاختباء في حال كان يرفع مسدساً. إلا أنه سمع صوت طقطقة، فيما أفلت حزام الأمان من إبزيمه. اقترب السيد سيلك من حافة الباب. وفي الوقت نفسه، انقلبت السيارة.

قفز خارق العث إلى حافة الجسر مصدراً صرخة ذعر، فيما هدرت السيارة، ثم وقعت من فوق الحافة. أمسك السيد سيلك بقطعة من «الدرابزين»، فيما غاصت سيارته في النهر مولدة كمية كبيرة من الرذاذ. طافت السيارة فوق سطح الماء مسافة أمتار عدة، ثم اختفت بعيداً عن الأنظار.

سمع كاو أصوات أبواب السيارات وهي تفتح، فيما خرج الناس منها، ثم سمع صوت سيلينا وهي تقول له: «ابقَ بعيداً. المكان ليس آمناً».

سيطر الخوف على السيد سيلك فيما كان معلقاً فوق الماء. وأطبق أسنانه، وشدّ نفسه إلى الأعلى، لكنّ ذراعيه لم تكونا قويتين بما فيه الكفاية ليرفع نفسه إلى حافة الأمان، وقال: «لا تدعوني أغرق!».

ركع كاو وانحنى نحوه قائلاً: «أعطني الحجر فأرفعك».

أغمض السيد سيلك عينيه؛ كما لو أنه يحاول التفكير في النهر المتدفق تحته.

فقال كاو: «أعدك بأنني لن أسمح بسقوطك، لكن عليك أن تعطيني الحجر».

ومدّ ذراعه.

فتح السيد سيلك عينيه مجدداً وقال: «إنه في جيبي. لا أستطيع أن أعطيك إياه من دون أن أقع».

وصلت ليديا إلى جانب كاو وقالت: «لا تثق فيه».

فقال السيد سيلك: «أرجوك. أعطيك كلمتي كرجل».

أقرأناكموه

وبدأت أصابعه تنزلق.

تمدد كاو إلى الأسفل، وأمسك بذراع خارق العث اليسرى بكلتا يديه وقال: «أمسكت بك!». ثم ثبّت نفسه لتحمّل وزن السيد سيلك.

«اسحبني إلى الأعلى!».

فقالت ليديا: «الحجر أولاً. استعمل يدك الأخرى».

وقال كاو: «بسرعة. فأنا لا أستطيع الإمساك بك لوقت طويل!».

مدّ السيد سيلك يده اليمنى إلى جيبه، وأخرج حجر منتصف الليل. وفي اللحظة نفسها، ارتفعت حشرات العث بعيداً عنه على شكل سحابة، وحلّقت بعيداً. فراقبها وهي تذهب، وسيطر عليه الذعر.

قال: «إليك، خذه!».

وفيما كان يمدّ يده إلى الأعلى، هبطت نقطة سوداء عليها. كانت ليديا تنحني فوق الحافة لالتقاط الحجر، لكن السيد سيلك تمتم قائلاً: «لا... أوه، لا».

وامتلأ الهواء بالطنين، بينما حلّق المزيد من الذبابات فوق يده وذراعه.

صرخ: «لا، أرجوك». فيما تلوّى في مكانه. ومع كل حركة، ارتخت قبضة كاو على يده شيئاً فشيئاً.

انتشرت الذبابات فوق جسم السيد سيلك، وتراكمت فوق بعضها بعضاً على شكل كتلة سميكة. ثم تحولت تلك الذبابات أمام عينَي كاو إلى سينتيا دافنبورت. كانت تتشبث بظهر خارق العث، وتلف ذراعيها حوله، فضعفت ذراعا كاو نتيجة الوزن الزائد.

وقالت أم الذبابات فيما اقتربت من أذنه: «مرحباً سيد سيلك. أعتقد أنك تملك شيئاً لي، أليس كذلك؟».

ومدت يدها فوق ذراعه، فأطبقت أصابعها على حجر منتصف

أقرأناكموه

الليل. كان سيلك يرتعد خوفاً، وأغمض عينيه بإحكام
قائلاً: «لم أقصد أن... كنت سأحضره لك... أعدك».

لم يعد بوسع كاو الإمساك بهما أكثر، فأفلتت أصابعه كم السيد سيلك. وفي اللحظة نفسها، تحوّلت أم الذبابات إلى حشراتها، وبدا سرب الذباب وكأنه يمسك بخارق العث معلقاً في الهواء.

همس صوتها: «لا، هذا غير صحيح». وأدارت سحابة الذبابات رأسها نحو كاو قائلة: «تصرف بحكمة يا خارق الغربان. اهرب من بلاكستون فيما الفرصة الأخيرة لا تزال أمامك».

ابتعد سرب الذباب عن جسم السيد سيلك، ففتح هذا الأخير عينيه ذعراً، ووقع إلى الأسفل صارخاً بصوت عالٍ، واختفى جسمه في النهر، فيما اختفى سرب الذبابات وسط عتمة الليل.

الفصل 19

غلى الدم في جسم كاو عند اقترابه من المنطقة المالية؛ بالرغم من الهواء البارد وملابسه المبللة بالماء. وشاركته الغربان يأسه وغضبه؛ أحسّ بذلك، لأن قوة أجنحتها تدفقت عبره فيما حلّقت في الهواء وتوجّهت نحو البرج العالي حيث تعيش سينتيا دافنبورت.

صرخت سيلينا: «ستكون في انتظارنا». وكانت الغربان تحملها، وشعرها ملتصق برأسها.

قالت ليديا: «ومن يبالي؟». فيما رفعت القلنسوة على رأسها، وحلّقت في الجهة الأخرى من كاو.

أجابت سيلينا: «أنا أقول فقط إنه لا يمكننا الدخول هكذا».

فصرخت ليديا: «يسهل عليك قول ذلك. لكن والدَيّ في الداخل».

حاول كاو إيقاف شجارهما. كانت ذكريات خارق الديدان لا تزال حية في عقله. كل أولئك الرجال والنساء في ذلك المكتب وضعوا ثقتهم في كورفوس الأسود. وطوال ثلاثمئة عام، نجحت سلالة خارقي الغربان في عدم خذلانهم. لن يتغيّر الأمر اليوم، فكل ذلك التاريخ لن يعني شيئاً إذا أخفق.

لكن حجر منتصف الليل أصبح الآن في قبضة سينتيا دافنبورت. في ذلك الحين، كان الخارقون يحاربون خرافات البشر، ولم يكن

أقرأناكموه

بوسعهم معرفة أن عدوهم اللدود سيكون في أحد الأيام واحداً منهم.

هل باشرت في تنفيذ خطتها؟ هل تصنع في هذه اللحظة سلالات جديدة من الخارقين؟

أمر كاو غربانه بإبطاء سرعتها، واقتربت منه الغربان التي تحمل الفتاتين.

قال: «فلننزل في الفناء. سيلينا محقة».

لم ينتظر جواب ليديا. حامت الغربان حول الجهة الخلفية للمبنى، فيما ومضت أنوار بين الغيوم. هبطوا بنعومة، وارتطمت قدما كاو بالأرض. ارتفع البرج فوقهم، وتوهجت نوافذه السوداء.

أمر كاو الغربان: «ابقي قريبة، سأحتاج إليك سريعاً». فيما هبطت ليديا وسيلينا على الأرض أيضاً.

جثمت الطيور على مجموعة من الأشجار، فجعلت الأغصان سوداء اللون. وحدها شيمر وسكريتش وغلام بقيت معه.

توجّه كاو مع صديقتيه إلى الجهة الأمامية للمبنى، وجلسوا القرفصاء خلف سيارة الليموزين التابعة لسينتيا دافنبورت. كانت الأرض مليئة بشظايا الزجاج المكسور من النافذة التي قفز كاو عبرها سابقاً.

سألت سيلينا: «ما هي الخطة؟ أعتقد أنه لا مجال أبداً لاستعمال المصعد».

لاحظ كاو شيئاً ما يتحرك في الفناء الأمامي؛ إنهما ثعلبان صغيران يتشممان الهواء في بعض الأجمات. كان السيد سيلك مخطئاً عندما قال إن الثعالب لا تستطيع المجيء؛ فالسيدة ستريكهام تملك كائنات وفية، حتى هنا.

حدق كاو نحو الأعلى. من هذه الزاوية، لم يستطع رؤية الشقة

أقرأناكموه

مطلقاً. لكن، لا شك في أنه يوجد ضوء خفيف في أعلى المبنى. غير أن المبنى يرتفع سبعين طابقاً، ولا شك في أن ذباباتها تتولى المراقبة.

نظرت إليه الفتاتان في انتظار ما سيقوله. إنهما تعتمدان عليّ. لكنْ، لماذا أحضرتهما إلى هنا؟ لا يستطيع السماح لهما بالصعود إلى الأعلى. فهذه ليست معركتهما؛ إذ تمّ جرّهما كلتيهما إلى هذه المسألة من دون أن يكون لهما أي دخل في ذلك، وإنما فقط بسبب هوية والدتيهما.

قال: «سأصعد إلى هناك بمفردي». وتحرك مبتعداً.

فقالت ليديا وهي تمسك بذراعه: «لا! لا تفكر حتى في ذلك!».

وقالت سيلينا: «سنذهب معك».

فقال لهما: «لا يمكنكما. إنها معركة الخارقين».

أجابت ليديا: «لا، هذا ليس صحيحاً. ألا ترى ذلك؟ إذا فازت أم الذبابات فلن تتوانى عن قتل الخارقين الآخرين. وسوف تستولي على كل المدينة، وسوف يعاني الجميع من جراء ذلك».

حاول كاو سحب ذراعه من قبضتها، لكن ليديا تشبثت به بقوة أكبر.

وقالت سيلينا: «عليك السماح لنا بمساعدتك».

لم يشأ كاو التشاجر معهما، فقال: «حسناً، أنتما على حق».

عندها، أفلتته ليديا، ثم رفعتا كلتاهما أذرعهما في انتظار الغربان.

فقال غلام كما لو أنه قرأ أفكاره: لا يمكنك السماح لهما بالذهاب معك. سوف تموتان.

قال كاو: «استعدا». فيما تدفقت الغربان على أجسامهم. إنه يكره الكذب، لكن ليديا وسيلينا تملكان حياة أمامهما، وقد وعد بلاك كورفوس بأن يهتم بالحجر بنفسه.

أقرأناكموه

طلب من غربانه رفعه وحده، ووحده فقط. وفيما ارتفع في الهواء، أفلتت بقية الغربان الفتاتين.

قالت ليديا: «كاو، لا! لا تجرؤ على تركي هنا!».

وقالت سيلينا: «أنت بحاجة إلينا». وحدقتا إليه بغضب.

قال: «إذا لم أعد، فعليكما أن تهربا لأن بلاكستون لن تكون آمنة».

صرخت ليديا: «اسكت كاو. يفترض أن نكون أصدقاء».

فقال لها: «نحن أصدقاء».

واختفى صراخ الفتاتين فيما رفعته الغربان بعيداً.

قال غلام: فعلت الشيء الصحيح.

أضافت شيمر: نعم. ما هي الخطة الآن؟

بحث كاو عن الكلمات لقول شيء ما.

فقال سكريتش: دعني أحزر. الغوص في الموت المحتّم، أليس كذلك؟

قال كاو: «تقريباً». فيما ارتفع نحو الأعلى تحت المطر. تدفّق الأدرينالين في عروقه، فأحسّ بوخز خفيف في بشرته.

قالت شيمر: أوه! تتم المبالغة في الخطط.

قال كاو: «لن أجبرك على المتابعة إذا أردت البقاء بعيداً. ففي النهاية، لقد أنجزت...»

فقاطعه غلام: أنا واثق تماماً من أنك بحاجة إلينا. فمن دوننا، ستجرك الجاذبية إلى الأسفل.

لم يستطع كاو كبح ابتسامته؛ فبالرغم من كل شيء، عرف أن غربانه لن تذهب إلى أي مكان. فهي لم تتركه يوماً، ولن تفعل ذلك أبداً.

أقرأناكموه

مرّ أمام نوافذ المبنى، وشاهد الانعكاس الضبابي لصورته أثناء صعوده إلى الأعلى. مهما كانت الأمور التي تنتظره، ومهما كان الخوف الذي سيطر عليه، فسوف يواجهه من دون هروب؛ تماماً مثلما واجهت أمّه الرجل الدوام. سوف يجعلها فخورة به، وكرامب أيضاً. وحتى لو مات، فعلى الأقل يمكن القول إنه قد بذل ما بوسعه لمنع أم الذبابات. سوف تتفهم سلالة خارقي الغربان الأمر. وإذا كانت أرواحهم موجودة في البعد الآخر، فسوف يومئون برؤوسهم ويقولون إنه أنجز مهمته.

انفطر قلب كاو عند تفكيره في أسلافه، فيما رفعته الغربان بسرعة أكبر في الهواء. حلق بالقرب من المبنى قدر الإمكان، في محاولة للبقاء بعيداً عن الأنظار. وعندما وصل إلى النافذة المكسورة في الشقة، رأى الأضواء في الداخل مطفأة. جعل غربانه تنقله إلى الداخل، وتضعه فوق المفروشات المثقوبة بالرصاصات والزجاج المكسور. ملأ الذعر صدره، فهو لم يفكر في أن أم الذبابات قد تذهب إلى مكان آخر لتنفيذ خطتها.

لكنه عندما خرج إلى الليل مجدداً، أدرك أنه سمع أصواتاً في الأعلى. إنهم يصعدون إلى الأعلى. والآن، رأى مصدر الضوء. على السطح، كانت ثمة مصابيح في الزوايا تنير أعمدة من المطر الذهبي. وبينها هبطت طائرة مروحية على أرضية مرتفعة. طلب كاو من الغربان حمله ووضعه وراءها، فأطاعته. وما إن لامست قدماه الأرض حتى لوّح بيده، فأنزلته الغربان فوق حافة السطح؛ بعيداً عن الأنظار. جلس القرفصاء، ونظر إلى محيط الطائرة المروحية.

كان باب الطوارئ مفتوحاً، ووقفت سينتيا دافنبورت قربه، مرتدية معطفاً أسود وقفازين جلديين، ومبتسمة بانتصار؛ فيما خرجت

أقرأناكموه

مجموعة السجناء. كان الأول لوغمان، وقد أمسك بحبل مربوط في طرفه الآخر بطوق موضوع حول عنق الفهد الأسود الذي رآه كاو في القفص في الداخل. تحرّك الحيوان تحت المطر بكسل؛ مكمم الفم وإنما بإذعان.

بعده، خرج رجل طويل أسود البشرة ذو شعر غليظ حمل إناء زجاجياً يحتوي على دودة أم أربعة وأربعين كبيرة، ملتفة حول نفسها. أحسّ كاو بالغضب لدى رؤيته دودة إميلي مسجونة، وبعد فترة وجيزة من موتها.

ثم لحق بهما المزيد من السجناء. ثمة رجل بدين في خريف العمر، ذو شعر أشيب، أمسك بحبل مربوط بقرد. وكان الحيوان يصرخ بصوت عالٍ ويشدّ نفسه إلى الخلف، لكن السجين ثبّته.

قالت أم الذبابات بتململ: «تحرّكوا أسرع. قفوا على شكل دائرة».

خرج السجناء، الواحد تلو الآخر، وقد أمسك كل منهم بحيوان؛ طيور على أوتاد، حشرات في أوعية، قرود مختلفة الأنواع وكلاب تحركت داخل صناديقها وأقفاصها التي نقلت من الغرفة المخفية في الشقة الموجودة في الأسفل. بعد قليل، خرج رجل وضع أقراطاً عدة على حاجبيه وأنفه وشفتيه، وكان ينقل إلى جانبه حمالة تمدّد عليها الدب البني، وإنما فاقداً الوعي. أدرك كاو أنه أحضر على الأرجح من حديقة الحيوانات. هل يعني هذا أن أم الذبابات قد وضعت الكائنات الأخرى في مكان آخر؛ الأنواع الخطيرة مثل النمور والتماسيح والحيوانات المفترسة؟ إذا تم إطلاقها في شوارع بلاكستون... من المريع التفكير في ذلك.

ثم ظهر رجل التفت أفعى حول ذراعه وهو يمسك بالحمالة التي

أقرأناكموه

تمدد عليها الدب من الجهة الأخرى. اتخذوا جميعاً مواقعهم لتشكيل حلقة كبيرة على السطح قرب المروحية، وعلا صوت الحيوانات فيما هطل المطر بغزارة.

في النهاية، ظهر السيد والسيدة ستريكهام، وقد تم تقييد أيديهما وأرجلهما بالحبل؛ مما أرغمهما على المشي بطريقة متعثرة. وكان ثمة سجين ضعيف يرتدي بذلة سجن فضفاضة يمشي خلفهما وقد وجّه المسدس نحوهما.

وقفت سينتيا دافنبورت وسط دائرة السجناء والحيوانات. كانوا يتحدثون إلى بعضهم بعضاً ويضحكون.

صرخ الرجل النحيل فيما وجّه المسدس نحو فيلما ستريكهام: «على ركبتيك».

وعندما لم تطعه، ركل السيد ستريكهام في الجهة الخلفية من ساقيه، فانهار والد ليديا على الأرض مصدراً صرخة عالية، وجرّ زوجته معه.

صرخت والدة ليديا: «اتركه وشأنه».

فضحك السجين قائلاً: «أو ماذا؟ عندما ينتهي كل هذا وتموتين أنت وسلالتك، قد أصبح أنا خارق الثعالب الجديد. ما رأيك في ذلك؟».

ارتعد كاو خوفاً؛ فالرجل يهدد ليديا الآن، وليس فقط السيدة ستريكهام. فجأة، اتضح له الأمر. ما من خارق في أمان. كل الخارقين الذين تم سجنهم في كمين في حديقة الحيوانات... ستقتلهم أم الذبابات عاجلاً أم آجلاً، وستقضي على سلالاتهم لكي تصنع سلالات جديدة خاضعة لسيطرتها. بيب وكرامب... وكل من يعترض طريقها.

أقرأناكموه

قالت أم الذبابات: «أنت أولاً». فيما أشارت بإصبعها إلى الرجل ذي الشعر الغليظ. «تعال إليّ».

تقدم الرجل إلى الأمام بخطوات غير واثقة، وبدا لكاو خائفاً.

أخرجت أم الذبابات حجر منتصف الليل من جيبها، فاقشعرّ بدن كاو عند رؤيته.

أمرته: «احمله في يدك».

سأل الرجل: «هل سيؤلمني؟».

فقلبت شفتيها اشمئزازاً وقالت: «أنا على وشك منحك أنت وذريتك مصيراً أفضل بكثير من أي شيء آخر يمكنك أن تحلم به. والآن، أعطني يدك!».

جفل الرجل كما لو أنها صفعته، ولكنه فعل مثلما طلبت منه. وضعت سينتيا دافنبورت الحجر في راحة يده، ولاحظ كاو أن بقية السجناء قد صمتوا جميعاً.

قالت: «والآن، خذ موهبتك. المس الدودة».

جلس القرفصاء، ووضع الإناء على السطح، ثم مدّ يده داخله. وما إن لامست أصابعه دودة أم أربعة وأربعين حتى اهتزّ جسمه كله كما لو أنه قد تعرض لصدمة كهربائية، وومض الحجر باللون الأبيض. أحسّ كاو بشيء يعبر جسمه أيضاً؛ شيء ناعم مثل نسمة صيفية.

بعد قليل، وقع السجين إلى الخلف، وأفلت الدودة. لكن الهواء امتلأ بطاقة غير مرئية، كما لو أنها انعكاس للقوة القديمة الموجودة ضمن الحجر. وصمتت كل الحيوانات المحتجزة في الأقفاص. ثم هزّ السجين رأسه، ونظر إلى الوعاء وعبس. تحركت دودة أم أربعة وأربعين ببطء، وخرجت من الوعاء واختفت في طرف كمه، ثم خرجت من ياقته والتفّت حول عنقه.

أقرأناكموه

وقف مبتسماً ابتسامة عريضة، فيما علت الصيحات والضحكات من دائرة السجناء لدى انضمامه إليهم. أحنت فيلما ستريكهام رأسها شاعرة بالهزيمة، فيما بدا زوجها مشمئزاً.

وبدا كاو يائساً.

قالت سينتيا دافنبورت: «التالي!».

فتقدمت فتاة مراهقة ذات شعر دهني متسخ تحمل نسراً ذهبياً على يدها المغطاة بقفاز. وبالكاد استطاعت رفع الطائر العملاق.

وفيما أخذت مكانها قرب الحجر، نبح كلب نباحاً غاضباً وهو ينظر باتجاه كاو، فحاول كاو الاختباء خلف الطائرة المروحية. ما الذي يستطيع فعله؟ هل يرسل مجموعة من الغربان في محاولة لإحضار الحجر؟ لا، لن تتمكن من الاقتراب منه. ارتفع شهيق آخر من مجموعة السجناء، مما أنبأه بأن النسر والفتاة قد اتحدا معاً. لا يزال كاو يملك منقار الغراب. لكن، إذا كان أي منهم يحمل سلاحاً...

جلس من دون حراك، مشلولاً بسبب الذعر، فيما اتحد المزيد والمزيد من السجناء مع الحيوانات، الواحد تلو الآخر.

صرخت أم الذبابات: «التالي! أنت!».

نظر كاو من فوق منصة الهبوط مجدداً؛ في الوقت المناسب ليرى لوغمان مع الفهد المكمم. مدّ لوغمان أصابعه بتردد، فهجم عليه الفهد بمخالبه، فتراجع السجين إلى الخلف.

قالت سينتيا دافنبورت: «هيّا! اجعله لك أيها الجبان».

تمدد لوغمان ولمس كتف الفهد، فلمع الضوء مجدداً.

ثمة شيء دغدغ يد كاو، فنظر إلى الأسفل، ورأى ذبابة تزحف على معصمه.

قالت أم الذبابات: «أعتقد أن لدينا زائراً غير مدعو».

أقرأناكموه

لم تعد هناك أي جدوى من الاختباء، فوقف كاو أمامهم جميعاً.

وفيما استدارت لمواجهته، حذا جميع السجناء حذوها، وكذلك فعل آل ستريكهام.

وصرخت والدة ليديا: «كاو، اذهب، ابتعد. لقد انتهى الأمر!».

كشف كل السجناء عن تعابير مرتبكة، ونظروا إلى سينتيا دافنبورت بتردد.

إلا أنها بدت غير منزعجة البتة وقالت: «الغربان كائنات عنيدة، أليس كذلك؟».

فضحك جميع السجناء، لكن كاو بقي ثابتاً في مكانه. أحسّ أن الغربان تنتظر أوامره مستعدة، فنادى المزيد منها، وأحسّ بازدياد أعدادها. عندما تأتي اللحظة، سيدعها تنفّس عن غضبها.

قال كاو فيما حاول إبقاء صوته منخفضاً: «هذا الحجر يخصّ عائلتي، وقد جئت لاستعادته».

فابتسمت أم الذبابات وقالت: «لا، هذا ليس صحيحاً يا خارق الغربان. لقد جئت لتشهد على انتصاري».

الفصل 20

بدأ السجناء يبتعدون عن الدائرة التي شكّلوها ويقتربون من كاو. وكان الفهد بالقرب من لوغمان قد تخلى عن كمامته ولمعت أنيابه البيضاء.

قالت السيدة ستريكهام بنبرة متوسلة: «كاو، اهتم بليديا! هذا كل ما يهم الآن».

فيما هزّت أم الذبابات رأسها وقالت: «لا تقلق يا كاو. فبعد أن تموت، سأجد شخصاً مناسباً للحلول مكانك».

تراجع كاو إلى الخلف، فيما تقدم السجناء على شكل رتل؛ بالترافق مع حيواناتهم التي قفزت، وركضت، وحلّقت ورفرفت قربهم.

قال الرجل ذو الحلى العديدة الواقف قرب الدب: «هاي! ماذا عني؟ لم أحصل على قواي بعد!».

فأجابته أم الذبابات وهي تضع حجر منتصف الليل في جيبها: «يمكنك الانتظار. ما رأيك كاو؟ لطالما اعتقدت غربانك أنك الأعظم بين كل الخارقين. أتساءل عمّا كان بلاك كورفوس العظيم ليفعله بك».

تذكر كاو سلفه في المكتب حيث اشتعلت النار في الموقد، وكيف نظر إليه الآخرون بانتظار إرشاداته.

أقرأناكموه

قال: «لا أعرف، لكنه حتماً كان سيكرهك أنت وكل ما تمثلينه. فقد أراد حماية الخارقين، وليس استخدام قواهم لمصلحته الشخصية».

سألت أم الذبابات: «حقاً؟! لكنه لم يحمِ أسلافي مطلقاً. لم يفعل أحد ذلك. ولهذا السبب، عليّ صنع حلفائي بنفسي. فأنا بحاجة إلى خارقين جدد يفهمون أن سلالة خارقي الذبابات يجب أن تكرّم، ولا تنبذ».

فصرخ السيد ستريكهام: «أنت مجرد مجرمة مثل أي مجرم آخر».

عندها، استدارت أم الذبابات نحوه بغضب وسألته: «وهل يستطيع أي مجرم فعل هذا؟».

ومدّت يدها نحوه، فانقضّت عليه مجموعة من الذبابات على شكل كرة سوداء، وطوّقت رأسه بقناع من الحشرات الطنانة. سمع كاو الصراخ المكتوم، فيما وقع السيد ستريكهام إلى الأمام وتلوّى على الأرض.

فصرخت السيدة ستريكهام: «توقفي!».

رفعت سينتيا دافنبورت يدها، فابتعدت الذبابات على الفور، فيما شهق والد ليديا طلباً للهواء. ثم قالت: «أردت فقط تعليم زوجك كيفية التصرف. سيكون هناك وقت كافٍ للتعامل مع كل أعدائي، فلمَ العجلة؟».

بدأ السجناء يحيطون بكاو على شكل نصف دائرة، وبدوا تواقين للدم.

قالت أم الذبابات: «إذاً، ما الذي تنتظرونه؟ استخدموا قواكم!».

أبعد الرجل ذو الشعر الغليظ دودة أم أربعة وأربعين عن عنقه

أقرأناكموه

وأفلتها على الأرض، فتمددت حتى أصبح طولها قرابة القدمين، وأسرعت نحو كاو.

وبالكاد أتيحت لكاو فرصة التفكير، قبل أن ينقضّ غلام من السماء، ويرفع دودة أم أربعة وأربعين بين مخالبه وينقلها بعيداً، وهي تتلوى.

أطلقت الفتاة نسرها، فبسط النسر جناحيه بطريقة مهيبة، وكان عرضهما ست أقدام على الأقل، فيما لمع الريش الأبيض في جهتهما السفلية. انقضّ النسر على كاو مصدراً صيحة عالية، وعقف مخالبه لتمزيق وجهه. حاول كاو الفرار مذعوراً، ووضع إحدى ذراعيه فوق رأسه، فأحس بالمخالب تنغرز بسهولة في كمّ سترته ومن ثم في لحمه. جعله الألم يصرخ بصوت عالٍ، لكنه حرر نفسه.

في اللحظة التالية، بات وجهه فريسة للنسر الخافق والصارخ، وطعنه النسر بمنقاره مثل الخنجر. نجح كاو في وضع سترته فوق رأسه، فانتفض النسر خافقاً بجناحيه القويين بقوة؛ في محاولة لنزع الغطاء وتمزيقه. رفع كاو ذراعه النازفة عالياً، فانقضّت الغربان على النسر المغطى جزئياً. كان الضجيج مريعاً نتيجة هجوم الطيور. وقع الريش أرضاً باللونين الأسود والبني، فيما ارتطمت الغربان بالنسر وهي تقاتله، واحتشد المزيد من الغربان. بدأ الطائر العملاق يتحرك بضعف أكثر فيما هاجمته الغربان من دون توقف.

أبعد كاو نظره عن المشهد حين سمع هديراً خفيفاً، وتجمد الدم في عروقه عندما رأى الفهد وهو يقفز إلى الأمام. حلقت الغربان بشجاعة لاعتراض طريقه، لكن الفهد استطاع إبعادها بسهولة. غير أن شيمر نجحت في غرز مخالبها في ظهره. لكنّ الفهد لم يبطئ في هجومه إلى أن وقعت شيمر. عندها، شاهد كاو غراباً آخر ينقضّ على

أقرأناكموه

فم الفهد، فأبعده هذا الأخير جانباً بمجرد تحريكه رأسه بقوة.

تراجع كاو إلى الخلف بسرعة بينما كان الفهد يقترب منه، فيما غطّى العرق يديه. ولم يتوقف الفهد عن تقدّمه إلاّ عندما وصل إلى حافة السطح. جعل الخوف كاو يتسمّر في مكانه فيما اقترب منه الفهد أكثر فأكثر. إنها النهاية؛ لا مكان للهروب.

انقضّ الفهد عليه، فقفز كاو في الوقت نفسه، واستخدم خوفه، ومرّره عبر جسمه، آمراً جسمه بالتّحوّل إلى غراب. إلا أن ألم التحول المفاجئ والقوي قطع أنفاسه. حلّق بجناحَي الغراب فوق الفهد. وشاهد تحته دوامة من الأطراف المتخبطة والأسنان المطبقة، ثم اتسعت عينا الفهد ذعراً، واختفى صراخه فيما هبط بسرعة كبيرة إلى الأسفل نحو الأرض تحته.

ثمة يد أمسكت بجناح كاو، وقلبته، ثم انتزعته من السماء فارتطم بالسطح الرطب. وفجأة، اختفت سيطرته على شكله كغراب، وعادت أطرافه لتصبح بشرية مجدداً. كان لوغمان يمسك بذراعه، وقد سيطر الغضب عليه وبدا واضحاً على وجهه وقال: «سأجعلك تدفع ثمن ذلك».

تلقى كاو الضربات من كل الجهات، فيما أحاط به السجناء الآخرون. عندها، تقوقع كاو على نفسه على شكل كرة، عاجزاً عن معرفة مصادر كل هذه الآلام. رأى جزمات وأرجلاً متأرجحة، لكنه لم يستطع فعل أي شيء لإيقافها. حاول استدعاء الغربان، لكن عقله لم يركز. من حوله، ومن داخل أقفاصها، ملأت الحيوانات الأخرى الهواء بصراخها. تذوق كاو طعم الدم في فمه نتيجة جرح في شفته، فيما ارتطمت قبضة يد بأذنه فأدار رأسه.

صرخ صوت بعيد: «اقضوا عليه! الآن!».

تعرض لبعض الضربات الإضافية، لكن الأجسام المحيطة به

أقرأناكموه

بدأت تنفصل. تدحرج على نفسه بضعف، ونجح أخيراً في استدعاء غربانه: ساعديني...

لكنها لم تأتِ.

وفيما تراجع السجناء إلى الخلف، عرف كاو السبب. فعلى السطح وفي السماء، حلقت مجموعات من الذباب فوق كل واحد من طيوره. ولمح بعض المناقير والأجنحة وهي تتحرك فيما كافحت الغربان للتحرر.

كانت سينتيا دافنبورت مغطاة أيضاً؛ من حذائها إلى ذقنها، فلم يستطع كاو رؤية مليمتر واحد من ملابسها، فيما ملأت الذبابات شعرها. وحده وجهها بقي خالياً من الحشرات. رفعت ذراعيها عالياً. وفيما فعلت ذلك، ارتفع جسمها عن الأرض. إنها تحملها! حلّقت مثل الطيف الأسود فوق السطح واتجهت نحوه.

قالت: «لقد انتهى الأمر كاو». فيما طافت في الهواء.

نجح كاو في رفع نفسه على مرفقيه، وانتفض جسمه من شدة الألم. كانت ذراعه تنزف نتيجة هجوم النسر، وأحس بالدم يسيل من منخريه أيضاً. ثمة خطب ما في جانبه، إذ وجد صعوبة في التنفس. إنه ضلع مكسور ربما.

قالت أم الذبابات فيما حلّقت فوقه: «سوف تخجل أمك لو رأتك الآن. فطوال أجيال عدة، نجح خارقو الغربان في إبقاء أمر الحجر سراً. لكن، لا بد أن تكون هناك دوماً حلقة ضعيفة؛ خارقاً يخذل سلالته. إنه أنت يا جاك كارميكايل. لقد انتهى زمن الغربان، وحان الوقت الآن لتتربع الذبابات على العرش».

قال كاو: «لا يوجد عرش! أنت لست سوى وباء؛ أنت وذباباتك».

أقرأناكموه

فقالت سينتيا دافنبورت: «سمعت كل ذلك من قبل يا خارق الغربان. حقيرة، مخيّبة، غير نظيفة... هكذا، كانوا يسمّون أمي. لطالما نادونا هكذا. لكن الذبابات قادرة على الصمود. سوف يطارد جيشي الخارقين القدامى للقضاء عليهم. وحتى عندما تنتقم سلالة الذبابات، وتموت هذه المدينة، فسوف يقتات أولادي من جثث أبنائها وسيصبحون أقوى».

قال كاو مكشراً: «وبعد ذلك؟ أنت لا تختلفين عن الرجل الدوام. فأنت تريدين القوة مهما كلّف الأمر. من يرغب في حكم مدينة ميتة؟».

قالت أم الذبابات: «أنا لا أشبه أبداً الرجل الدوام». ولمع البرق فوقهم. «كان أحمق وفظاً، وقد سمح لنفسه بالتحسن مرتين. أما أنا فشققت طريقي من القعر. وقد حاربت من أجل كل شيء حصلت عليه، وأصبحت أقوى مما كنت سابقاً؛ وأقوى مما كان من الممكن أن يكون».

حسم كاو أمره. إذا كان سيموت، فسيفعل ذلك بكرامة. «إذا كان ما تقولينه صحيحاً، فأعتقد أن العناكب تبقى أقوى من الذبابات. فكائناتك النفيسة تموت في شباكها، أليس كذلك؟».

سيطر الألم على وجه سينتيا دافنبورت، وأنزلتها ذباباتها إلى السطح ثم حلقت بعيداً على شكل موجة سوداء. مدّت يدها إلى داخل سترتها وأخرجت مسدساً وهي تقول: «سأمنحك شرف الموت السريع. البعد الآخر في انتظارك يا خارق الغربان».

أغمض كاو عينيه.

أقرأناكموه

الفصل 21

بوم!

احتاج كاو إلى جزء من الثانية ليدرك أن الصوت لم يكن صوت مسدس. وحين فتح عينيه، رأى أم الذبابات تنظر خلفها؛ حيث فتح باب الدرج بقوة كبيرة. وكانت سيلينا تقف هناك وهي تتنفس بصعوبة.

قالت: «لن أسمح لك بفعل هذا».

فصرخت أمها: «أتعتقدين أنه يمكنك ردعي؟! أنت الطفلة؟! لطالما كان قلبك رقيقاً. لن تكوني يوماً جديرة بقوتي».

فقالت سيلينا: «لا أريد منك شيئاً! ولن أكون أنا من يردعك، بل هي». وأشارت بإبهامها خلف كتفها.

تدفقت عشرات الثعالب عبر الباب، مزمجرة بصوت عالٍ. لم يسبق لكاو أن رأى من قبل هذا العدد الكبير في مكان واحد. وجاءت ليديا خلفها، وقد تورّدت وجنتاها نتيجة الركض.

انقضّت الثعالب على السجين النحيل الذي يحمل المسدس، وأوقعته إلى الخلف وهو يصرخ مذعوراً. وعملت بعض الثعالب على فك القيود التي كبّلت فيلما ستريكهام وزوجها.

قالت والدة ليديا: «أنقذي كاو!». عندها، ركضت بقية الثعالب على السطح نحو السجناء، فأصيب السجناء بالذعر، وتراجعوا إلى الخلف محاولين استخدام بعضهم بعضاً بمثابة دروع بشرية. وتشتّت

أقرأناكموه

سجناء آخرون فيما لحقت بهم الثعالب.

فامتلأ قلب كاو بالأمل.

قالت أم الذبابات: «أيها الجبناء! إنها مجرد ثعالب!».

هبطت عدة مجموعات من الذباب من السماء، وحلّقت فوق السطح، وانقسمت إلى مجموعات أصغر توجّهت كل منها نحو واحد من كائنات فيلما ستريكهام.

باتت أم الذبابات مشتتة الانتباه الآن، وعرف كاو أنه لن يحظى بفرصة أخرى.

أدى وقوفه إلى إرسال موجات من الألم في كل جسمه. لكنه نجح أخيراً في الوقوف على قدميه. استدارت سينتيا دافنبورت في اللحظة الأخيرة نحوه. انقضّ كاو عليها، لكنها اختفت في اللحظة التالية، وتبخرت على شكل سحابة من الذبابات غطّت وجهه، فوقع على الأرض، وسمع صوت طقطقة في ظهره. وهكذا، وقفت أم الذبابات موجّهة المسدس نحوه.

قالت: «لا مجال للهروب هذه المرة». وضغطت إصبعها على الزناد.

في تلك اللحظة، قفزت سيلينا على ظهر أمها مصدرة صرخة عالية، مما أدى إلى دوران أم الذبابات حول نفسها، ووقع المسدس على الأرض. أسرع كاو للإمساك به، لكن قدماً وصلت إليه أولاً، وركلته بعيداً على السطح. نظر كاو إلى الأعلى، فرأى السجين ذا الأقراط العديدة يحدق إليه بغضب. رفع الرجل قدمه، فرأى كاو النعل وهو يرتفع لسحق جمجمته.

«آخخخخ». صرخ السجين، فيما انقض عليه سرب من الطيور السوداء وأفقده توازنه.

أقرأناكموه

كانت أم الذبابات تدور حول نفسها محاولة الإمساك بسيلينا التي كانت تتشبث بظهرها، وصرخت: «ابتعدي عني!».

فقالت لها ابنتها: «لن تملي عليّ بعد الآن ما يجدر بي فعله».

انهارت سينتيا دافنبورت على ركبتيها، ثم تحوّل جسمها إلى آلاف الذبابات، تاركة سيلينا تتنفس بصعوبة على الأرض. عادت أم الذبابات لتظهر مجدداً على مسافة بضع أقدام من المسدس. رفعته، فيما وقفت سيلينا أمام كاو.

أخفضت خارقة الذباب المسدس قليلاً وقالت: «ابتعدي!».

فقالت سيلينا: «عليك أن تقتليني أولاً».

فقالت لها أمها: «لا تظني أنني لن أفعل ذلك». لكن كاو لاحظ أنها كانت مترددة. تعالي! أي غراب سيفيده الآن.

قالت سيلينا: «هيّا، افعلي ذلك إذاً. أفضل الموت على أن أكون ابنتك».

أصبح وجه أم الذبابات قاسياً، فيما رفعت المسدس نحو ابنتها وهي تقول: «حسناً».

انطلقت الرصاصة من أسطوانة المسدس في اللحظة نفسها التي هبط فيها سكريتش على ذراع سينتيا دافنبورت بمخالبه أولاً. انطلقت الرصاصة نحو الأرض أمام قدم سيلينا، فاهتزت ساقها تحتها. ثم صرخت وأمسكت مقدمة ساقها بإحدى يديها، فيما ارتطم المسدس بالسطح. أسرع كاو إلى سيلينا، وكان الدم يسيل من بين أصابعها. فقالت، من بين أسنانها المطبقة: «لقد أطلقت النار عليّ!».

بوم بوم بوم!

هدر محرك المروحية، وكان لوغمان جالساً على مقعد الطيّار، فيما احتشد الآخرون في الخلف، وتشبثت الثعالب بملابس بعضهم،

فيما كانوا يكافحون للصعود إلى المروحية التي باتت ممتلئة أصلاً. تركوا حيواناتهم خلفهم وهي تنبح وتصرخ وتتلوى في أقفاصها. كانت فيلما ستريكهام وزوجها قد أصبحا قرب السلالم بعدما نقلتهما مجموعات الذبابات، وباتت الثعالب مشتتة نتيجة انقضاض الحشرات عليها.

هزّت والدة سيلينا ذراعها بقوة، ورمت سكريتش بعيداً.

ثم نظرت إلى كاو وابنتها، ومن ثم إلى المروحية، وصرخت قائلة للسجناء الهاربين: «سأهتم بأمركم لاحقاً». ولفّت معطفها حولها، ثم مدّت يدها إلى جيبها. وبعد قليل، بدا الخوف في عينيها. «أين هو؟!».

لهنيهة، لم يفهم كاو ما تقصده، لكن سيلينا فتحت يدها الملطخة بالدم للكشف عن حجر منتصف الليل وقالت: «هل تبحثين عن هذا؟».

تمتمت أم الذبابات: «كيف...؟»

ولكنّ كاو عرف كيف. فقد أخذته سيلينا عندما كانت ممسكة بظهر أمها.

صرخت سينتيا دافنبورت: «أعطيني إياه!».

فأجابت سيلينا: «أبداً. لقد استغللتني طوال هذا الوقت، وادعيت اهتمامك بي، واستخدمت حبي لك وحولته لمنفعتك الشخصية. حسناً، الآن أصبح لديّ أصدقاء جدد أهتم فعلاً لأمرهم، ولن تؤذيهم بعد الآن».

وقف كاو أمام سيلينا لمواجهة عدوته. أحسّ بغربانه تتراكم خلفه، فأطبق قبضتَي يديه مستدعياً المزيد. جعل قوته تمتد إلى كل أرجاء المدينة، ونادى كل الغربان في بلاكستون.

أقرأناكموه

قال: «فقط أنا وأنت. لقد هرب أصدقاؤنا».

ابتسمت له أم الذبابات وقالت: «لم أكن يوماً بمفردي؛ فلديّ أولادي». وأغمضت عينيها، ورفعت ذراعيها عالياً في السماء. لمع البرق مجدداً، ورأى كاو الغيوم وقد أصبحت سوداء تقريباً، ثم توقف هطول المطر.

بعد ذلك، أدرك كاو أنها ليست غيوماً على الإطلاق، بل إنها ذبابات. الملايين والملايين منها، على شكل دوامة هائلة. ولم يتوقف هطول المطر، بل احتشدت الذبابات بكثافة فوقهم فلم يعد المطر يصل إليهم.

قالت أم الذبابات: «هل رأيت يا خارق الغربان؟ ما زال لديك الكثير لتعلّمه».

نظر كاو إلى الخلف، وشاهد الثعالب تركض متجهة إلى باب السلالم، حيث كانت ليديا ووالدها مستلقيين على الأرض، وواضعين أيديهما فوق رأسيهما. حاولت السيدة ستريكهام الوقوف، لكن سرب الذباب أوقعها على ركبتيها. أما سيلينا فكانت تمشي جزئياً وتزحف جزئياً، وهي تجرّ وراءها ساقها المجروحة، وتتجه نحو مخرج الحريق.

ارتفعت المروحية ببطء، وأدى دورانها إلى تطاير شعر أم الذبابات فوق وجهها. ثم ارتفعت المروحية في السماء إلى أن أصبحت مثل حشرة بعيدة تتحرك تحت العاصفة.

مدّت سينتيا دافنبورت إحدى ذراعيها نحو كاو، فتمددت وتحولت إلى ذبابات انقضّت على وجهه. فيما طوّقت الحشرات رأسه، أغمض كاو عينيه، وركز كل قواه على باطنه، ثم قفز عن السطح على شكل غراب فتح جناحيه، وارتفع مسافة ثلاثين قدماً تقريباً في

أقرأناكموه

الهـواء. راقبته أم الذبابات مبتسـمة، ثم تحولت بدورها إلى حشـرات، ولحقت به وهي لا تزال على شكل امرأة.

أرسـل كاو غربانـه لتنقـضَّ عليهـا، فاندفعـت نحوهـا بمناقيرهـا المفتوحـة لالتقـاط الذبابـات. فـي البدايـة، تشـتّتت الذبابـات، لكنها اسـتعادت شـكلها علـى الفـور، فاسـتدعى كاو المزيـد والمزيـد مـن الغربان؛ في دفق غير متوقف. انقضّت مجموعات الغربان على سـينتيا دافنبورت بسـرعة كبيرة جداً؛ الواحدة تلو الأخرى. وبالكاد تسـنى لها الوقت للسيطرة على نفسها قبل الهجوم التالي.

مرّ غلام أمامه، ومنقاره مليء بالذباب.

وقال: هناك الكثير منها يا كاو.

فيما حلّقت شـيمر مع غربان أخرى ذهاباً وإياباً. انضمّ إليها كاو، وشـقّ الهواء المليء بالحشـرات؛ حيث بالكاد اسـتطاع التنفس. خفق بجناحيه بسرعة، وارتفع نحو الأعلى إلى أن أصبح في الهواء النظيف. بلسـان الغراب، تذوق طعم الأوزون، ثم تدحرج حول نفسـه، وسمح لنفسـه البقـاء معلقاً فـي الأعالـي لمراقبـة المعركـة. تحركـت الغربان بسـرعة مثل الرماد الأسـود المتطاير، ودفنت نفسـها فـي الذبابات، ثم ارتفعت مجدداً. لم يعد بوسع كاو رؤية سينتيا دافنبورت.

هل هربـت باسـتعمال ذباباتهـا بمثابة غطـاء؟ نظر إلى الأسـفل، وكان واثقاً مـن أن الحشـرات باتت أقل ممـا كانت عليه مـن قبل. بدأ سـرب الذباب ينهـار بفعل وزنـه، إذ وقعـت مجموعات مـن الذبابات فوق بعضهـا بعضاً على شـكل دوامـات عملاقـة. سـحب كاو غربانه بمجرد فكـرة واحدة، فارتفعت إلـى الأعلى للانضمام إليـه. حدّق إلى أعماق دوامة الذبابات فيما أصبح الهواء والسطح منظورين مجدداً في الأسفل... وتجمد الدم في عروقه.

أقرأناكموه

ثمة شي ما هناك يشبه سينتيا دافنبورت، لكنه أطول منها بثلاث مرات. وكان حجمه يزداد مع مرور كل ثانية، فيما تدفق المزيد من الذباب من السماء للانضمام إليه، والتشبث بسطحه، وبالتالي مضاعفة حجمه. كيف يمكن هذا؟ لا بد أنها تسيطر على مئات آلاف الذبابات، وتتحكم في كل مجموعة على حدة.

أوه... هل يمكنك فعل ذلك؟ تمتمت شيمر المحلقة قربه.

هزّ كاو الغراب رأسه. لقد تحكم في سرب الغربان في معركته ضد الرجل الدوام، ولكن ليس هكذا.

أصبح الشكل العملاق لأم الذبابات بطول طابقين، ثم ارتفع عن السطح. تحول الشعر والبشرة إلى ذبابات، لكن محيط وجهها بقي هو نفسه، مع تلك الابتسامة الشريرة على فمها.

قالت: «أرِني قوتك الحقيقية يا خارق الغربان». لم يصدر صوتها من شفتيها، وإنما من كل جسمها، وكان على شكل مزيج غريب من الطنين. وبدت عيناها مثل كرتين سوداوين، تدوران في محجريهما.

حرّكت يدها بضربة عنيفة فأزاحت الغربان جانباً كما لو أنها غبار. عندها، أرسل كاو دفعة من الطيور للهجوم، فغاصت في الكتلة السوداء لجسمها، وابتلعتها الذبابات. انتظر كاو خروجها من الجهة الأخرى، لكن نصف العدد فقط خرج من بين كتلة الحشرات.

تحركت يد أخرى إلى يساره.

ألصق كاو جناحيه على جسمه، وتحرك بعيداً ليرى اليد الأخرى العملاقة وهي تتمدد نحوه، فيما تحولت أصابعها إلى أعمدة كثيفة من الحشرات. أغلق كاو منقاره، وغاص في الكتلة السوداء، وأحسّ بالذبابات تخز ريشه. حاول خفق جناحيه لكنه لم يستطع. أعمته الذبابات، وكممت منقاره، وشلّت جناحيه، وامتلأ رأسه بطنينها فعجز

أقرأناكموه

عن التفكير في أي شيء آخر. أحسّ بأن تحكمه العقلي في غربانه بدأ يضعف، ورأى يداً بشرية عبر سرب الذباب؛ يداً بيضاء جداً بالنسبة إلى السواد المتحرك. ثم تحرر رأسه- رأسه البشري- واستنشق جرعة من الهواء.

صرخت أم الذبابات: « إذاً، ها أنت».

عاد كاو إلى شكله البشري بالكامل، فيما أمسكت به يد مكسوة بالذبابات ورفعته عن الأرض. تناثر المطر على وجهه، فيما تلوى للإفلات منها، لكن الذبابات أمسكت به بإحكام، وضغطت على صدره. وبالرغم من خوفه، تعجّب من الإحساس الغريب الذي ولّدته الأجسام الصغيرة للحشرات الملتصقة بأطرافه. في الأسفل، رأى عشرات الثعالب تراقبه عن السطح. وكان هناك آل ستريكهام أيضاً، وليديا، وسيلينا. راحوا جميعاً يحدقون نحو الأعلى، ولم تبق أية ذبابة؛ فقد أصبحت كلها في خدمة معلمتها.

قالت سينتيا دافنبورت: «أوقف المعركة كاو». وضغطت اليد الممسكة بكاو عليه أكثر فأكثر، فوجد صعوبة شديدة في التنفس. كيف يمكن لمثل هذه الكائنات الصغيرة أن تولّد مثل هذه القوة؟! قالت: «هل تعلم شيئاً؟ كنت موجودة بطريقة ما عندما ماتت أمك. فقد راقبت ذباباتي الرجل الدوام وهو يقتلها». امتلأ قلب كاو بالغضب. «لقد كافحت بقوة، حتى عندما أصبح كل شيء ضدها». وسحبت اليد كاو في الهواء، وجعلته أقرب إلى وجه خارقة الذباب التي تابعت كلامها: «كانت مثلك كاو. حتى في النهاية، لم تكن مستعدة للاستسلام. حتى عندما بدأت عناكبه تلتهمها».

حاول كاو التحرر منها مجدداً؛ مبعداً الذبابات بذراعيه، لكنها تشبثت به مثل الإسمنت. وقال مكشّراً: «امتلكت أمي شجاعة أكثر مما

تعتقدين. وحتى إن قتلتني، فسوف يوقفك الآخرون».

ابتسم الفم العملاق وقال: «هل تعرف شيئاً؟ هذا بالضبط ما قالته أمك قبل أن تموت».

صرخ كاو: «وكانت محقة! لقد قتلنا الرجل الدوام».

فتحت سينتيا دافنبورت فمها. في الداخل، تشكّلت الذبابات على شكل أسنان، وتحولت كرة كبيرة منها لتصبح لسانها. وبدأت تسحبه نحوها، من جهة الرأس أولاً.

سمع ليديا تصرخ من الأسفل.

سوف تأكله حياً.

سيطرت عليه العتمة، ولم يسمع سوى طنين الذبابات الجائعة. لا مجال أبداً لكي يعرف أين الأعلى وأين الأسفل. دخلت الحشرات أذنيه ومنخريه. حاول إغلاق فمه، لكنه أحسّ بالذبابات العنيدة تضغط لتفتح شفتيه، فأغمض عينيه بإحكام كبير لدرجة أنه أحسّ بالألم فيهما.

لا يمكن أن ينتهي الأمر هكذا. فكر في أمه وأبيه اللذين ماتا لحمايته. وفكر في سلالة خارقي الغربان التي حرست حجر منتصف الليل طوال مئات الأعوام. فكر في كرامب، وبيب، وكل الخارقين الآخرين الذين سيموتون حتماً إذا انتصرت أم الذبابات؛ فجعله عجزه يشعر بغضب شديد من نفسه.

أين أنت؟

هل هو في الداخل؟

ماذا يجدر بنا أن نفعل؟

تدفقت أصوات الغربان إلى مسمعيه معاً؛ متضاعفة الأعداد باضطراب كبير.

أقرأناكموه

أحسّ كاو بأجسامها وبأجنحتها ومناقيرها ومخالبها. كانت في انتظاره، في انتظار أوامره.

نجحت أولى الذبابات في دخول فمه، ولحقت بها ذبابات أخرى واحتشدت أمام حاجز أسنانه. حاول كاو تجاهلها، وتجاهل الذعر الذي أصابه بالشلل. وتخيّل أن جسده جامد مثل الحجر وغير متأثر بما يجري. أطلق العنان لوعيه، مثلما فعل في البعد الآخر؛ باحثاً عن الغربان. فهو يحتاج إليها كلها.

كاد يختنق حين تدفقت الذبابات إلى القسم العلوي من أنفه.

وجد شيمر أولاً، فطوّقها عقله. نظر إلى الأسفل بعينيها، ورأى الشكل العملاق لسينتيا دافنبورت، فيما امتلأت السماء بالغربان المنتظرة. تواصل مع الغراب الأقرب إلى شيمر، ومن ثم مع آخر. شعر بالمزيد من القوة كلما انضم غراب جديد لمساعدته. وانتشرت إرادته مثل الشبكة حول سرب الغربان، وعندما تواصل معها كلها، جعلها تدور في دوامة حول أم الذبابات.

دارت خارقة الذباب حول نفسها رافعة ذراعيها في الهواء. ووجّه كاو الطيور بعقله فلحقت بها على شكل سرب، وانقضّت على أطرافها، وهددت بإسقاطها من السماء. فيما جذب كاو المزيد والمزيد من الطيور، إلى أن شكّلت جداراً دواماً حول أم الذبابات.

وجدت الذبابات طريقها تحت جفنيه. حاول كاو هزّ رأسه لكنها كانت كثيرة. وملأه الذعر عندما أحسّ بالوخز في عينيه. ثمة ذبابات أخرى دخلت عبر أسنانه وتسللت إلى فمه، وزحفت فوق بعضها للدخول إلى حنجرته.

سلّم كاو جسمه لاعتداء الذبابات، وركّز عقله على الغربان. وفي لحظة واحدة، أصبح آلاف الغربان.

صرخ: الآن.

فتحركت أجنحة الغربان في الوقت نفسه، وأحكمت الزوبعة التي تحيط بسينتيا دافنبورت انطباقها عليها. فتحت الغربان مناقيرها مصدرة صرخة واحدة، فيما هاجمت الحشراتِ الصغيرةَ، وسحقتها بمخالبها ومناقيرها. ركّز كاو كل طاقته على إبقاء مجموعة الغربان متحدة، والحفاظ على تناغمها، وجعلها تُطبق أكثر فأكثر على الذبابات. سمع صوت هسهسة غريبة؛ كما لو أنها صرخة ألم يائسة تصدر من الذبابة العملاقة. إنها لا تستطيع فعل أي شيء لمنع الغربان من أكلها، مع شعورها بآلاف وخزات الألم كل ثانية. كانت الذبابات كثيرة جداً، في كل الجهات، وفي تحرك مستمر.

نظر كاو عبر عينَي غربانه، ولم ير شيئاً سوى السواد. وأحسّ بأجنحة غربانه المثقلة بالحشرات، وبدأت قوته تضعف بسرعة. في أية لحظة، يمكن للوزن الثقيل أن يجرّ غربانه إلى الأسفل، وعندها سيذهب كل تعبه سدى. ثمة جزء صغير ومنفصل من وعيه أخبره أن جسمه بدأ يضعف. وإذا مات، فسوف تضيع الغربان أيضاً.

لا يمكنه السماح بحدوث ذلك.

وبآخر ما تبقى لديه من قوة، وجّه سرب الغربان نحو قلبها.

الفصل 22

فقد كاو السيطرة، وسمع صرخة ذعر عميقة وقوية، وتساءل عمّا إذا كانت صرختـه، أم تراها صادرة مـن داخل الزوبعة. أحسّ بجسمه يضعف شيئاً فشيئاً، وراح يتمايل هنا وهناك كما لو أنه يشقّ طريقه عبر أغصان شجرة كثيفة.

وبعدها، أحسّ بهواء نظيف وبارد...

ارتطـم بشـيء صلـب، وأصاب رأسـه دفـق مـن النـور الأبيض. لـم يستطع التنفس، وتدحـرج علـى ركبتيـه، فيمـا بحث صـدره عن الأوكسيجين. وخزته عيناه كثيراً، وعجز عن فتحهما تقريباً. بعد ذلك، أحـس بشـيء يخنقه فـي أعماقـه. حـاول التقيؤ مـن دون جـدوى، ثم تناثرت مجموعة من الذبابات الميتة على الأرض أمامه.

احتاج إلى ثانية ليدرك أنه عاد إلى سطح المبنى.

صدحت صرخات الذعر والألم على سطح المبنى. نظر كاو إلى الأعلى، فرأى أم الذبابات لا تزال تحوم وتتخبط بجنون في السماء. لا بدّ أنه وقع من أعماقها. ومع كل صرخة، كان حجمها يتضاءل تدريجياً فيما الذبابـات تتركها. وكانـت الغربان لا تـزال تنقض عليهـا من دون كلل، وتمزق جسـمها. وفـي النهاية، توقفت عن الكفاح واستسـلمت. ارتطمت كرة مـن الذبابات بأرض السـطح وانفجرت بعيـداً في الليل، تاركة جسماً بشرياً خلفها، مستلقياً على الأرض؛ سينتيا دافنبورت.

أقرأناكموه

حلّقت الغربان فوقها، بانتظار أوامر كاو.

جرّ كاو قدميه نحوها، وسحب منقار الغراب من غمده. كان ضعيفاً ويشعر بالدوار، لكن غضبه احتدم بقوة. بدت يده ثابتة عندما رفع السيف فوق جسمها. أراد كاو إنزال السيف، وطعنها في قلبها الأسود.

لكنه توقف؛ فقد استلقت والدة سيلينا تحته متقوقعة وفاقدة الوعي، وبذلتها الباهظة ممزقة، فيما بشرتها مغطاة بالجروح النازفة نتيجة هجوم الغربان عليها. وفي بعض الأماكن، انسلخ شعرها عن فروة رأسها.

سمع صوت خطوات تركض على السطح.

قالت سيلينا: «ماما؟». وركعت قرب سينتيا دافنبورت، ووجهها مغطى بالدموع.

اختفى غضب كاو بلمح البصر. فمهما كانت خارقة الذباب شريرة ومتوحشة إلّا أنها تبقى أمها. أفلت منقار الغراب من يده؛ إذ لا يمكنه جعل سيلينا يتيمة مثله.

اقتربت السيدة ستريكهام منهم وثعالبها خلفها. ولهنيهة، تساءل كاو عما ستفعله، لكنها بالكاد وضعت إصبعين على حنجرة أم الذبابات، ثم قالت: «إنها على قيد الحياة». ولم يعرف كاو ما إذا كانت سعيدة أم حزينة.

كان السيد ستريكهام يتحدث عبر الهاتف: «... نعم، هذا صحيح. فوق برج فيرونا. السطح، نعم. لا، رئيسة قسم الشرطة هي المصابة. أرسل كل الرجال إذا أمكن».

وقفت ليديا قرب كاو وسألته: «هل أنت بخير؟».

ترنّح كاو قليلاً، واتكأ بوزنه عليها، وقال: «أعتقد ذلك». ثم

أقرأناكموه

نظر إلى الأعلى، نحو الغربان التي كانت لا تزال محتشدة في السماء وتابع: «بفضلها».

نزل غلام وشيمر إلى الأسفل للانضمام إليهم.

وقال غلام: أصبحت عجوزاً جداً على هذا.

فتمتمت شيمر: لا أتمنى ذلك.

قال السيد ستريكهام: «المساعدة آتية. سوف يبذلون كل ما بوسعهم، لكن سيتم إلقاء القبض عليها. تعرفين هذا، أليس كذلك؟ ففي النهاية...»

فأومأت سيلينا برأسها. كان وجهها شاحباً جداً. حاولت الوقوف، لكن ساقها خذلتها فأسرع كاو لالتقاطها، لكنه لم يصل إليها في الوقت المناسب. انهارت فوق أمها، ووقع حجر منتصف الليل من يدها، وتوهج قليلاً.

قال كاو: «سيلينا؟».

غير أنها أغمضت عينيها ولم تجب. نظر إلى الأسفل، وحضن رأسها، ولاحظ أن ساقها مغطاة بالدم. فقال مجدداً: «سيلينا، اصمدي».

بعيداً، صدحت صفارة سيارة الإسعاف في الليل.

بعد ظهر اليوم التالي، راقب كاو المدينة عبر نافذة سيارة السيد ستريكهام. أحسّ بعينيه تغمضان وحدهما، وعانى جسمه من الرضوض والألم، لكنه نوع جيد من الإرهاق. بعد عاصفة الليلة الماضية، بدا كل شيء أكثر نظافة. خرج الأشخاص العاديون إلى أعمالهم، وتوجّهوا إلى وظائفهم مسرعين، وأمسكوا بأيدي بعضهم على الأرصفة، وتناولوا المشروبات في المقاهي. لا أحد يعرف أن بلاكستون أوشكت على التعرض إلى كارثة قبل بضع ساعات.

أقرأناكموه

وكان كاو واثقاً من أن أحداً لم يلاحظ أن الغربان قد رافقت السيارة أيضاً. فقد بقي غلام وشيمر وسكريتش على مرأى متقطع من ناظريه.

سألت ليديا: «هل أنت بخير؟».

فاستدار كاو نحو صديقته التي تجلس قربه وقال: «أفكر فقط في أن بعض الأشخاص الأشرار قادرون على تدمير مدينة».

قالت ليديا مبتسمة: «وبعض الأشخاص قادرون على إنقاذها أيضاً».

«وآلاف الغربان».

فقال السيد ستريكهام ببرودة من مقعد السائق: «لقد وصلنا تقريباً». فيما انعطفت السيارة نحو حديقة الحيوانات المهجورة، وتابع: «سوف نبقى أنا وليديا في الخارج».

قالت ليديا: «أوه... لا أظن ذلك».

بدأ والدها بالقول: «حبيبتي...»

غير أنها قالت: «بابا، سوف أدخل».

دخلوا عبر البوابة نفسها التي وضعهم تشين أمامها قبل أيام قليلة. كانت فيلما ستريكهام موجودة هناك أصلاً، والثعالب محتشدة حولها. فقد جاءت قبلهم لإخبار الجميع بما حصل. احتاج والد ليديا إلى معظم فترة قبل الظهر لإنهاء الأمور في مكاتب الشرطة. ولكن، أعيد تعيينه كآمر للسجن، وأول مهمة له تمثلت في إطلاق سراح الخارقين الأبرياء؛ علماً أن هذا الأمر كان سهلاً، إذ لا تملك الشرطة أي سجل جرمي لهم يسمح باعتقالهم.

وتم نقل سينتيا دافنبورت إلى مستشفى للأمراض العقلية بتهمة الهذيان بشأن الذبابات والغربان.

أقرأناكموه

عندما خرجوا من السيارة، لاحظ كاو أن السيد ستريكهام بقي فيها. وجّهت إليه زوجته نظرة صارمة. وقالت ليديا عبر النافذة المفتوحة: «بابا أرجوك».

فقال: «ليس هذا من شأننا». فيما أبقى يديه على المقود، ونظر أمامه مباشرة.

أجابته ليديا: «كيف يمكنك قول هذا بعد كل ما حصل!؟».

استدار السيد ستريكهام نحوها وقال: «علينا نسيان ما حصل. علينا أن نعود كما كنا؛ عائلة طبيعية».

فتنهدت ليديا وقالت: «بابا، لسنا عائلة طبيعية. فأمي خارقة، وذلك يعني أنني في يوم ما...»

صرخ: «كفى! لا أستطيع منعك من الذهاب إلى هناك، لكنني لا أريد أية علاقة إضافية مع أولئك الأشخاص».

استدارت ليديا بعيداً موشكة على البكاء، وانضمّت إلى كاو وأمها التي وضعت ذراعها حولها.

ارتعد كاو. من الغريب فعلاً العودة إلى هنا، حيث حضّرت لهم أم الذبابات كميناً.

قالت له السيدة ستريكهام: «عليك أن تأتي لتناول العشاء معنا قريباً».

فسألها كاو: «وهل سيوافق السيد ستريكهام على ذلك؟».

هزّت السيدة ستريكهام كتفها وقالت: «يجب عليه أن يوافق؛ فعلينا جميعاً أن نتكيف. وربما نستطيع أنا وأنت التدرب في الحديقة العامة. لا أمانع أن تعلّمني بعض الحيل».

وقف كاو عاجزاً عن الكلام. هل صحيح أن فيلما ستريكهام- خارقة الثعالب في بلاكستون- تطلب منه المساعدة فعلاً؟!

أقرأناكموه

فتابعت القول: «طبعاً، إذا كنت مشغولاً جداً...»

قال كاو: «لا، لا! إنه شرف لي. إذا... أقصد... متى شئت».

فقالت ليديا وهي تمسك بيده: «تعال، أنتما تجعلانني أشعر بالإحراج».

ارتاح قلب كاو عندما دخلوا حظيرة البطاريق القديمة ورأى كرامب وبيب ينتظران جنباً إلى جنب. كان كرامب يقدم فتات الخبز لطيوره.

قال كاو: «أنتما هنا!». وركض لمعانقتهما. لكن، فيما اقترب منهما تباطأت خطواته. فقدْ بدا كرامب صارماً، فيما نظر بيب إلى الأرض. إنهما ربما لا يزالان غاضبين من سجنهما. ولديهما الحق في ذلك.

قال كرامب بفظاظة: «تبدو منهكاً».

فهزّ كاو كتفه. كانت سترته ممزقة في بعض الأماكن بسبب مخالب النسر، وكان سرواله متسخاً من السطح. «كانت ليلة طويلة».

«كان يجدر بك تجربة قضاء الليل في زنزانة سجن باردة مع عشرين خارقاً آخرين، ومن دون حمام».

تنحنح كاو وقال: «اسمع، أنا آسف. أنا...»

غير أن ابتسامة ارتسمت على وجه كرامب، وفتح ذراعيه وقال: «تعال إلى هنا أيها الصغير».

أحسّ كاو بالارتياح فيما عانق كرامب. وبعدما أفلته كرامب، أمسك به من كتفيه قائلاً: «أنا فخور بك جداً يا كاو. لقد سمعنا بما فعلته على السطح».

وقال بيب، وهو يقفز صعوداً ونزولاً: «لكن، أخبرنا أنت بما حصل بكلماتك. سمعنا أنك تحكمت في عشرة آلاف غراب!».

أقرأناكموه

تـورّد كاو خجـلاً وقـال: «ظننـتُ أنني لـن أراكمـا أبداً مجـدداً. عندما علمنا بما تخطط له أم الذبابـات؛ أي صنع خارقين جدد، ظننت أنهـا...» وأحـسّ بالاشـمئزاز يسـيطر عليـه فيمـا فكّـر في مـا كان من الممكن أن يحصل.

قـال كرامـب: «عانينا فقط مـن بضع سـاعات في السـجن. وثمة أشـخاص عانوا من أمـور أسـوأ. علـى الأقل، اسـتطاعت فئـران بيب التسلل إلى المطابخ لتسرق لنا طعاماً إضافياً».

ابتسم بيب بخجل، وسأله: «إذاً، هل صحيح أنك قضيت على أم الذبابات بمفردك؟».

فقال سكريتش وهو يخفق بجناحيه: عفواً!

وانضم الغرابان الآخران إلى صيحات الاحتجـاج، وعلا النعيب بقوة.

فقـال كاو مبتسـماً: «حصلـت على بعـض المسـاعدة. ومـا كان بوسعي فعل أي شيء من ذلك لولا التدريب طبعاً».

فربّت كرامب على كتفه، وأجفل كاو ألماً.

وقال خـارق الحمـام: «ثمة شـيء يقول لـي إنك متواضـع. فقد أخبرتنا فيلما بما فعلته. ليتني رأيت تلك المرأة وهي تنال ما تسـتحقه، وابنتها أيضاً».

فيما تضاءل الألم في كتـف كاو، أحسّ بألم آخر أكثـر عمقاً عند تفكيره في سيلينا، فأراد تغيير الموضوع.

قال: «اسمعا، كنت أفكر في دار العبادة».

بدا بيب قلقاً وقال: «ستعود معنا، أليس كذلك؟».

ابتسم كاو وأجاب: «حسناً، هذا ما كنت أتساءل بشأنه. فأنا أملك منزلاً مثلما تعلمان، ولا يوجد ثقب في سقفه».

أقرأناكموه

هدلت بعض طيور الحمام محتجة، إلى أن رفع كرامب إصبعه قائلاً: «هدوء. إنه لم يقصد ذلك».

قال كاو: «ما رأيكما؟».

قلب كرامب شفتيه إلى الأسفل وأجاب: «حسناً، إذا كنت تفضل العيش هناك فأنا لا أستطيع منعك...»

قال كاو: «لا! ليس أنا فقط، بل نحن الثلاثة. أنت وبيب أيضاً. أقصد، يحتاج المنزل إلى بعض العمل، لكن...»

تأرجح كرامب على قدميه وقال: «ماذا؟ أنا في منزل حقيقي!».

فقال بيب وهو يمسك بذراعه: «أوه، أرجوك. هل يمكننا؟ فكِّر في الأمر. غرف نوم ومطبخ وحمام. سنكون مثل عائلة حقيقية».

تردد كرامب بضع لحظات إضافية، قبل أن يبتسم ابتسامة عريضة ويقول: «إذا جعلت الأمور في هذا المنظور، حسناً... نقبل!».

دخل ذئب الحظيرة، ثم تمدد تحت الشمس. ودخل راكلن بعده دافعاً مادلين، خارقة السناجب، التي كانت تجلس على كرسيها المتحرك. فرح كاو لرؤيتها مجدداً، وابتسمت له بحنان. دخل أيضاً خارقون آخرون تعرّف كاو إليهم خلال زيارته السابقة إلى حديقة الحيوانات، لكن جاء أيضاً خارقون جدد. بعد قليل، امتلأت الحظيرة بالرجال والنساء والأولاد؛ بالصغار والكبار. علي، خارق النحل، كان مرتدياً بذلته الداكنة الرسمية كالمعتاد، وبدا كما لو أنه قد خرج من مكتبه للتو لتناول الغداء. حلقت الطيور فوقهم في السماء، ثم ارتاحت على القضبان الحديدية. ولاحظ كاو أن هناك هراً واحداً فقط يجلس قرب لافتة. فريدي. تأمل كاو وجوه الخارقين المجتمعين، لكن فيليكس كوايكر لم يكن بينهم.

قال راكلن: «إذاً، أين هي الآن؟ أين أم الذبابات؟».

أقرأناكموه

رفعت فيلما ستريكهام يدها لإسكات خارق الذئاب وأجابت: «تم نقلها إلى مصحّ عقلي في الجهة الأخرى من بلاكستون».

فقال راكلن: «في المستشفى! كان يجب إحضارها إلى هنا لمواجهة عدالة الخارقين».

قالت السيدة ستريكهام: «لم تعد تشكل خطراً الآن. فقد استنفدت كل قواها لدى محاولتها التغلب على كاو، وقد تحطم الآن الرابط بينها وبين الذبابات. سوف يخضعها زوجي للمراقبة طوال أربع وعشرين ساعة يومياً، وسيضعها تحت حراسة مشددة».

قال علي: «زوجك؟! ليس خارقاً، فكيف يعرف؟».

قالت السيدة ستريكهام: «رأى بعينيه ما تستطيع فعله. لن تؤذي أحداً مجدداً».

علت تمتمات عدم الرضى من مجموعة الخارقين.

وقال راكلن فيما تقدم نحو والدة ليديا: «هذا ليس كافياً». فزمجرت ثعالبها واعترضت طريقه، فيما انتصب فرو ذئبه. قال: «حوِّلوها إلينا، وسوف نهتم بها. لن تكون المدينة بأمان طالما أنها تتنفس الهواء».

قال كاو: «لا يمكننا قتلها».

فأجاب خارق الذئاب: «كانت مستعدة لقتلنا جميعاً».

أضاف كاو: «ونحن أفضل منها».

خفتت التمتمات ببطء، لكن بعض الأشخاص بقوا غير راضين.

قالت السيدة ستريكهام: «كاو مستاء من سينتيا دافنبورت بقدرنا جميعاً. وإذا استطاع كبت رغبته في الانتقام، فبإمكاننا أيضاً فعل الشيء نفسه».

نظر كاو إلى السيدة ستريكهام، ومن ثم إلى ليديا. إنهما لا

أقرأناكموه

تعلمان كم أوشك على قتل أم الذبابات. وتذكر نوبة غضبه، وإحساسه بمنقار الغراب في يده وهو مستعد لتسديد ضربته القاتلة. وعرف أن ما منعه لم يكن فقط عدم قدرتها على الدفاع عن نفسها، وإنما سيلينا أيضاً. إذ لا يمكنه حرمانها من أمها. فعندما تستيقظ- إذا استيقظت- لا يريدها أن تتلقى خبر أنها أصبحت يتيمة. فهذا هو المصير البائس الذي ألحقه به الرجل الدوام.

انحنى نحو فيلما ستريكهام، وتمتم لها قائلاً: «أريد الذهاب إلى المستشفى».

الفصل 23

كان مستشفى بلاكستون العام عبارة عن مجمّع كئيب وبغيض في جنوب المدينة. تولى تشين إيصال كاو وليديا إلى المبنى الرئيس، وأخبرهما أنه سوف ينتظرهما في مرأب السيارات. وطلب كاو من غربانه الانتظار في الخارج، وقال: «لا يسمح بدخول الطيور إلى المستشفى».

فتمتم غلام: إنه الظلم بحدّ ذاته.

وفيما توجّها نحو مدخل المستشفى، ناداهما تشين قائلاً: «هاي، كاو. شكراً لك».

تورّد كاو خجلاً، واستدار وتابع طريقه.

تمتمت ليديا: «عليك الاعتياد على هذا. فأنت بطل خارق الآن».

ابتسم كاو ابتسامة عريضة إلى أن تذكر أين هما. «أتمنى أن تكون بخير».

اختفت ابتسامة ليديا أيضاً، لكنها لم تقل شيئاً. وتساءل كاو عن شعورها الحقيقي حيال ابنة أم الذبابات.

سألتهما عاملة الاستقبال عندما سألا عن سينتيا دافنبورت عند مكتب الاستقبال: «هل أنتما من العائلة؟».

قال كاو: «كلا. إنها صديقتنا».

«أخشى أن أفراد العائلة وحدهم...»

أقرأناكموه

فقاطعتها ليديا قائلة: «لا تملك أحداً. فقد مات والدها، وأصبحت أمها في السجن».

عندها، قالت عاملة الاستقبال وقد بدت محرجة: «أوه، حسناً. سوف أرى ما يمكن فعله».

وأجرت اتصالاً هاتفياً سريعاً، ثم أرشدتهما إلى جناح الأولاد.

بدت الأروقة مبهرجة جداً بالنسبة إلى كاو، ولاحظ أن بعض الممرضات ينظرن إلى ملابسه السوداء الممزقة. وصلا إلى الجناح أخيراً، ولاحظا أنه تمّت تغطية النافذة الزجاجية بستارة، فصار من المستحيل رؤية ما في الداخل. فتح كاو الباب وهو يتوقع الأسوأ.

كان ثمة سرير واحد فقط في الداخل، فيما ستائر النافذة مسدلة أيضاً، مما جعل الغرفة غارقة في العتمة نوعاً ما. وكانت سيلينا دافنبورت مستلقية فوق وسادات عدة، ومرتدية رداء المستشفى، وثمة ممرضة تتحقق من المصل.

قالت الممرضة: «أوه، مرحباً. قالت لي عاملة الاستقبال إنكما آتيان. أخشى القول إنها لا تستجيب».

كانت هناك أنابيب وأسلاك متصلة بذراعَي سيلينا، وكان الجرح في ساقها مضمداً جيداً، فيما عيناها مغمضتان. وصدر من الآلات صوت خفقان قلب بطيء ومنتظم.

سأل كاو: «هل تعرفين ما هي مشكلتها؟».

نظرت الممرضة إلى وجه سيلينا المسالم لوقت طويل، ثم أجابت: «يحاول الأطباء معرفة المشكلة. فثمة نوع من السم في دمها، مثل الالتهاب، ويحاول الأطباء تحديده. وهذا غريب جداً بالنسبة إلى جرح ناجم عن رصاصة».

دوّنت الممرضة بعض الملاحظات على دفتر معلق على طرف

أقرأناكموه

السرير ثم تابعت: «لا شك في أنها مقاومة. أتمنى أن تكون هناك أخبار جيدة عنها عما قريب». ثم وضعت الممرضة القلم جانباً، وغادرت الغرفة، وأغلقت الباب وراءها وتركتهم بمفردهم.

اقترب كاو وليديا من الفتاة المريضة المستلقية على السرير.

قالت ليديا: «لم أثق فيها لوقت طويل، لكنني أعتقد أنها أثبتت نفسها في النهاية».

جلس كاو قرب السرير. بدا وجه سيلينا متورماً قليلاً، وكان جفناها شاحبين وباللون الليلكي.

قال: «ليست غلطتها أن أمها شريرة. سيلينا؟».

لا شيء.

فُتِح الباب مجدداً، فنظر إليه متوقعاً رؤية فرد آخر من الفريق الطبي. لكنه رأى بدلاً من ذلك رجلاً يرتدي سروالاً قطنياً برتقالياً وسترة أرجوانية ساطعة.

شهقت ليديا: «فيليكس!».

تأملت عينا كوايكر سيلينا وليديا بسرعة، ومن ثم كاو، ومن ثم نظر إلى قدميه قائلاً: «هل أزعجكما؟».

أحسّ كاو بالغضب من كوايكر لأنه لم يخبره بالحقيقة عن حجر منتصف الليل، لكنه نجح في كبت ذلك الغضب. قال: «ادخل».

لمس كوايكر شاربيه بتوتر، وبرم طرفيهما، ثم قال بهدوء: «أردت الاعتذار».

لم يعرف كاو ماذا يقول، فاكتفى بسؤاله: «أين كنت؟».

هزّ كوايكر كتفيه وأجاب: «تجد الهررة دوماً مكاناً للاختباء فيه».

ثم دخل الغرفة، ولاحظ كاو أن ليديا حدقت إليه ببرودة.

قال خارق القططة: «سمعت بما حصل على سطح البرج.

أقرأناكموه

أرسلت فريدي إلى الاجتماع اليوم، ولم أذهب شخصياً».

فسألته ليديا بفظاظة: «لماذا؟ أخشيت ألا يتصرف أحدهم بلباقة مع جبان موجود بينهم؟».

صمت كوايكر، وهزّ يديه بقوة، ثم قال: «أنت محقة يا صغيرتي. أملك غريزة حادة في الصمود. يمكنك تسميتها جبناً إذا أردت. وقد عرفت بشأن حجر منتصف الليل، وبما يمكن أن تفعله أم الذبابات للحصول عليه. ولكنني لست محارباً، لست مثل آل كارميكايل».

فقالت ليديا: «إذا كانت هذه هي طريقتك في الاعتذار، فلم يكن يجدر بك إزعاج نفسك».

أومأ كوايكر برأسه، وبدأ يستدير ليعود أدراجه.

فقال كاو: «لا، انتظر. أريد أن أعرف كيف عرفت بشأن حجر منتصف الليل؟ ففي أيام بلاك كورفوس، وقّع جميع الخارقين على معاهدة تقضي بدفنهم السر معهم. فهل انتهك خارقو القططة ذلك العهد؟».

هزّ كوايكر رأسه وأجاب: «ليس الأمر كذلك. لكن، لا تحطّ أبداً من عناد مؤرخ». فعبس كاو، فيما مدّ كوايكر يده إلى جيبه وأخرج منه لفافة صغيرة. عرف كاو ما هي عندما فتحها خارق القططة، إذ تذكرها من كهف بوتلايس. أصبحت الكتابة باهتة وضبابية جداً؛ حيث لم يستطع كاو فهم الأحرف، لكن توقيعاً واحداً برز في القاعدة. أمسك باللفافة وجعلها بالقرب من عينيه.

بلاك كورفوس.

قال: «إنها الوثيقة السرية».

ابتسم كوايكر ابتسامة خفيفة وقال: «احتفظت بهذه الوثيقة بين

أقرأناكموه

مجموعاتي طوال أعوام عـدة، ولـم أعرف قطّ إذا كانـت أصلية، لكنني شككت في الأمر».

عبـس كاو؛ إذ ثمة جزء فـي الأحجية لا ينطبق فـي مكانه. وتذكر الرؤيـة الأخرى في كهـف بوتلايس؛ عندمـا أحضرت أمـه الحجر إلى بوتلايس ليتولى حمايته. لا تزال كلماتها واضحة تماماً.

علم خارق العناكب بوجود الحجر.

لكن، كيف؟ إلا إذا...

وتجمّد الدم في عروقه.

قال: «فيليكس، هل أخبـرت الرجل الدوام بشـأن حجر منتصف الليل؟».

انتصـب فيليكس بفخـر وقـال: «طبعـاً لا. قـد لا أكـون الخارق الأكثر شجاعة في بلاكستون، لكنني لست خائناً».

قال كاو: «عفواً، لم يكن يجدر بي...»

فقـال كوايكر مقاطعـاً: «لا، لا. أفهم سـبب قولك هـذا. الحقيقة هي أنني لا أعرف كيفية اكتشـافه الأمر. ولو عرفت بذلك مسبقاً لكنت قد حذّرت أمك بأنه قادم لقتلها. كانت... امرأة طيبة جداً».

أخفـض رأسـه، وخيّم الصمـت على الغرفة، ولـم يكسـره سـوى طنين الآلات المتصلة بجسد سيلينا.

وبعـد قليـل، تمتـم الرجـل العجـوز فيمـا رفـع رأسـه: «أنـا من دفنهما». وتلألأت الدموع في عينيه.

فقال كاو: «ماذا؟».

أجاب فيليكـس: «أنا من وجـد والديك. في الواقـع، القطة هي التـي وجدتهما. أخـذتُ جثتيهما إلى المقبـرة، وحفرت القبر بنفسـي؛ مباشرة قرب هنري وايث».

أقرأناكموه

أحسّ كاو بأن قلبه يكافح لينبض، وقال بصوت أجش: «شكراً لك. وشكراً لك على الرسالة التي تركتها لي على طوق فريدي. ما كنا لنجد بوتلايس لولا مساعدتك».

أومأ كوايكر برأسه بسرعة، ومسح عينيه وأنفه، ثم بدا أنه يلاحظ سيلينا للمرة الأولى منذ دخوله الغرفة، وسأل: «وهذه ابنتها، أليس كذلك؟ وريثة سلالة خارقي الذباب».

مشى كاو إلى طرف السرير، وأمسك بالدفتر المعلق، وتأمل ما هو مكتوب عليه، لكن معظم الكلمات لم تعن أي شيء بالنسبة إليه. «يقولون إنهم لا يعرفون مشكلتها. فهناك نوع من التسمم في دمها».

جفل كوايكر، وبدا يقظاً فجأة وهو يسأل: «سمّ؟! ظننت أنها تعرضت لإطلاق نار!».

فقالت ليديا: «هذا صحيح».

عبس كوايكر وقال: «حسناً، أخشى أن الطب ليس من اختصاصي». وبدا وكأنه قد عاد إلى شخصيته القديمة وتابع: «سأترككما، إذ يحتاج منزلي إلى بعض الصيانة بعد البربرية التي حصلت في مدينتنا».

فقال كاو: «طبعاً».

قالت ليديا: «إلى اللقاء فيليكس».

قال كوايكر: «وداعاً». ثم استدار وغادر.

وعندما أغلق الباب، اقتربت ليديا من كاو ولمست ذراعه قائلة: «هل أنت بخير؟ أقصد بخصوص والديك؟».

هزّ كاو كتفه مجيباً: «حصل ذلك قبل زمن بعيد، أليس كذلك؟».

ابتسمت ليديا بهدوء.

فقال لها: «هلّا تتركينني معها دقيقة واحدة فقط».

أقرأناكموه

ترددت ليديا هنيهة قبل أن تومئ برأسها وهي تقول: «أراك في الخارج».

وبعدما خرجت، أرخى كاو جسمه المتألم على الكرسي قرب سرير سيلينا.

حصل ذلك قبل زمن بعيد جداً. إنه لا يذكر أي شيء عن والديه حين كانا على قيد الحياة، وحتى إن ذكرى لقائهم في البعد الآخر بدأت تخبو مثل الصورة الفوتوغرافية التي خفت لونها بفعل الشمس. لكنه لا يستطيع أبداً أن ينسى تضحيتهما كي يعيش هو، ولن يستخف أبداً بالقوى الخارقة التي منحت له. وإذا كانا يراقبانه الآن، فهو يعرف أنهما فخوران به حتماً.

جعل كاو يده ترتاح في جيبه، حيث بقي حجر منتصف الليل ملفوفاً بمنديله. لن يلمسه أبداً مجدداً. لم تفشل سلالة خارقي الغربان، ولم ينكث بالعهد الذي قطعه بلاك كورفوس قبل مئات الأعوام.

نظر إلى سيلينا المستلقية على السرير مثل جثة هامدة، وفكّر في أنها ضحية الحرب بين الخارقين؛ تماماً مثلما كان العديدون قبلها. وأدرك أنه سيكون هناك الكثيرون أيضاً. الرجل الدوام قد مات، وأم الذبابات فقدت علاقتها القوية مع ذباباتها، ولن ترى الحرية أبداً مجدداً. لكن كرامب محق؛ فالشر لا يزال موجوداً. وعندما يستيقظ مجدداً، سيكون كاو مستعداً لمواجهته بمساعدة غربانه.

وضع يده فوق يد سيلينا، وقال بهدوء: «أنا آسف».

إلا أن الجواب الوحيد الذي حصل عليه كان الطنين الإلكتروني الصادر عن الآلة التي تراقب خفقان قلبها.

أقرأناكموه
telegram @ktabpdf
أقرأناكموه

الكتاب الثاني في هذه السلسلة الجديدة الآسرة، وقوية التأثير، وعالية الطاقة.

بعد القضاء على الرجل الدوام في البعد الآخر إثر الصراع الملحمي الذي دار بين الخارقين الطيبين وأولئك الأشرار، أصبحت حياة كاو أكثر أماناً، وخالية من الشرّ الذي خيّم على بلاكستون لوقت طويل جداً. لكن، فجأة تظهر شريرة جديدة في المدينة، وتلاحق كاو، وتلحق الضرر بأصدقائه. هذه الشريرة تدعى «أم الذبابات»، ولن يردعها أي شيء عن ارتكاب الجرائم وبث الفساد والفوضى في المدينة مجدداً في سبيل تحقيقها غايتها.

لذا، بات يتوجب على كاو خارق الغربان استعمال قواه الخارقة لمحاربتها، والحؤول دون تحقيقها هدفها، والاستفادة من كل صديق يمكنه العثور عليه لمواجهة خارقة الذباب وحليفيها المخيفين فعلاً: خارق العثّ وخارقة الجرذان. فعدوّته هذه المرّة ليست خارقة عادية، بل هي ذات سلطة ومركز؛ ممّا منحها تفوّقاً عليه وعلى حلفائه الخارقين الطيبين الذين وقعوا في شراكها وتمّ أسرهم. في هذه الرواية المشوّقة والمليئة بالإثارة، سيتم الكشف عن أسرار عائلية مدفونة، وسوف يتعلم كاو ضرورة توخي الحذر الشديد، وعدم الوثوق بأي كان بسهولة.

ISBN 978-614-01-1695-5
الدار العربية للعلوم ناشرون
جائزة النشر والتقنيات الثقافية
2015
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb · www.aspbooks.com

اقرأ أكثر